445

HARLEQUIN

روايات أحلام

غرباء في الصحراء

جيسيكا هارت

www.elromancia.com
مرمورية

غرباء في الصحراء

ميريديث وست تحب: احتساء القهوة في المقاهي، تناول الوجبات في المطاعم مع الأصدقاء، وانتعال الأحذية الجميلة.
تكره: العناكب، الريف، و... هال غرانغر!
هال غرانغر يكره: فتيات المدينة المتصنعات
يحب: فتاة مدينة واحدة بالذات...
اضطرت ميريديث إلى استلام وظيفة في مزرعة في الريف الأسترالي، ما جعلها تخضع لسلطة رئيس لا تستطيع تحمله! ظنت أن من السهل عليها إبقاء الأمور تحت السيطرة، إلا أنها لم تستطع أن تكف عن التفكير برئيسها هال. فهل تذيب شمس الصحراء أوهام ميريديث؟ هل هي على وشك أن تكتشف ما تحبه حقا؟

لبنان:	3000ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	100ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2.50دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 978-9953-15-413-8

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Outback Boss, City Bride
First published in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
© Jessica Hart 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 413 - 8

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

جيسيكا هارت

تنقلت جيسيكا هارت من مهنة إلى أخرى، قبل أن تبدأ الكتابة لتؤمن تكاليف إجازة في التاريخ تنوي تحصيلها.

عملت في البداية كنادلة ثم كمساعدة منتج مسرحي، وطاهية وسكرتيرة تحرير لنشرات الأخبار، كما شاركت في بعثات إلى أميركا ودرست اللغة الإنكليزية. عملت أيضاً في بلدان مختلفة مثل فرنسا وأندونيسيا وأوستراليا والكاميرون.

تعيش جيسيكا هارت اليوم في شمال إنكلترا حيث تقتصر هواياتها على تناول المأكولات الشهية والمشروبات اللذيذة والسفر، متى استطاعت ذلك، إلى الأماكن التي تجد فيها طعاماً لذيذاً، كذلك إلى البلاد الصحراوية والمدارية..

١ - تبحث عن مجهول

- هذا هو الرجل الذي تسألين عنه.

تبعت نظرة ميريديث المشككة الإصبع الذي يشير إلى رجل متجهّم في الجانب الآخر من الطريق كان ينزل لتوه من شاحنة قديمة. أول فكرة خطرت لها: هذا ليس النموذج الأسترالي الذي تحبينه! بدت بشرة الرجل داكنة جداً وتقاسيم وجهه صارمة ومرعبة تقريباً، بينما شعّ من الجميع هنا نوع من المزاج الجيد.

راحت ميريديث تراقبه من موقعها المطل من شرفة المقهى، فيما ثبّت الرجل قبعته بإحكام على رأسه وأغلق باب الشاحنة بعنف، وقد بدا في مزاج سيء للغاية.

سألت بنبرة مشككة: «هل أنت متأكد؟»

رفع بيل سرواله على معدته الكبيرة، وقال: «بالطبع، أنا متأكد».

تابع مالك المقهى في «ويمانز كريك» يقول بفخر: «أعرف الجميع هنا، فنحن لا نصادف الكثير من الغرباء الذين يمرّون بهذا المكان».

لم يكن أمام ميريديث إلا أن تصدّقه. «ويمانز كريك» هو عبارة عن مقهى ومتجر ومهبط للطائرات ولا شيء غير ذلك. يحيط بهذا المكان بعض البيوت التي تنتشر حولها ساحات مليئة بالغبار خالية من الأشجار وبعض خزانات المياه، بالإضافة إلى طريق تمتد على طول البلدة - هذا إذا كنت تستطيع أن تسمّيها بلدة - فيما يتلألأ الإسفلت تحت أشعة الشمس المزعجة.

اكتشفت ميريديث كل إنش من هذا المكان، فقد مضى على وجودها في ويمانزكريك ثماني عشرة ساعة، أمضت منها سبع عشرة بين صفحات كتابها،

www.liilas.com

وهو وقت تجاوز الحد كثيراً. سألت بيل فيما استدار الرجل باتجاه المتجر: «يعمل هذا الرجل في ويرينداغو. أليس كذلك؟»

أجابها بيل: «هو يملك المكان. إنه يملك كل متر من الألف كيلومتر مربع التي تتألف منها ويرينداغو».

حاولت ميريديث أن تتخيّل مساحة الألف كيلومتر مربع، لكنها لم تستطع. لابد أن ويرينداغو أكبر بكثير من الباحة الخلفية لبيتها الصغير في لندن. فكرت وهي تنظر إلى هال غرانغر بعين ناقدة، أتراه يظن أنه أكثر سعادة من سواه لامتلاكه تلك الأرض الواسعة؟ على أي حال، هي لا تريد منه شيئاً سوى أن يأخذها إلى لوسي. قالت: «شكراً، بيل. سأذهب لأتحدث إليه».

لكن قبل أن تتمكن من اتخاذ قرار بشأن كيفية التقرب إلى الرجل، كان بيل قد وضع أصابعه في فمه وأصدر صفرة حادة جعلتها تجفل، وناداه: «هال!»

ثم أضاف: «هنا، يا صاح!».

توقف الرجل الذي يُدعى هال عند باب المتجر، وسأل بانزعاج: «ما الأمر، بيل؟».

لم يغضب بيل لهذه الاستجابة غير اللبقة، بل ابتسم بابتهاج وأشار إلى ميريديث بإبهامه. وصاح في المقابل وكأن هناك ضرورة ليرفع صوته: «الفتاة هنا تريدك».

في الواقع، لم تستطع ميريديث أن تسمع تنهيدة هال، لكنها افترضت أن تنهيدته دوّت في أنحاء الريف فيما استدار وتوجه نحو الطريق. توقف في أسفل الدّرج المؤدي إلى شرفة المقهى، وعبّس في وجه ميريديث، وكأن شكله ليس مرعباً بما يكفي.

- ما الأمر؟

صرح بيل بارتياح: «سأترككما لتتحدثا».

ثم أردف مخاطباً ميريديث غير مدرك بعد لانزعاج هال الواضح، أو ربما

هو معتاد جداً على عبوسه فلم ينتبه لذلك: «أخبري هال بما تريدينه».

رفع بيل سرواله للمرة الأخيرة، ثم اختفى في ظلام الحانة تاركاً ميريديث وهال ينظران إلى بعضهما. بدا من الواضح أن أياً منهما لم يستلطف الآخر، كما بدا أن هال غرانغر ليس في مزاج يسمح له بتقديم خدمة لأي كان. تحت قبعته ظهرت عيناه ذات اللون الرمادي الباهت المروّع بنظراتهما غير الودية، ولم يساهم حاجباه العابسان الداكنان مطلقاً في التخفيف من حدّة طبعه الذي يحاول كبحه. هذا هو الانطباع الذي تركه هال عند ميريديث وهي تراقبه يترجل من الشاحنة. بالكاد يمكن أن يقال عن هال أنه وسيم بوجهه الشديد العبوس، لكن ما لا يمكن تجاهله هو قوة شخصيّته.

خمّنت ميريديث أنه يجدر بها التعامل معه بحذر. أما كان من الأفضل لو أنها ذهبت بمفردها وعرّفته عن نفسها بدلاً من أن يصفّر له بيل ليأتي كالكلب؟ على أي حال، ها هو الآن أمامها، وهي لا تستطيع أن تفعل شيئاً حيال الأمر. رسمت على وجهها أفضل ابتسامة، ثم نزعت نظارتيها الشمسيتين علها بذلك تبدو وديّة أكثر، إلا أن الأمر لم يبدُ مؤثراً بهال غرانغر.

بدأت الحديث بلكنتها الإنكليزية اللبقة: «أنا آسفة جداً لمقاطعتك».

لم تدرك قط أنها تشبه الملكة بلكنتها. أضافت: «لكن بيل أخبرني أنك تملك مزرعة للمواشي في ويرينداغو».

تجاهل هال ما لمحت ميريديث إليه، فقال: «نعم».

ضاقت عيناها الباهتتان الغريبتان قليلاً، إلا أنها حافظت على ابتسامتها وتابعت بجهد: «أنا ميريديث وست. أعتقد أن أختي تعمل لديك... لوسي».

أقر هال: «نعم. لوسي تعمل في ويرينداغو. نسيت أن شهرتها هي وست».

سألت ميريديث بقلق: «أهي بخير؟».

- كانت بخير حين غادرت هذا الصباح.

- آه! أشكر الله على هذا.

هبطت كتفا ميريديث فجأة من جرّاء ارتياحها. بالرغم من تأكيد بيل أن لوسي غالباً ما تأتي إلى البلدة أيام السبت مع مربي الماشية في ويرينداغو، وأنها بنظره الشخص الأكثر حيوية في المجموعة، لم تستطع ميريديث أن تزيل من فكرها كل الأسباب الرهيبة لانقطاع أختها عن الاتصال بها. ربما تكون لوسي مريضة، أو أنها اختُطفت، أو تعرضت لحادث، أو فقدت ذاكرتها... مرت في بالها هذه الاحتمالات مرات غير معدودة، وكلما طال الوقت ولم تسمع أي خبر عن لوسي، كلما بدت هذه الأسباب وجيهة أكثر.

الهدوء الذي ظهر على هال غرانغر طمأنها بطريقة لم يقدر اهتمام بيل الودّي أن يحققها. مر بعض الوقت وهي تتساءل عن السبب الذي منع لوسي من الاتصال بها إذا كانت بخير فعلاً. أتراها ما زالت تشعر بالانزعاج بسبب الطريقة التي افترقتا بها؟

رأى هال الارتياح يتصارع مع القلق في وجه ميريديث، فيما راحت تقضم شفتها بشك. بدت شفتاها جميلتين وممتلئتين، وشعر هال بالانزعاج من نفسه لملاحظته هذه. كما لاحظ فمها المرسوم بطريقة غير عادية وذلك الذكاء الحاد الذي يطل من عينيها والحيوية التي تميز تعبيرها.

ما كان ليخطر في باله أن ميريديث ولوسي شقيقتان، فلوسي شقراء نحيلة ومحبّبة، أما أختها فداكنة البشرة، وتتمتع بجسم جذّاب دائري الانحناءات وشعر بني اللون بدا كأنه مقصوص بعناية. لم يرغب بأن يقول عنها إنها جميلة، لكن حتى بالنسبة إلى عينيه غير الخبيرتين، بدت ميريديث فائقة الأناقة. كانت ترتدي سروالاً مفصلاً بعناية وقميصاً زرقاء باهتة أنيقة مع عقد من اللؤلؤ... لؤلؤ... حبّاً بالله! وقد بانت أصابعها قليلاً من فتحتي حذائها، فتمكن هال من رؤية أظافرها المطلية من موقعه المشرف في أسفل الدرج.

بدت هادئة وبارعة و... سخيفة كلياً. لو أنها تحمل بطاقة كتب عليها «فتاة المدينة» بأحرف ساطعة، لما أوضحت أكثر أنها خارج المكان الملائم لها.

وهال ليس لديه وقت لفتيات المدينة.

وضع قبعته على رأسه في وضعية مريحة، وسألها: «أهذا كل شيء؟»

رفعت ميريديث رأسها بعنف لسؤاله، وحدّقت فيه بقوة. أدرك بصدمة غريبة أن عينيها عميقتان وزرقاوان غامقتان، وأنهما جميلتان أيضاً. قالت بطريقة لاذعة قبل أن تتمكن من ردع نفسها: «لم أقطع تلك المسافة من إنكلترا لأسأل سؤالاً واحداً. أليس كذلك؟».

أضافت: «بالطبع! هذا ليس كل شيء».

سمعت ميريديث النبرة الساخطة في صوتها فتوقفت عن المتابعة وأخذت نفساً. إنها ترغب بأن تطلب منه معروفاً وهي لا تتصرف بالطريقة المناسبة. لقد تكبّدت عناء السفر لأيام، وشعرت بالحر والقلق والغثيان والتعب بسبب السفر بالطائرة لمسافة بعيدة. لِمَ لا يكون لطيفاً فحسب، ويعرض عليها أن يأخذها إلى لوسي؟ لأنها لا تستطيع أن تتحمل مشقة السفر أكثر، فهي تكاد تجهش بالبكاء من شدة الانهاك. لكن الانهيار ليس خياراً ممكناً ولا البكاء أيضاً.

قوّمت كتفيها، وثنت نظارتيها، ثم رسمت على وجهها ابتسامة استرضائية، وقالت: «أود أن أرى لوسي. أردت أن أستأجر سيارة لتقلني إلى ويرينداغو، لكن بيل قال إنه تدبير غير عملي».

علّق هال: «إنه غير عملي على الإطلاق، بل هو عمل أحمق».

قالت ميريديث وهي كارهة وضعها الدفاعي: «افترضت أن هناك طرقات».

- ليس نوع الطرقات التي اعتدتِها أنتِ. لن تتحملي السفر لخمس دقائق.

إن كانت تكره شيئاً فهو أن يقال لها إنها لا تستطيع القيام بشيء ما. لكنها منعت شفتيها من إطلاق إجابة سريعة في الوقت المناسب، فهي لا تستطيع أن تغضبه، وإلا فأنها ستبقى عالقة هنا في ومانزكريك، وهذا آخر شيء تريده. قالت: «حسناً! هذا ما قاله بيل، ولهذا أريد مساعدتك».

أخذت ميريديث نفساً، وتابعت: «أتساءل إن كنت تستطيع أن تأخذني

معك إلى ويريندغو».

جالت نظرة هال القاسية الرمادية على طول جسد ميريديث كأنه يرفض أن يتقبلها بجدّية، ما جعلها تشعر بالتصلب. تابع قائلاً: «لا أظن أنك ستحبين المكان».

ردّت ميريديث بجدية، بعد أن أدركت أن الاسترضاء لم يُفدها بشيء: «ربما أنت على حق، فهو ليس من نوع الأماكن التي أحبها، لكن الهدف لا يكمن هنا. هدفي هو التحدث إلى أختي، لذا عليّ الذهاب، وإلا بات علي أن أبقى هنا حتى نهاية الأسبوع على أمل أن تأتي لوسي إلى البلدة، لذا تبدو أنت فرصتي الأفضل».

حدّقت إليه نزولاً بعينيها الزرقاوين الغاضبتين، فيما انعقد حاجبا هال الداكنان أكثر بسبب الازدراء المخبأ في صوتها حين أردفت: «سأدفع ثمن الوقود إذا شئت».

ردّ هال بحدة: «لا مجال مطلقاً لحصول ذلك».

ثم تابع: «سآخذك معي ما دمت مصرة، لكن عليك أن تنتظري. علي أن أقوم ببضعة أعمال هنا».

لم تحبّذ ميريديث فكرة الانتظار أكثر وقد مضى على وجودها في ويمانزكريك وقت طويل، لذا اقترحت: «لعلني أستطيع مساعدتك! تُنجز الأعمال أسرع عادة بمعونة شخص آخر».

ثم أردفت: «إذا كنت تملك لائحة بالمشتريات، يمكنني أن أتبضّع لك أو...».

قاطعها هال: «لا أظن ذلك».

لم يستطع أن يفكر بشيء أسوأ من محاولته إنجاز ما عليه إنجازه برفقة هذه المرأة التي تهرول بجانبه بحذائها السخيف هذا، فيما هي تحاول تولي زمام أموره بذلك الصوت الإنكليزي المنمق. بدا على ميريديث أنها من النوع المسيطر، وهال لا يحب ذلك النوع من النساء، كما أنه لا يحب فتيات المدينة.

أمرها قائلاً: «ابقي هنا! سآتي لأقلك حين أنتهي من أعمالي».

- حسناً! إذاً، هل يمكننا أن نحدد وقتاً لتأتي وتقلّني؟

أجابها وهو يستدير ليذهب: «كلا! إذا أردت الذهاب إلى ويريندغو عليك أن تنتظري فحسب».

راقبته ميريديث باستياء وهو يغادر بخطوات كبيرة. ألم يكن باستطاعته أن يعطيها ولو تلميحاً عن مدى الوقت الذي سيغيبه؟ استدارت مجدداً إلى الشرفة وهي تتنهّد، وبدا لها أنها ستنتظر وقتاً طويلاً، وهذا ماحصل فعلاً. لم تستطع أن تصدّق كيف يمكن لرجل أن يجد وسائل تجعله يقضي وقتاً طويلاً في ويمانزكريك. بالنسبة إليها، خمس دقائق هي أكثر من كافية. لكن هال غرانغر بدا قادراً على إبقاء نفسه مشغولاً هناك لساعات.

جلبت حقيبتها وجلست على شرفة الحانة لتبقي عيناً يقظة على الطريق، خشية أن ينسى هال أمرها. لم يكن من الصعب عليها تتبعه بنظراتها وهو يتنقل بين المتجر والمصرف ومكتب وكيل المخازن، فويمانزكريك ليست تلك المدينة التي تعج طرقاتها بالحشود. في الواقع، هال غرانغر بدا الشخص الوحيد على الطريق، وشعرت ميريديث أنه يأخذ وقته متعمداً ليجعلها تنتظر.

أبعدت الذباب عن وجهها بسخط بتلويحة من يدها. بدا الجو حاراً جداً حتى في الظل، ولكم تمنت لو أن بإمكانها أن تستلقي في مكان بارد وتستغرق في النوم لأسبوع. بالرغم من عدم شعورها بالارتياح في جلستها ظلت رموشها تغمض، فكان عليها أن تنتفض لتستيقظ خشية أن ينطلق هال غرانغر من دونها لحظة تغمض عينيها، مدّعياً أنها لم تكن جاهزة.

أخذت ميريديث الكومبيوتر النقال من حقيبتها، وحاولت أن تركز على القيام ببعض الأعمال. لكن بدا هذا صعباً جداً وقامة هال الطويلة وشخصيته الصارمة تحومان على طرفي عينيها، فيما هو يقطع الطريق أو يخرج من المتجر. بدا كأن ملامحه المتجهّمة تلمع بين عينيها وشاشة الكومبيوتر... لم تظن ميريديث أنها لاحظت تفاصيل وجهه الناتئة العظام أو هيئة فمه

بالتحديد، لكنها دهشت حقاً كيف أمكنها أن تتصورها الآن. ذلك مدهش حقاً بل هو... مزعج.

استطاعت أن تنقل رسائلها الإلكترونية من الإنترنت إلى الكومبيوتر النقال في الليلة السابقة في بريسبان، لكنها شعرت بالتعب الشديد ففقدت الكلمات وضوحها على الشاشة. كانت على وشك أن تستسلم للنعاس حين خرج هال من المتجر المقابل، وصعد إلى الشاحنة. انتفضت ميريديث وجلست في وضعية مستقيمة، واستعدّت لأن تبدأ بالجري وراءه. لكن سرعان ما اتضح لها أنه لم ينسَ أمرها، إذ قاد الشاحنة، ثم توقف بالقرب من درج المقهى.

وضعت الكومبيوتر النقال في حقيبته الخاصة بسرعة قياسية، وتناولت حقيبتها، لكنها فوجئت لرؤية هال غرايغر بقربها وهو يقول: سآخذها".

بدأت ميريديث بالكلام، لكن هال تجاهلها فيما حمل الحقيبة على الدرج وطرحها في الجهة الخلفية للشاحنة.

- أستطيع أن...

أنهت ميريديث كلامها في سرّها وهي تتبعه: «... أحملها بنفسي»

ودعت ميريديث بيل، وبدا هذا الأخير مبتهجاً لسماعه أنها ستعود مجدداً في وقت قريب جداً. ربما تعود برفقة لوسي أو وحدها، فهي لا تنوي قضاء وقت طويل في الريف الأسترالي.

أشار هال إلى الكومبيوتر، وسألها: «هل تريدينني أن آخذ هذا؟»

نظرت باستنكار إلى الجهة الخلفية للشاحنة، حيث ترقد حقيبتها في طبقة كثيفة من الغبار بين علبتين مختومتين ومجموعة من الآلات الزراعية. لا مجال لأن تضع الكومبيوتر النقال هناك. قالت وهي تضمه إلى صدرها لحمايته، وكأنها خائفة أن يسحبه منها: «سأبقيه معي. شكراً».

هزّ هال كتفيه، وقال وهو يفتح الباب: «كما تشائين».

أسرعت ميريديث إلى الجهة الأخرى، وتسلقت الشاحنة بجهد وارتباك، لتجلس إلى جانب مقعد السائق. نظفت المقعد قليلاً بيدها، لكن ذلك لم

يُحدث فرقاً كبيراً، فكتمت تنهيدة وهي تجلس، وفتشت حولها عن حزام الأمان. لا بد أن سروالها سيتوسخ.

قال هال وهو لا يبدو آسفاً على الإطلاق: «آسف على وجود الغبار».

ثم تابع: «إن المكيف معطل».

عظيم! فقدت ميريديث الأمل كلياً، إذ بدت لها الرحلة غير مريحة. مسدت سروالها في محاولة فاشلة لتنظيفه. إنها معتادة على سيارات ذات مقعدين مفصولين بعلبة التروس، أما في هذه الشاحنة فالمقعدان هما عبارة عن مقعد طويل واحد قاس، غطاؤه البلاستيكي ممزّق في أماكن عدة. مع هذا فكرت أنها محظوظة لوجود الحشوة في المقعد. لطالما اعتقدت أن مقاعد كهذه انتهت موضتها في الستينات قبل أن توضع حزامات الأمان موضع التنفيذ.

نظرت ميريديث إلى هال غرانغر فيما شغّل هذا الأخير محرّك الشاحنة، وتساءلت إذا كان قد استعمل هذه الشاحنة لاصطحاب فتاة ما في نزهة. لا بد أنه مرّ في عمر المراهقة، بالرغم من صعوبة تصور ذلك الآن فيما هو يبدو رجلاً قوياً متجهماً. على أي حال، أين تراه سيتمكن من إيجاد فتاة رائعة ليواعدها وهو يعيش هنا في مكان شبه معزول؟

حسناً! لمَ لا؟ فالناس هنا أيضاً يلتقون ويتزوجون، وهال نفسه قد يكون متزوجاً. أتراه متزوج؟ افترضت أنه يكبرها قليلاً في السن فهو يناهز الأربعين عاماً، لذا فإن فكرة زواجه ليست بعيدة الاحتمال، بالرغم أنها لم تستطع تصور الأمر تقريباً. بدا هال منغلقاً وصارماً، لذا بدا من المستحيل أن تتصوره سعيداً، مبتسماً، أو واقعاً في الحب... خطرت هذه الفكرة ببال ميريديث فجأة، فأحست بوخزة غير متوقعة في المعدة جعلتها تشعر بالصدمة، فشهقت بطريقة عفوية. في اللحظة التالية، شعرت بنظرة هال الباردة الرمادية مركزة عليها فيما أدار رأسه لينظر مباشرة إلى عينيها.

سألها وهو مقطب الجبين، ويده مثبتة على مبدّل السرعة: «هل أنتِ بخير؟»

أحست ميريديث بالرعب، وعلا الاحمرار وجنتيها. أجابته بسرعة:

«نعم بخير. أنا فقط... أشعر بالحر قليلاً».

أضافت وقد شعرت بالارتباك بطريقة سخيفة: «أنا بخير».

لم يبدُ على هال أنه لاحظ أمراً خاطئاً. قال: «ستهب نفحات من النسيم ما إن ننطلق».

اكتشفت ميريديث بعد أن انطلقا على الإسفلت أن «نفحات من النسيم» هي ذلك الهواء الذي يضرب بعنف من خلال النوافذ المفتوحة فيما الشاحنة تسير بسرعة فائقة. تحوّل شعرها إلى خصل متشابكة معقدة ملتصقة بوجهها، تعلوها طبقة غبار أحمر. وحين رفعت يدها لتلمس خدّها، بدا ملمسه كورق الزجاج، فظهرت على وجهها تكشيرة. سألته وهي ترفع صوتها فوق صوت الهواء المتسارع: «كم يلزمنا من الوقت للوصول إلى ويرينداغو؟»

هزّ هال كتفيه وقال: «ساعتين».

حدّقت ميريديث في الإسفلت الممتد بطريقة وحشية أمامهما وهي تشعر بالرعب، وكررت: «ساعتين؟»

ثم أقرت: «لم أتخيل أن الطريق تستغرق منا هذا الوقت الطويل».

- ساعتان هما فترة جيدة.

نظر هال إليها فيما كافحت كي لا يتطاير شعرها الداكن على وجهها، وأضاف: «تأخذ الرحلة وقتاً أطول في الطقس الماطر حين تمتلئ الجداول بالمياه».

ثم أردف: «أحياناً لا نستطيع العبور إطلاقاً، فنضطر إلى السفر جواً».

فكرت ميريديث مطولاً بالسوبر ماركت التي تقع عند الزاوية بالقرب من بيتها في لندن، ثم علقت: «تبدو هذه مسافة طويلة في حال أراد أحدهم التبضّع».

ثم أضافت: «ألا يوجد مكان أقرب؟»

أجابها هال: «لا. تقتصر ويمانزكريك على المحليين، أما نحن فلا نأتي إلى هنا ما لم يكن الأمر ضرورياً».

لم تستطع أن تتخيّل أن أحداً قد يرغب بالذهاب إلى ويمانزكريك إذا كان

بإمكانه تجنب الأمر. بدا من كلام بيل أن الرحلة إلى البلدة رحلة عادية يقوم بها مربو الماشية في ويرينداغو مساء نهار السبت طلباً للمتعة، لكنها تساءلت ما الذي يفعله هؤلاء هناك؟ ما من شيء هناك سوى الحرارة المتوهجة والذباب والغبار الأحمر الناعم الذي يبدو أنه يعلق بكل شيء. من المفترض أن المقهى هو المكان الذي يجذب الأنظار، لكن سحره لم يؤثر في ميريديث مطلقاً. حسناً! بوجود مكان كهذا لن تواجه مشكلة في إقناع لوسي بالعودة معها. ما من شيء يشفي أختها من مثالياتها الرومنسية كالعمل لصالح رجل مثل هال غرانغر في هذا المكان الفظيع المقفر.

تذكرت حين قالت لها لوسي بحماسة بالغة: «إن الريف الأسترالي جميل».

وأضافت: «لا أستطيع الانتظار لأصل إلى هناك وألتقي برجال حقيقيين».

طمأنت لوسي أختها الكبرى التي شككت بالأمر أن رجال الريف الأسترالي أقوياء وقليلو الكلام، وأنهم يمتطون الأحصنة، ويعتمرون القبعات، ويرتدون القمصان النظيفة، بالإضافة إلى تمتعهم بسحر هادئ ووسامة لا مثيل لهما.

التوى فم ميريديث فيما نظرت بطرف عينها إلى هال غرانغر. إنه يعتمر قبعة ويبدو ممشوق القوام، وهي تعترف له بهذا، لكنه ليس فائق الوسامة أو ساحر. بالطبع، قد يبدو مختلفاً إذا ما ابتسم. أقرت ميريديث بذلك لنفسها، لكن لم يبدُ عليه أنه غالباً ما يفعل هذا. بالرغم من ذلك قد يبتسم للوسي، كما ذكرت ميريديث نفسها، فالرجال عادة يفعلون.

وكأن لوسي تهتم إذا ما قاد هال شاحنة قديمة بدل أن يمتطي فرساً برية. حتى إن الرجل لم يبدُ من أولئك الذين يحرصون على ارتداء قمصان نظيفة. فكرت ميريديث بابتهاج، لا بد أن أوهام لوسي المسكينة تبدّدت. لو كانت مكانها، لاغتنمت الفرصة للهروب. لكن... لو كانت مكان لوسي، لكانت هي الشخص الذي أراد ريتشارد رؤيته ولم تكن لتتواجد هنا إطلاقاً.

اختفت ابتسامة ميريديث حين خطر ريتشارد ببالها. ليتها تستطيع معرفة

أخباره! لم يكن الارسال جيداً هذا الصباح لتتصل بأمه هاتفياً. بدا لها كأن أسابيع مرت منذ أن وقفت بجانب سريره في المستشفى ووعدت بأن تجد لوسي، مع أنه لم يمضِ على ذلك أكثر من يومين أو ثلاثة. مسحت ميريديث الغبار عن خدها وهي تشعر بالتعب.

سمع هال تنهيدتها فنظر إليها. فكر بقليل من وخز الضمير أنها تبدو مرهقة. قدّر أنها كانت متعشة لدى خروجها من الطائرة الآتية من لندن إلا أنها باتت منهكة على الأرجح. يجدر به أن يتصرف معها بلباقة أكبر. ليس من عادته أن يكون فظاً. لسوء الحظ، التقت ميريديث به في يوم سيء. كل شيء بدأ يسير بشكل خاطئ مؤخراً. يكفي أن يلقي أحدهم نظرة على قطعة من الآليات لتتكسر على الفور، كما أن المطر كان شحيحاً والإنتاج ضعيف، أما الفوائد المصرفية فأصبحت عالية جداً. وفوق هذا كله، كان عليه أن يهتم بالطفلين... وقفة ميريديث الواثقة في أعلى درج المقهى، وهي تتمعن فيه، أغضبته كثيراً. من النظرة الأولى، بدا له أنها تمثل كل ما يحبه وكل ما يثق به.

لم تكن المرأة تتذمّر، مع أنه يبدو بوضوح أنها لا تستمتع بوضعها على الإطلاق، هذا ما لاحظه هال باحترام بالرغم منه. التوت زاويتا فمها إلى الأسفل فيما ألقت نظرة عامة على الطريق أمامها، وبدا واضحاً أنها لم تعجب بما رأته قط.

لاحظ هال أن شفتيها الممتلئتين لا تتناسبان مع شخصيتها القوية. قال بسرعة: «أنت لا تشبهين أختك كثيراً، أليس كذلك؟»

أطلقت ميريديث تنهيدة تنم عن الاستسلام للأمر الواقع، ثم قالت له: «سمعت ذلك من قبل».

ثم شرحت بنبرة ساخرة: «لوسي هي الجميلة، وأنا الذكية. هذا ما يقال لنا دائماً».

في اللحظة التالية قال هال الجملة التي غالباً ما تثير ضحك ميريديث: «لا تبدو لوسي لي حمقاء».

- أتعلم؟ فاتك أن تقول: «آه، لكنك جميلة أيضاً، ميريديث!».

ثبّت هال نظرته على الطريق أمامه مجدداً، وقد شعر بالارتباك بسبب مظهرها الذي بات أكثر جمالاً حين ابتسمت. سألها: «هل كنت لتصدقيني لو قلت هذا؟»

أجابته ميريديث: «على الأرجح... لا».

أتراها تمازحه؟ بالطبع لا! على الأرجح أنها ستحتقر هال لو ادّعى أنه يظنها جميلة، فيما أنها ليست كذلك، لذا شعرت ميريديث بالسرور لأنه تحلى بالصدق ليكون صريحاً معها.

قال هال: «ليس هذا ما قصدته، على أي حال. لم أكن أتكلم عن المظهر الخارجي حين قلت إنك لا تشبهين لوسي. كنت أفكر بالطريقة التي تحب فيها لوسي الريف الأسترالي. إنها تحب ويمانزكريك، وتحب ويرينداغو، كما تعجبها فكرة أننا نعيش في عزلة تامة. لو كانت الآن مكانك، لوجدتها مطلة برأسها من تلك النافذة وعلى وجهها ابتسامة كبيرة».

أحست ميريديث بالخوف. آه! يبدو أن أختها لم تتخلّص بعد من أفكارها المثالية تلك. اعتقدت أن حماس لوسي تضاءل بعد شهرين، لكن إذا كانت لا تزال حالمة بالريف كما قال هال، فقد تواجه صعوبة أكثر ممّا توقعت لتقنعها بالعودة. فضلت ميريديث أن تشعر بالخوف بسبب تلك الفكرة بدلاً من شعورها به لإدراكها أن هال غرانغر الصارم نفسه ليس محصّناً ضد سحر أختها الجارف.

قالت: «نعم، بالفعل. لطالما كانت لوسي رومنسية».

- وأنت... ألستِ كذلك؟

أدارت ميريديث رأسها لتنظر من النافذة مرة أخرى. كانت عيناها محجوبتين خلف نظارتيها الشمسيتين، لكن هال خمّن أنهما هادئتان كصوتها حين قالت: «لا! لست كذلك».

- هذا أفضل.

ثم أضاف: «يمكن للريف أن يكون مكاناً فظاً، والرومنسيون لا يتحملون الوضع طويلاً».

لاحظت نبرة رافضة واضحة في صوته، ووجدت نفسها تنحاز إلى الدفاع عن أختها، فأعلنت: «مضى على وجود لوسي هنا فترة من الزمن».

- شهران.

أزاح هال الفكرة جانباً بحركة من يده. وقال: «أتكلم عن فترة العمر على المدى الطويل. سيتحمل على الأرجح شخص حسّاس مثلك وقتاً أطول من شخص مثل لوسي مفعم بالأفكار الرومنسية».

علقت ميريديث، وهي تنظر إلى المنظر الطبيعي الموحش، وهو عبارة عن أميال منبسطة نحو الأفق: «بصراحة، لا أستطيع أن أفهم كيف سيتحمل شخص حساس قضاء أيام عمره هنا».

وأضافت: «هل هذا المكان... فارغ تماماً كما يبدو؟»

تتبعت نظرة هال نظرتها، وقال: «لا أرى الفراغ هنا. أرى المدى، والسماء الكبيرة والهدوء بعيداً عن زحمة الحشود. أرى أرضاً خصبة لترعى الماشية لو حظينا بالمزيد من المطر».

توقف هال قليلاً، ثم تابع: «أرى فيه موطني».

قالت ميريديث بنظرة فضولية: «ظننت أنك لست رومنسياً».

هز هال كتفيه، وكأنه شعر بالخجل لاندفاعه في الكلام بطلاقة. ثم رد بإيجاز: «لست رومنسياً، وليست لدي أية أوهام عن مدى صعوبة الحياة في البراري».

راح يدوس على الفرامل قليلاً أثناء كلامه، فنظرت ميريديث حولها متفاجئة.. لم يكن هناك سبب ليبطئ من سيره على طريق مستقيمة جداً كتلك الطريق. سألته: «إلى أين تؤدي هذه الطريق؟»

أشار هال إلى عجلة مقطوعة إلى نصفين وقد وضع أحدهما في الزاوية بين المسار المليء بالغبار والطريق المقطوعة تماماً. وقد كتبت كلمة «ويريندا غو» حول التواء العجلة باللون الأبيض. ظهر الابتهاج على ميريديث، فسوّت جلستها، وهتفت بارتياح: «لقد وصلنا!».

نظرت إلى ساعة يدها وأدركت أنه لم يمضِ على انطلاقهما سوى ثلاثون

دقيقة، فعلقت: «ظننتك قلت إن الرحلة ستستغرق ساعتين».

هز هال رأسه لجهلها، فيما مال بالشاحنة بعيداً عن الإسفلت ليتبع المسار الترابي، ثم قال: «هذا ما تستغرقه الرحلة حقاً... إلى الديار».

قالت ميريديث وهي تشعر بثقة أقل في نفسها، رافضة في الوقت نفسه التخلي عن تصوّرها بأنهما قد وصلا: «إذاً هذه ليست طريقاً خاصة».

أخبرها هال: «بل هي كذلك تقريباً».

وتابع: «إنها تؤدي إلى ويريندا غو فحسب».

بدا لها هذا واعداً، فارتاحت قليلاً، وقالت: «آه، حسناً..!».

حذرها هال وهو يراها تتخيل وصولاً مبكراً: «لا تعقدي آمالاً كبرى».

وأضاف: «يمكنك أن تسترخي، فأمامنا طريق طويلة بعد».

٢ - رحلة دون نهاية

تمثلت لها الحقيقة القاسية بعد ثوانٍ فقط، حين ارتجت الشاحنة بسبب حفرة عميقة، ووجدت ميريديث نفسها مرمية على هال. بدافع غريزتها، تمسكت بما وقعت عليه يدها، وأدركت متأخرة جداً أنها متشبثة به.

قال لها فيما نزلت الشاحنة في حفرة أخرى: «عليك أن تتشبثي بشيء ما».

ازداد غضب ميريديث لإدراكها أن تلامسهما غير المتوقع لم يؤثر إطلاقاً بهال، فردّت عليه بسرعة وهي تنزع يدها عنه: «بمَ يمكنني أن أتشبث؟»

علا الاحمرار وجنتيها، وشعرت بمزيج من الخجل والسخط. التقطت النافذة المفتوحة وحاولت إسناد قدمها إلى الأرض لتمنع نفسها من الانزلاق إلى مقعد هال مجدداً، لكن الأمر أصبح أكثر صعوبة حين أخذت الشاحنة ترتطم بالحفر بعنف وتميل من جانب إلى آخر.

– هل سنظل على هذه الحال طوال الطريق؟

ألقى هال نظرة جانبية على ميريديث. بدا له أنها تشعر بالحر وأنها غير مرتاحة. كان شعرها يلتصق برأسها على شكل كتل طيّرها الهواء، وقد أصبح لباسها الأنيق مكسواً بالغبار وفكاها مطبقين بجهد أثناء محاولتها للتشبث جيداً. إلا أنها لا تزال تتمتع بأسلوب خاص بها، كما فكر هال باحترام رغماً عنه.

قال: «لا. لا يمكنك أن تتوقعي أن تكون كل الطرقات جيدة كهذه الطريق. تعرفين ذلك!»

هبط فك ميريديث، وحدّقت به بعدم تصديق مروّع. ثم كرّرت بصوت

مرتفع: «جيدة؟ اهذه طريق جيدة؟»

ما لبثت أن رأت التواء بسيطاً على زاوية فم هال. من الواضح أنه يبدو مستمتعاً بجهلها التام للريف الأسترالي. حسناً! فليضحك. هي لا تحاول أن تجعله يتقبلها، فهي لا تريد أن تنتمي إلى ذاك الحر الذي يحبّه وإلى الغبار والطرقات المريعة.

قال هال بطريقة فظة: «مضحك جداً!»

ثم أردف كأنه يحاول الاعتذار: «ستتحسن بعد دقيقة».

أهذا رأيه في التحسن؟ بعد دقيقة أصبح المسار مستوياً، لكن بدلاً من أن ترتج الشاحنة ببطء فوق الحفر، زاد هال من سرعة الشاحنة فأخذت ترتج بعنف فوق الالتواءات بسرعة مخيفة.

سألته ميريديث بتوتر: «أعلينا أن نسير بهذه السرعة؟».

أجابها: «نقطع الطريق بطريقة أسهل بهذه السرعة. صدّقيني، الأمر مريح أكثر بهذه الطريقة».

تنهدت ميريديث وقالت: «نسيت ما معنى الراحة».

بدا ظهرها يؤلمها، وتصلّبت رجلاها ويداها من جراء التشبّث بزوايا غير مريحة. سيمتلئ جسدها بالكدمات السوداء والزرقاء غداً. فكرت ميريديث بكآبة أنها لن تتمكن من إزالة العقد من شعرها، كما أن الغبار بات معشعشاً في كل مكان من جسمها... في أذنيها وتحت أظافرها، ولا بد أنه تسلل إلى أماكن لا تفضل التفكير فيها. أغرتها فكرة الغطس في حوض استحمام عميق ونقع جسمها في الماء حتى تنظف، فوجدت نفسها تتنهد مجدداً حتى التقت عيناها بعيني هال.

قالت بطريقة لاذعة: «لا تقل لي إن لوسي قد تحب هذا لو كانت هنا!»

ازداد عمق الغمازة في خده، وتساءلت ميريديث بانزعاج، ألا يبتسم هذا الرجل ابتسامة كاملة مطلقاً؟

رمقها هال بنظرة أخرى من نظراته الحادّة قبل أن يؤكد لها: «بل على الأرجح أنها ستفعل».

وتابع كلامه بتوجيه الأسئلة لها: «ماذا عنكِ؟ ماذا تحبين؟ ليس البراري كما هو واضح».

- لا!

تشبثت ميريديث بالكومبيوتر النقّال فيما نظرت إلى خارج النافذة. رأت بعض الأشجار المتفرقة الفارعة الطول التي كسرت رتابة الأشجار الخفيضة بالإضافة إلى حومة من البعوض الأبيض ترتفع عن الأرض بين الفينة والأخرى، لكنها لم تستطع أن تفهم كيف يمكن لأي شخص أن يحب هذا المنظر الطبيعي. بدا كل شيء أجرد ذا لون بني داكن. لم تر في ذلك المكان سوى غبار ووهج وسكون. ما الجميل في هذا المنظر ليحبه الآخرون؟

أكدت ميريديث مجدداً: «لا! أنا ابنة مدينة. أحب البنايات والأرصفة والأضواء والناس والضوضاء. وأحب بيتي».

لو أنها تستطيع أن تكون هناك الآن، لاستحمت وسحبت الستائر في غرفة نومها الجميلة، والتمست الدفء تحت اللحاف ونامت لأسبوع.

قالت وهي ترفع يدها عن لوحة أجهزة القياس وتشير بها نحو الأرض اللامتناهية الممتدة في كل اتجاه حولهما: «هذه... هذه كلها... غريبة عني».

- ماذا تفعلين هنا إذاً؟

سمع هال النبرة الفظة في صوته، وتنبه لإدراكه أنه بدا محبطاً تقريباً. بدا واضحاً على ميريديث أنها ابنة مدينة... مدينة إنكليزية بالتحديد. قد يكون من الصعب إيجاد شخص بعيد الانتماء عن هذا المكان أكثر منها. بالرغم من هذا، ها هي هنا وقد فرضت نفسها على هال خلال تلك الرحلة، متحلية بما يكفي من العزم لتأتي إلى ويرينداغو. أليس باستطاعتها على الأقل أن تدّعي بأن المناظر أثارت انتباهها؟

أجابته ميريديث: «أخبرتك من قبل أنني أريد أن أرى لوسي».

- هل تتوقع لوسي قدومك؟ لم تذكر شيئاً عن ذلك.

قد تنسى لوسي بعض الأمور، لكن هال يعرف جيداً أنها كانت لتخبره

لو عرفت بالأمر.

هزت ميريديث رأسها، وقالت: «هي لا تعرف بقدومي».

ثم أردفت: «حاولت الاتصال بها، لكن لم يكن هاتفها الخلوي في الخدمة، كما أنها لم ترد على أي من الرسائل التي تركتها لها».

- لا يعمل هاتفها في ويرينداغو.

قال لها هال ذلك وكأنه شيء يعرفه أي أحمق. بعدئذ أضاف: «إرسال شبكة الهاتف الخلوي لا يغطي هذه المنطقة».

- ماذا؟ إطلاقاً؟

حاولت ميريديث أن تتخيل الحياة من دون هاتف خلوي لكن بدا ذلك مثل محاولتها تخيل مساحة ألف كيلومتر مربع. إنه عالم مختلف هنا، بالتأكيد. بدا لها الكومبيوتر النقّال الشيء الوحيد الطبيعي. ضمّته إلى جانبها لكي تحميه فيما اهتزت الشاحنة بعنف على الطريق الوعرة.

- إذاً، هذا يفسّر سبب عدم قدرتي على معرفة أخبارها لمدة طويلة».

تابعت بعد قليل: «بدأ القلق يساورني».

سألها هال بنبرة مشككة: «هل أصابك القلق إلى حدّ جعلك تسافرين إلى أستراليا؟»

وما لبث أن أردف: «لوسي فتاة راشدة. أستغرب أن تفكري بتفقد أحوالها لمجرد أنك لم تسمعي أخبارها منذ بضعة أسابيع».

قالت ميريديث بنبرة دفاعية: «أنا لم آت لتفقد أحوالها، لكنني خشيت أن يكون هناك خطب ما».

لم يتأثر هال بعذر ميريديث، بل سألها باستغراب: «كم تبلغ لوسي من العمر؟ أربعاً وعشرين سنة... خمساً وعشرين؟ لا أصدق أنك طاردت أختك من الجهة الأخرى للعالم لمجرد أنها لم ترسل لك بطاقة بريدية منذ شهرين!»

قضمت ميريديث شفتيها وقالت: «لم يقتصر الأمر على هذا فحسب».

وأكملت: «أصيب صديق لنا بجروح خطرة في حادث سيارة منذ عشرة

أيام، وأردت إخبارها بالأمر. حاولت الاتصال بها، لكنني لم أعرف أن الهواتف الخلوية لا تعمل هنا، وحين لم أتلقَ أي جواب على رسائلي، بدأت أقلق».

عبس هال وقال: «هل قطعت هذه المسافة الطويلة لمجرد أن توصلي للوسي أخباراً سيئة؟»

ثم تابع: «ألا ينتظر ذلك الخبر إلى حين عودتها إلى المنزل؟ أظن أنها ستشعر بالأسف، لكن لا يسعها أن تفعل الكثير وهي هنا».

قالت ميريديث: «بلى يمكنها أن تفعل شيئاً ما».

أدارت ميريديث رأسها قليلاً مدعية أنها تنظر خارج النافذة كي لا يستطيع هال رؤية وجهها. وأردفت: «يحتاج ريتشارد إليها».

آه، نعم! إنه يحتاج إلى لوسي وليس لها!

قال هال: «هل ريتشارد هو الذي أصيب في الحادث؟»

وأردف: «يبدو لي أنه يحتاج إلى عناية طبية جيدة، ولوسي ليست ممرّضة. لا أرى ما الذي تستطيع فعله».

- تستطيع أن تخلصه من الغيبوبة.

تمنت أن تتمكن من تفسير الأمر للوسي أولاً، لكن على هال أن يعرف سبب رحيلها أيضاً. قالت: «منذ أن تعرض ريتشارد للحادث وقع في غيبوبة، ويقول الأطباء إن الأصوات المألوفة قد تساعده».

ابتلعت ميريديث ريقها، وحدّقت إلى الأمام. تشبثت إحدى يديها بالنافذة، فيما أمسكت الأخرى بلوحة أجهزة القياس المعدنية، لكنها لم تكن ترى الريف بل غرفة العناية الطبية المكثفة. رأت ريتشارد ممدداً على السرير، فيما وقف والداه إلى جانبيه وقد ظهر التوتر على وجهيهما. أكملت قائلة: «والدا ريتشارد يشعران بالقلق الشديد. لم يتركاه قط أثناء معاناته، كما أن بقية أفراد عائلته يتكلمون معه باستمرار أيضاً، لكن يبدو أن ذلك دون جدوى. الجميع مقتنعون أن صوت لوسي هو الوحيد الذي سيساعده على استعادة وعيه».

استدارت قليلاً لتنظر إليه وقد دبّت فيها الرغبة فجأة لتجعله يفهم مدى أهمية ذهاب لوسي إليه، فيما علق هال قائلاً: «يبدو لي أنهم يتعلقون بآمال واهية».

أجابت مدافعة: «لا! أنا واثقة أنهم على حق، فريتشارد يعشق لوسي».

ارتاحت ميريديث لقولها هذه العبارات من دون أي ارتجاج خائن في صوتها. لن يعرف هال أبداً كم تكبدت من عناء لتسلّم بصحة هذه الحقيقة.

بعدئذ اكملت تقول: «هي الشخص الأهم في العالم بالنسبة له. كاد ريتشارد ينهار حين غادرت لوسي إلى استراليا. كل ما أراده هو أن ترجع إليه. وإذا ما استطاع أحدهم أن يعيد إليه وعيه، فلن يكون سوى لوسي».

قال هال: «إذا كان سيستعيد وعيه سيفعل، بغض النظر إذا كانت لوسي موجودة أم لا».

ثم أردف: «وإذا لم يفعل، لا جدوى من أن تعود لوسي مسرعة إلى لندن، أليس كذلك؟ هذا ما أحسبك تريدينه منها».

هزّت ميريديث رأسها بالإيجاب وقالت: «علينا المحاولة على الأقل».

- أنا لا أفهم السبب. يبدو لي الأمر هراء عاطفي. قد يكون ريتشارد الذي تتكلمين عنه مغرماً بلوسي، لكن من الواضح أنها ليست كذلك، وإلا لما أتت إلى أستراليا. كما أود أن أقول لك إنها لم تظهر أي علامات للحزن والتوق الشديدين، بل هي تسلي نفسها جيداً مع شاب أعرفه».

لم تكن ميريديث واثقة تماماً ممّا عناه هال بقوله هذا، لكنها خمّنت أن أختها هي على الأرجح على علاقة مع شخص يعمل لدى هال. حسناً! يبدو أن لوسي وجدت حبيباً آخر. هذا ما فكرت به ميريديث مع تنهيدة. فأختها تبدو دوماً واقعة في حب أحدهم، وريتشارد كان أحد هؤلاء إلى أن فضحت ميريديث نفسها. لو أنها انتبهت أكثر لتعبيرها لما علم ريتشارد قط بشعورها، كذلك لوسي. لو لم ترَ هذه الأخيرة وجه ميريديث صدفة في تلك المرآة...

سألتها لوسي وقد صُعِقَت بالخبر: «لِمَ لم تخبريني أنك تحبينه؟»

كيف يمكنها أن تتفوه بشيء من ذلك فيما بدا واضحاً أن ريتشارد غارق

في حب لوسي؟

ركّزت ميريديث أفكارها مجدداً على المشكلة التي هي بصددها. قالت ببساطة: «ربما وجدت لوسي شخصاً آخر، لكنها ما زالت مولعة بريتشارد».

ثم تابعت: «أنا واثقة أنها سترغب في مساعدته».

علق هال ببرودة: «ربما سترغب في ذلك، لكنها لن تقوم برحلة إلى لندن لتفعل هذا، فلديها عمل تقوم به هنا».

اعترضت ميريديث قائلة: «لا يمكنك أن تمنعها!»

- أحقاً؟ وقعت أختك عقداً مدته ستة أشهر، مضى منها حتى الآن شهران فقط. إذا أرادت الرحيل بعد انقضاء الأشهر الستة فهذا يعود إليها، لكن حتى ذلك الوقت عليها أن تبقى في ويرينداغو.

حدّقت به ميريديث غير مصدقة، وقالت: «لكن... لا أصدق أنك تلزمها بهذا وريتشارد مريض جداً! ألا يمكنك على الأقل أن تعطيها إجازة؟»

قال هال بقسوة: «اسمعي! لو جئت إلي وقلت إن فرداً من عائلتك مريض ويواجه خطر الموت لكان الأمر مختلفاً، لكنني فهمت من كلامك أن هذا الشاب هو مجرد حبيب سابق».

أضاف بعد قليل: «أفترض أن لدى لوسي أسبابها لتقطع تلك العلاقة، ولا أرى السبب الذي يجعلك تتوقعين أن تترك كل شيء هنا وتسرع إلى رجل قررت مسبقاً أنها لا تريد البقاء معه. يبدو الأمر وكأنك تبتزينني لتجعليني أشعر بالذنب».

علقت بشراسة: «هذا ليس ابتزازاً!»

كيف يمكنه أن يكون عديم الإحساس إلى هذه الدرجة؟ ألا يدرك خطورة وضع ريتشارد؟ إنه لن يهتم على أي حال، فمن الواضح أنه عديم الإحساس كلياً. قالت ميريديث وهي ترمقه بنظرة جريئة وجهتها نحوه مباشرة: «أنا واثقة أن لوسي لن تفكر بهذه الطريقة».

قال هال بصوت ينم عن عدم الارتياح: «لا أهمية لما تفكر به، فهي ليست ذاهبة إلى أي مكان. يحتاج الرجال هنا إلى الطعام وعلى أحدهم أن

يعتني بالطفلين. من سيعتني بهما حين ترحل؟»

أمالت ميريديث رأسها إلى جهة واحدة مدعية أنها تفكر بالمسألة، وقد شعرت بالغضب إلى درجة أنها لم تأبه لحقيقة إذا ما كان متزوجاً. اقترحت بطريقة لاذعة: «ماذا عنك؟»

أجابها هال: «أملك مساحات شاسعة من الأراضي، وعلي أن أديرها. ليس لدي وقت لأرعى طفلين».

- ربما كان عليك أن تفكر بالأمر قبل أن تنجبهما.

فاجأها هال قائلاً: «هما ليسا طفلي. إنهما طفلا أختي».

- آه!

راود ميريديث شعور أنها حمقاء. أردفت: «هل يعيشان معك طوال الوقت؟»

أجاب هال بارتياح: «لا، والحمد لله!»

ثم أكمل: «نشأت أختي ليديا في ويرينداغو معي، لكنها تزوجت رجلاً مدني الطباع، وهي تعيش في سيدني منذ ذلك الوقت».

بيّن هال بوضوح في نبرة صوته رأيه «بالطباع المدنية»، وفكرت ميريديث أن ليديا اتخذت القرار الصحيح على الأرجح. إذا خُيرت هي بين هذا المكان المهجور وجلبة المدينة في سيدني، لعرفت أي وجهة تختار.

تابع هال بصوت ملؤه النفور: «تمر ليديا وغريغ بمشاكل منذ فترة، فغريغ يسافر كثيراً بداعي العمل، وتعتقد ليديا أن علاقتهما سوف تتحسّن إذا ما أمضيا وقتاً أكبر معاً، لذا خططت أن تذهب معه إلى أوروبا لمدة شهرين».

- إذاً عليك أن تهتم بالصغيرين أثناء غياب والديهما.

وهي التي اعتقدت أنها تطلب معروفاً كبيراً حين طلبت من هال أن يوصلها إلى ويرينداغو! لا بدّ أن أخت هال امرأة قوية.

هزّ رأسه بالإيجاب، لكن بدا واضحاً أنّ فكرة بقاء طفلي أخته لديه لم تكن من اختياره، إذ قال: «لم تطق ليديا انتظاراً لترحل من ويرينداغو إلى

المدينة، لكنها تحب فكرة الملكية الريفية، لذا قررت أن هذه الرحلة هي فرصة مثالية لطفليها ليتقربا مني ومن «الإرث الريفي» كما تسميه».

التوى الفم الصارم إلى الأسفل عند زاويتيه، وشعرت ميريديث بالأسف لبقاء الطفلين مع خالٍ متجهم في هذا المكان النائي. يا لهما من مسكينين!

أضاف هال بسخرية: «قضينا أنا وأختي وقتاً طويلاً مع خالنا حين كنا طفلين، وأظن أنها تتمنى أن أعيش هذا النوع من العلاقة مع ولديها».

- حسناً! وهل تخصص لهما أنت بعض الوقت؟

رفع هال إحدى كتفيه، وقال: «مضى على وجودهما هنا يومان فحسب. من الواضح أنهما يرغبان بالعيش في الريف الأسترالي بقدر ما أرغب بإدارة دار للحضانة. فوق ذلك أنا لا أعرفهما جيداً، وهذا وقت مكتظ بالعمل هنا، لذا لم أحظَ بفرصة لتمضية أي وقت برفقتهما».

قالت ميريديث بغير استحسان: «لا يبدو الأمر ملائماً».

ثم أضافت: «لِمَ لم تقل لا وحسب؟».

أقر هال: «هذا ما كان يجب أن أفعله».

ثم اعترف في لحظة تخيلتها ميريديث لحظة ضعف نادرة: «حين تضع أختي فكرة في رأسها فمن الصعب أن تحيد عنها. إنها صعبة المراس، وقد واجهت بعض المتاعب... حسناً! أظن أنني لم أعرف كيف أرفض».

بعدئذٍ أكمل: «أنا الأكبر سناً، وكان على أن أعتني بها دائماً أثناء نشوتنا، لذا أعتقد أنها اعتادت على الاتكال علي».

استطاعت ميريديث أن تتعاطف معه في هذا على الأقل. فهي الكبرى أيضاً، وقد اعتادت على حماية لوسي. سألته: «كم يبلغ عمر هذين الطفلين؟».

- تبلغ إيما التسع سنوات ويبلغ ميكي السبع سنوات.

قطبت ميريديث جبينها وسألت: «ألا يجدر بهما أن يكونا في المدرسة؟».

- سوف يتلقيان الدروس أثناء وجودهما هنا. ستقوم لوسي بتعليمهما. أوضحنا هذا الأمر في عقدها. حين يصل الطفلان، عليها أن تعمل مربية

أطفال بالإضافة إلى عملها كطاهية.

- لوسي... مربية أطفال؟

لم تستطع ميريديث كبح ضحكتها. قالت باستغراب: «أحقاً؟»

اللعنة! ارتسمت تلك الابتسامة على وجهها ثانية. تمنى هال ألا يتكرر هذا الأمر، فهو يجعلها تبدو مشرقة جذابة، فيصعب عليه تجاهلها.

سألها بطريقة فظة: «ما المضحك في الأمر؟».

حاولت ميريديث أن تشرح: «يبدو أمراً بعيد الاحتمال».

وتابعت: «حين يقال مربية أطفال أفكر بشخصية مثل جاين إير، شخصية متزمتة جديّة... ولوسي ليست كذلك قط!».

حين تفكر بلوسي، تفكر بالدفء والمرح والضحك والمتعة في الحياة. توقفت ميريديث عن إكمال حديثها، فهي لا تريد أن تقول شيئاً يسبب المتاعب لأختها. سألته بحذر: «هل أخبرتك عن خبرتها في التعليم؟»

رمقها هال بنظرة حازمة قائلاً: «ليس عليك أن تقلقي، كانت لوسي صريحة جداً بالنسبة إلى حقيقة أنها لم تمر بهذه الخبرة قط. هذا لا يهمني. ليس عليها أن تعلمهما الكثير، بل أن تتأكد من أنهما يقومان بما عليهما فعله وأن تساعدهما على القراءة. لا تستطيعين أن تتركي طفلين وحيدين طوال النهار».

قالت موافقة: «بالطبع، لا».

قال هال بحزم: «إذاً، تفهمين لما لا أقدر أن أترك لوسي ترحل الآن».

وأردف: «لن تعود ليديا وغريغ قبل شهرين».

- ألا يمكنك...؟

قطعت ميريديث كلامها وأجفلت، فيما صعدت الشاحنة فوق نتوءات قوية جعلتها تطير عالياً في الهواء ثم تصطدم بمقعدها مجدداً. حاولت مرّة أخرى حين استعادت أنفاسها: «ألا يمكنك إيجاد شخص آخر؟».

سألها: «أين؟».

ثم أضاف: «ليس من السهل إيجاد أشخاص مستعدين ليعيشوا على ملكية

معزولة بعيداً عن أفراد عائلتهم وأصدقائهم».

لم تستطع ميريديث أن تقول إنها تفاجأت بذلك.

تابع هال يقول: «لحسن الحظ أن أختك ليست كذلك. تملك لوسي فكرة رومنسية عن طريقة العيش في الريف الأسترالي، لكن هذا لا يضايقني. كنت بحاجة إلى طاهية على أي حال، وحين عرفتُ أن ليديا ستوكل إلي مهمة الاعتناء بالطفلين، أبرمت عقداً مع لوسي يغطي وقت وجودهما بأكمله. سُرّت لوسي جداً لتوقيع هذا العقد».

فكرت ميريديث بسأم، هذا يشبه لوسي تماماً. لطالما كانت أختها تقتحم نفسها في المغامرات بحماسة مطلقة قبل أن تنحسر رغبتها، وتصبح مفتونة كلياً بشيء آخر. لطالما أغضبت هذه الشخصية ميريديث، بينما شعر جزء صغير منها بالحسد لقدرة لوسي على عيش اللحظة. قالت: «لم تؤمن لوسي يوماً بعبارة: انتظري وسترين!».

ثم تابعت: «لن يخطر ببالها أن تقترح فترة تجربة قبل أن تلزم نفسها بعقد مدته ستة أشهر».

- أهذا ما كنت ستفعلينه لو كنت مكانها؟

- إن كنت سأمارس عملاً لم أمارسه من قبل، في مكان لا يمكنني الرحيل منه بسهولة، ولم ألتقِ أهله قط... لأصريت بالتأكيد على فترة تجربة!

- إذاً، لحسن الحظ أن لوسي هي التي أرادت الوظيفة ولست أنت. هي غير نادمة بالطبع، لكن حتى لو كانت حسّاسة جداً مثلك، لاجتازت فترة التجربة بحلول هذا الوقت. ستجدين أن لوسي أكثر من سعيدة لتبقى. هي امرأة ناضجة، ويمكنها أن تتخذ قراراتها الخاصة بنفسها من دون أن تملي عليها أختها ما عليها فعله.

احمرّت وجنتا ميريديث. لطالما كرهت أن تلازمها صورة الأخت الكبرى المسيطرة، لكن إذا كان هال غرانغر يراها أيضاً، فلعلّها صحيحة. لكنها ليست مسيطرة. إنها لا تحاول أن تملي آراءها على الآخرين، لكنها لا تريد أن تجلس مكتوفة اليدين متمنية أن يتحسن ريتشارد إن كان باستطاعتها مساعدته

عبر إرسال لوسي مجدداً إليه. قالت وهي ترفع ذقنها: «حسناً! لنرَ ما ستقول لوسي أولاً».

لا تستطيع ميريديث أن تستسلم الآن بعد أن قطعت تلك المسافة!

استرقت نظرة إلى هال، واعترفت لنفسها أنه ليس شخصاً تريد إغضابه. بدا قوي البنية، ويتمتع بطبع حازم محب للمنافسة لم تستطع ميريديث إلا أن تقدّره. حسناً! ماذا يمكنه أن يفعل؟ بالكاد يستطيع أن يبقيها ولوسي سجينتين... أليس كذلك؟ بالطبع، هو لا يستطيع، وإذا فعل يجب عليهما أن تفكرا بخطة للهرب.

نظرت إلى الأرض الممتدة حولها، وهي تفكر كيف ستتمكنان من اجتيازها. لن تقطعاها سيراً على الأقدام بالطبع. سوف تنتظر لترى ما سوف يحصل.

رأى هال ذقنها مستقراً على زاوية عنيدة، وضاقت عيناه قليلاً. بدت ميريديث وست شخصاً معتاداً على فعل ما يريده، ومن الواضح أنها لم تستسلم بعد. إذا ما ظنت أن بإمكانها أن تغيّر رأي هال عن طريق التكلم معه، فسيكون الاحباط بانتظارها. المسكينة! قطعت هذه الطريق الطويلة من أجل لا شيء. في الواقع، شعر هال بالأسف قليلاً حيالها. قال لها: «لا بد أن هناك أشخاصاً آخرين يستطيعون التكلم مع ريتشارد».

وأضاف سائلاً: «لمَ لا تكونين أنت؟»

نظرت ميريديث إليه، وسألته: «إذا كنت تتوق من كل قلبك لرؤية لوسي، ألا تعتقد أنك ستشعر بالاحباط قليلاً إذا جئت أنا مكانها؟».

- لكنه في حالة غيبوبة كما قلت. لن يعرف الفرق أبداً. سيدرك فقط أن أحدهم يجلس بقربه.

قالت ميريديث: «بالضبط! لهذا على لوسي أن تكون بقربه، فريتشارد يرغب كثيراً برؤيتها. أنا واثقة أنه سيستجمع قواه ويستعيد وعيه ما إن يدرك أنها بقربه. إذا ما استيقظ ورآني أنا جالسة هناك سيشعر بالاحباط وتنتكس حالته، وهذا ما لا نريده!»

حاولت ميريديث أن تحول الأمر إلى مزاح، لكن هال تساءل عن النبرة الكئيبة الكامنة في صوتها. على الرغم من أنه ليس دقيق الملاحظة، بدا واضحاً أن ريتشارد هذا يعني لميريديث أكثر مما ترغب بإظهاره. قال لها: «أنا متأكد أنك تقللين من قدر نفسك».

هزّت ميريديث رأسها نافية، وقالت: «لا! لا أفعل. كل ما في الأمر هو أن ريتشارد ليس مهتماً بي».

علق بلطف: «يبدو لي أنك تتحملين الكثير من أجل شخص لا يهتم بك».

حوّلت وجهها عنه وقالت: «هو مجرد صديق».

- هل تقطعين هذه المسافة الطويلة إلى أستراليا إكراماً لكل أصدقائك؟

- نعم، أفعل. إذا احتاجوا إلي.

استدارت ميريديث إليه وهي تزيل خصلة شاردة من شعرها البني عن وجهها باشمئزاز، وأضافت: «إذا تمكنت من دفع التكاليف. لأكون صادقة، دفع والدا ريتشارد ثمن تذكرة سفري. هما مستعدان لفعل أي شيء يساعد ابنهما على التحسّن، وقد علّقا آمالهما علي لأجد لوسي».

التوى فم هال إلى الأسفل بعدم رضى، وعلّق: «هذا كثير ليطلباه منك».

قالت ميريديث: «لم يطلبا هذا. أنا عرضت الجميل».

وأردفت: «لدي مهنة حرّة... أنا مترجمة مستقلّة، وما دمت أحمل معي الكومبيوتر النقال وأستطيع الاتصال بالإنترنت، أستطيع أن أذهب إلى أي مكان وفي أي وقت أشاء».

ربتت ميريديث على الكومبيوتر، وتابعت: «لم أتحمل البقاء جالسة أنتظر أخباراً عن ريتشارد، فقلت لهما إن من الأفضل القيام بشيء ما. شعرت بالقلق لعدم معرفة أخبار لوسي أيضاً، ووجدتها فرصة ملائمة كي أطمئن عليها».

- إذاً في الواقع، هذه فكرتك؟

نظرت إلى البعيد مجدداً، وقالت بصوت خفيض: «لم يكفّ والدا ريتشارد

عن تمني وجود لوسي هناك، وبدا لي أن باستطاعتي القيام بشيء مفيد. أردت دفع ثمن التذكرة، إلا أنهما أصرا على شرائها بنفسيهما. أخيراً سمحت لهما بالدفع لأنهما شعرا برغبة في القيام بشيء ما من أجل ابنهما، فهما لا يستطيعان التخلّي عنه في موقف كهذا».

- بالطبع!

من الواضح أن ميريديث وست هي إحدى أولئك النساء المدبرات اللواتي يعتقدن أنهن يعرفن أكثر من أي شخص آخر، ويقررن ما يريده الآخرون من دون إزعاج أنفسهن بالسؤال. لن يتفاجأ هال مطلقاً إذا اكتشف أنها هي التي أدخلت فكرة عودة لوسي إلى ذهني والدي ريتشارد.

حسنا! لن تستطيع ميريديث السيطرة عليه! عمّ السكون في الشاحنة. بدت ميريديث متعبة، وشعرت بجفونها ثقيلة بحيث راحت تبذل جهداً كبيراً لتبقيها مفتوحة. لكن هذا لم يكن كافياً، بالرغم من كل الاصطدامات والارتجاجات، ظل رأسها يترنّح إلى جهة واحدة حتى مالت الشاحنة فجأة وبقوة فانتفضت مستيقظة. بدا لها كأنهما سيسيران إلى ما لا نهاية. كانا يمران بين الفينة والأخرى بقاع جدول، فيتمهل هال ويغيّر السرعة، من المضحك التفكير أن هذه الجداول قد تكون ملأى بالماء أحياناً. لم تقدر ميريديث أن تتخيلها كذلك مطلقاً، فهي لم تتواجد قط في مكان جاف كهذا.

قال هال بعد صمت طويل: «سنصل قريباً».

انتفضت ميريديث مستيقظة، ونظرت حولها، فأدركت أن تضاريس المنظر الريفي تغيرت، مازال الغبار بني اللون مائلاً إلى الأحمر، والضوء ما زال مشعاً، إلا أن الطابع الصخري بدأ يظهر بشكل أوضح، فيما انتشرت أشجار طويلة ورفيعة على جهتي الطريق ما جعل المنطقة تبدو غنية مقارنة مع المساحات المقفرة التي مرا بها من قبل. بعد حين، بدت الأشجار أكثر كثافة ووصلا إلى أرض فسيحة. قال هال مشيراً إلى البعيد: «هذا هو المنزل في الأعلى».

حدّقت ميريديث بعينين شبه مغمضتين، لكنها لم ترَ إلّا لطخات من اللون

الأخضر. أدركت فجأة مدى عزلتهما، وكم هي بعيدة عن منزلها. هذا ليس مكاناً يمكنك مغادرته بسهولة. إذا بقي هال على رفضه بأن يسمح للوسي بالذهاب، كيف يمكنهما أن يغادرا المكان؟

بدا الأمر مستحيلاً تقريباً نظراً لبعد المسافات هنا. وفي الدقيقة التالية، بدا أنهما ينطلقان بجانب مجموعة منشآت فسيحة متعددة الألوان، قال هال إنها مساكن مربي الماشية. توجه بالشاحنة إلى الفناء، ثم دار حول جوانب المنزل ليتمكن من إفراغ حمولة المؤن مباشرة إلى المطبخ. لكنه استنتج من تعابير ميريديث أنها لم تشعر بالسرور عندما استدار بالشاحنة بسرعة قصوى فالتف دائرياً ليصل أمام المنزل.

برأي هال، هذا أفضل منظر للمنزل القديم، بشرفته الكبيرة ذات السياج الحديدي المخرّم، إلا أن ميريديث لم تبدُ معجبة به كثيراً. حسناً! لمَ يتوقع منها أن تعجب به؟ تساءل هال منزعجاً من نفسه لمحاولته حتى أن يعطيها انطباعاً جميلاً عن ويرينداغو. وكأنه يهتم لما تفكر به...

أوقف الشاحنة فجأة عند أسفل الدرج، ولبرهة جلست ميريديث فاقدة الإحساس تحدّق بالمنزل أمامها، غير قادرة على التصديق أنهما توقفا أخيراً عن السير.

رأت أمامها مبنى أكبر مما تخيلت. إنه منزل كبير، قديم وفخم بالرغم من سقفه الحديدي. بدت الجدران تحت ظلال الشرفة، مبنية من الحجر الصلب. أما الباب والنوافذ فتشير إلى عظمة هذا المكان. لا بد أنه كان يوماً منزلاً فاتناً، لكن من الواضح أن الزمن لم يرحمه. أدركت ميريديث ذلك متفاجئة، بعد أن رأت إشارات بارزة تدل على الإهمال، أو لعلها تشير إلى مالك غير لبق. هذا ما فكرت به وهي ترمق هال بنظرة جانبية.

بدا هال في مزاج سيّء مجدداً. ترجّل من الشاحنة، وأغلق الباب وراءه بعنف فيما لمحت عيناه طفلين متجهمي الوجه على الشرفة. كانت الفتاة غارقة في كرسي، والصبي يجلس مائل الرأس مستغرقاً في لعبة في الكومبيوتر.

سمعت ميريديث صوتاً يهتف داخل المنزل: «رجع الخال هال».

لكن لم يتحرك أي منهما لينزل ويحييه. رأت حاجبي هال يجتمعان معاً فجأة مشكلين ذلك العبوس البغيض، ففكرت أن ردة فعله هذه غير مناسبة. سمعته يقول وهو يستدير إلى خلف الشاحنة: «يمكنكما أن تأتيا وتساعدا في نقل هذه المؤن إلى المطبخ».

همهمت الفتاة: «آه... ! أعلينا القيام بذلك؟».

- نعم، عليك ذلك. أنت أيضاً، ميكي.

- أنا على وشك إنهاء هذه اللعبة.

- الآن!

من الواضح أن هال لا يؤمن بأنه يجب اعتماد وسائل تفكير مع الأطفال للوصول إلى اتفاق ما. لا عجب أن الطفلين بدوا متجهمين، إلا أن الأمر نجح بالرغم من ذلك. ترك ميكي لعبة الكومبيوتر وأخذ يتهادى على الدرج خلف أخته التي بدا عليها عدم الرضى، لكنهما جمدا في مكانيهما حين خرجت ميريديث متيبّسة من الشاحنة ومددت أطرافها.

تبع هال نظرات الطفلين. بدا على ميريديث أنها ثملة وهي تتمايل من التعب، فقميصها مجعّد وقد تجمع شعرها في خصلات كثة حول رأسها. لكن لم يستطع هال إلا أن يعترف أنها تتمتع بأسلوب خاص حين وضعت يداً عند أسفل ظهرها، فقوّست كتفيها طاردة الألم من عضلاتها.

بدأ هال بالكلام، ليجد نفسه مقاطعاً بدهشة لوسي التي خرجت من الباب، ووقفت عند أعلى الدرج محدّقة بعدم ارتياح إلى أختها.

قالت لوسي بذهول: «ميريديث؟!».

- مرحباً، لوسي.

انتفضت لوسي من ذهولها، ونزلت مسرعة على الدرج لتغمر ميريديث غمرة حارة، وهي تصيح: «لا أصدّق أن هذه أنت حقاً! كم تسرّني رؤيتك!».

ما لبثت أن ابتعدت عن ميريديث، فيما اكفهرّت عيناها الزرقاوان الجميلتان وسألتها: «لكن... ماذا تفعلين هنا بحق السماء؟».

٣ - سأبقى لأجلك

قالت لوسي مجدداً وهي تهزّ رأسها ذا الشعر الأشقر، فيما كانت تحاول أن تفهم الخبر من ميريديث: «مسكين ريتشارد!».

وتابعت: «لا أستطيع تصديق الأمر. لابد أن والديه قلقان جداً».

- هما كذلك بالفعل.

جلست ميريديث إلى طاولة المطبخ تشرب فنجاناً من الشاي وتشرح لها ما حصل. حين وصلت لم يكن هناك متسع من الوقت لإعطاء لوسي التفاصيل، لذا أخبرتها بالوقائع الأساسية وحسب. فقد أصر هال - بالرغم من طبعه النكد- على أن تأخذ ميريديث حماماً ثم تنام قبل أن تفعل أي شيء آخر، واضطرت ميريديث إلى الاعتراف أن هذا أفضل ما يمكن أن تفعله. أما الآن فجلست تراقب أختها وهي تحضر العشاء، وهي تفكر بأفضل طريقة لتطرح عليها مسألة العودة إلى المنزل. حذرها هال بقوله إن لوسي تستمتع بحياة الريف، ومع أن ميريديث تمنت أن يكون مخطئاً، إلا أن أختها بدت سعيدة جداً، لذا كان عليها أن تشرح لها السبب الحقيقي لوجودها بصورة تدريجية.

لاشك أن لوسي طاهية ماهرة، لكنها معروفة بفوضويتها. كبحت ميريديث غرائزها التي تستحثها لتنهض وتبدأ بالترتيب من بعدها، لكنها عرفت أن لوسي ستشعر بالانزعاج لو فعلت، فحوّلت عينيها عن الفوضى. أدارت فنجان الشاي بين يديها متسائلة من أين تبدأ!

أشعلت لوسي النار تحت مقلاة البطاطا واستدارت لتستند إلى المنضدة، وقد أظهرت عيناها الزرقاوان الجدية فيما نظرت إلى أختها الكبرى وقالت: «مسكينة أنت أيضاً!».

رفعت ميريديث نظرها عن فنجانها لتنظر إلى لوسي متفاجئة: «أنا؟».

قالت لوسي بلطف: «أعرف كيف تشعرين تجاه ريتشارد، ولا بد أن الأمر فظيع بالنسبة لك أيضاً».

أجابت ميريديث، متمنية أن تحمي نفسها من أي أسئلة أخرى: «أنا بخير».

لكن من الواضح أن لوسي لم تقتنع، إذ قالت: «ميريديث! أنا أختك. ليس عليك الادعاء أنك المرأة الخارقة أمامي».

قالت ميريديث، وهي تشير برأسها إلى الموقد: «المقلاة تفور».

استدارت لوسي لترفع الغطاء عن المقلاة وتخفف النار تحتها، لكنها رمقت أختها بنظرة من فوق كتفيها، وقالت: «لا تغيري الموضوع!».

- ليست لدي أدنى فكرة عمّا تتكلمين. لم أعتقد أنني امرأة خارقة قط.

قالت لوسي وهي تزيد ملحاً إلى المقلاة: «قد لا تظنين أنك كذلك، لكنك لست مستعدة لأن تعترفي أنك تخشين أن تصبحي وحيدة أو خائفة أو غير سعيدة».

ثم أردفت: «أعرف أنك واقعة في غرام ريتشارد. ما الخطأ في الاعتراف أنك محطمة القلب وقلقة جداً عليه؟».

لم تعد ميريديث قادرة على الجلوس لمدة أطول، فوقفت وبدأت تنظف المجلى من الصحون التي كوّمتها لوسي وهي تروح وتجيء. قالت بغضب: «أنت دائماً تضيفين الرومنسية إلى كل شيء، لوسي».

ثم أضافت وهي تحرص على أن تبدو نبرة صوتها محايدة: «أنا لست محطّمة القلب! نعم، مرّ وقت تمنيت فيه أن نكون أنا وريتشارد على وفاق... لكن لم ينجح الأمر، ووقع بحبك أنت. أنا لا ألومه على ذلك، ولا ألومك أنت بالتأكيد».

علقت لوسي: «ربما يجب أن تلومي نفسك».

استدارت ميريديث وقد فوجئت بنبرة السخط في صوت أختها، فيما أكملت لوسي: «هل خطر ببالك يوماً أنك لو أعطيته القليل من التشجيع، لما

وقع ريتشارد على الأرجح في حبي أنا؟».

قلبت ميريديث عينيها. وقالت: «صحيح! رجل مثل ريتشارد سيأخذ بالتفكير، همم... هنا امرأة قبيحة، قصيرة وبدينة، وهناك امرأة طويلة، نحيلة وجميلة... حسناً! سأختار القصيرة البدينة!».

أجابت لوسي: «لفعل ذلك لو سنحت له الفرصة ليتقرب منك بما يكفي ليعرف ما أنت عليه. كما أنك لست قبيحة! لديك بشرة جميلة وعينان رائعتان. أعرف الكثير من النساء المستعدات للتضحية بكل شيء ليحصلن على مثل هاتين العينين».

استدارت ميريديث إلى الناحية الأخرى فقد سمعت هذا الحديث مراراً من قبل. أكملت لوسي تقول: «حاولي إظهار جمالك لا تخبئته. على الأرجح أن ريتشارد لم يلاحظ أنك رائعة، فقد حرصتِ على عدم السماح له بأن يخمّن شعورك نحوه. أردت أن يظن أنكما صديقان وفيان وحسب. هذا بالطبع جعله يبدأ بالنظر إلى نساء أخريات، و كنت أنا الأولى التي صادفها. لو أنك أخبرتني بالأمر، لما فكرت بمواعدته، ولوفّرنا على نفسينا هذه الفوضى كلها!».

حدّقت لوسي بسخط إلى ظهر أختها، لكن هيئة هاتين الكتفين جعلتها تلين فجأة، فتنهدت واقتربت من ميريديث وغمرتها. قالت بنبرة ملؤها الاحساس بالذنب: «أنا آسفة. آخر شيء تحتاجينه بعد تلك الرحلة المتعبة هو أن أنتقدك، لكنني أريدك أن تكوني سعيدة بقدر السعادة التي أعيشها الآن مع كيفين، لا أن تكبحي مشاعرك كما تفعلين الآن».

استطاعت ميريديث أن تشعر بالدموع تخزها خلف عينيها، فطرفتها بشراسة كي تمنع تساقطها. لا بدّ أنها متعبة أكثر ممّا ظنّت. وضعت آخر مقلاة على منضدة المطبخ، ثم نظفت المجلى، وأخيراً قالت: «أنا لا أكبح مشاعري عمداً لوسي. أؤكد لك هذا».

ثم أردفت: «كنت وما زلت غير متضايقة من علاقتك بريتشارد. لم تكوني مضطرة لإفساد كل شيء والهرع إلى أستراليا».

حاولت لوسي أن تشرح لها قائلة: «أصابني الرعب حين عرفت حقيقة شعورك نحو ريتشارد، لكن لم يقتصر الأمر على هذا، لأكون صادقة معك. شعرت بالملل من وظيفتي و... حسناً! ريتشارد لطيف لكننا لم نتواعد لمدة طويلة، ولم تكن علاقتنا جدية إلى ذلك الحد».

أقفلت ميريديث الحنفية ونظرت إلى لوسي قائلة: «إنه يحبك فعلاً».

- لا يمكنك معرفة هذا.

- بل يمكنني.

لم تشأ ميريديث أن تخبرها عن الأمسيات التي قضاها ريتشارد وهو يخبرها عن مدى حبه للوسي، وكم أصبحت حياته فارغة من دونها، متسائلاً عمّا فعله ليجعلها ترحل فجأة. استمعت ميريديث إليه وطمأنته على قدر ما استطاعت، لكنها لم تخبره قط عن السبب الرئيسي الذي حثّ لوسي على المغادرة. قالت لنفسها حينها إن لوسي ستضجر قريباً من أستراليا وتعود إلى المنزل، عندئذٍ سيحظى ريتشارد بفرصة أخرى ليكون سعيداً.

قالت لوسي وهي تنحني لتخرج لحم البقر من الفرن: «لم يبدُ ريتشارد مستاءً جداً حين غادرت».

قالت ميريديث: «لم يشأ أن يصعّب الأمر عليك. لكنك حقاً مهمة بالنسبة إليه، وهو يحتاج إليك الآن».

طرّت لوسي قطعة اللحم بالزبدة وهي تقضم شفتها، ثم قالت: «ليتني أستطيع مساعدته».

أخذت ميريديث نفساً، وقالت: «بل تستطيعين!».

ثم أردفت: «الجميع يأملون... أعني أنا، والدا ريتشارد، وأطباؤه أيضاً... كلنا نظن أن صوتك هو ما سيعيد إلى ريتشارد وعيه».

ارتفع رأس لوسي حين سمعت هذا، وجمدت يدها فوق اللحمة. سألت باستغراب: «ماذا؟».

سارعت ميريديث تشرح لها: «طلب منا الأطباء أن نكلمه باستمرار، وهذا ما راح الجميع يفعلونه مؤخراً، لكنني متأكدة من أنه يريد أن يسمعك

أنتِ. أنا واثقة أنه سيستيقظ من أجلك».

تقطع صوت ميريديث قليلاً في أواخره ما جعلها تشعر بالرعب. ثم أكملت بعد أن أخذت نفساً عازماً: «أظن أنك لو جلست إلى جانبه، وأمسكت بيده، وجعلته يشعر بوجودك... أظن أن ريتشارد سيقوم بالمجهود الإضافي الذي يحتاجه ليستعيد وعيه».

أعادت لوسي اللحم المشوي إلى الفرن، وقالت بصوت يعوزه النشاط: «أتريدين مني أن أعود إلى لندن؟».

هزت ميريديث رأسها بالإيجاب بحماس قائلة: «نعم».

وأضافت: «دفع والدا ريتشارد ثمن تذكرتي، لأنهما يريدانك بقربه في أسرع وقت ممكن».

توقفت عن متابعة كلامها وهي ترى الامتناع في تعبير أختها، وبعد قليل أكملت: «لن يدوم الأمر إلى الأبد لوسي. يمكنك العودة إلى أستراليا حالما يزول الخطر عنه، لكن... أرجوك، تعالي معي. سيعني هذا الكثير لريتشارد».

أبعدت ميريديث عينيها، غير قادرة على مواجهة نظرات أختها، وقالت بصوت خفيض: «أريده أن يتحسّن».

تنهّدت لوسي، ثم سحبت كرسياً جلست عليه وفركت عينيها وهي تقول: «لكنني وقعت عقداً يلزمني بالبقاء هنا لأربعة أشهر أخرى على الأقل».

قالت ميريديث: «أخبرني هال غرانغر ذلك، لكن بدا لي أنه يستغلّك، لوسي. لا يمكنه أن يجبرك على البقاء إذا أردت المغادرة».

اعترفت لوسي رافعة رأسها: «لكنني لا أريد المغادرة، فأنا أحب هذا المكان».

ابتسمت نصف ابتسامة ما إن رأت تعبير ميريديث، وقالت: «أعرف أن هذا ليس المكان الذي تحبينه، لكنني أشعر... أنني وجدت أخيراً المكان الذي أريد البقاء فيه والرجل الذي أريد البقاء معه».

قالت ميريديث، شامخة أنفها: «هل وقعت في الحب ثانية؟».

أصرت لوسي، وهي تشعر بالإهانة من جرّاء تعبير أختها المشكك: «لا تقوليها هكذا! هذه المرة وقعت في الحب حقاً... صدقيني! كيفين مختلف عن جميع الذين التقيت بهم. ستفهمين ذلك حين تلتقينه بنفسك. إنه...».

ضمت ذراعيها إلى صدرها محاولة أن تعثر على الكلمات لتصفه. لكن أفضل ما استطاعت أن تقوله: «حسناً! هو مميّز».

ثم تابعت: «إنه لشعور رائع حين تنظرين إلى أحدهم وتشعرين بالغرابة من جرّاء العواطف الجيّاشة التي تنتابك، وتفكرين حينها أن هذا هو الرجل المثالي!».

لم تقل ميريديث شيئاً بل راحت تفكر بالمرة الأولى التي التقت فيها ريتشارد. نظرت إلى عينيه البنيتين الضاحكتين فانتفض قلبها بغرابة، وفكرت: أهذا أنت هنا؟ لقد انتظرتك طوال حياتي.

تنبهت من أفكارها لتسمع لوسي تقول: «... أحبه حقاً».

ثم تابعت بقلب ينبض بقوة: «وأنا واثقة... حسناً! واثقة تقريباً أن كيفين يشعر بالطريقة نفسها تجاهي. نحن نتقرب من بعضنا بصورة جيدة. لا يستعجل كيفين الأمور فهو لا يشبهني، وهذا شيء جيد. أليس كذلك؟ لكنني أحسست... أحسست أن حبنا أمر محتم، ولا شيء يمكنه أن يقف في طريقه».

قالت ميريديث بنبرة جافة: «أفهم».

قالت لوسي: «ليس الأمر أنني لا أريد أن أساعد ريتشارد، فأنا مولعة جداً به. سيظل صديقي الدائم، وحتى لو لم يكن كذلك لفعلت هذا من أجلك ميريديث، لكن...».

قضمت لوسي شفتها، وتابعت: «... إذا ذهبت، لن أتمكن من العودة مجدداً. هال غرانغر رجل صارم. سيتعامل معي بشراسة إذا فسخت العقد، وأعلم أنه لن يدعني أرجع. من جهة أخرى، كيف يمكنني أن أترك إيما وميكي وحدهما؟ وصل الولدان المسكينان إلى هنا لتوهما، وهما يحنّان إلى موطنهما كثيراً. هال كثير الانشغال، ولا يمكنه أن يعتني بهما و...».

توقفت لوسي فجأة عن الكلام، وهي ترى تعبير وجه ميريديث. غطت وجهها بيديها، وهزت رأسها إلى اليمين واليسار ببطء، ثم قالت منزعجة جداً من نفسها: «يا إلهي! لا يجدر بي أن أتكلم هكذا في حين أن ريتشارد مريض جداً. أنا آسفة جداً ميريديث».

بعدئذٍ أخفضت يديها، وأخذت نفساً عميقاً، قبل أن تسأل أختها: «هل تعتقدين حقاً أنني سأحدث فرقاً إذا عدت؟».

جاء دور ميريديث لتتردّد. لم تدرك قبل الآن ما الذي تطلب من لوسي التخلي عنه. قالت ببطء: «نعم. أعتقد ذلك».

ثم أضافت: «ليتنا نجد طريقة تمكننا من معرفة أخباره! إذا كان قد استعاد وعيه لن يعود رجوعك ضرورياً، لكن كيف يمكننا معرفة ذلك؟ حاولت الاتصال بوالدة ريتشارد حين وصلت، لكنني تذكرت أن هاتفي لن يعمل هنا».

قالت لوسي وهي تدفع كرسيها إلى الخلف: «سأسأل هال إذا كان بإمكاننا استعمال الهاتف في المكتب. هو صارم لكنه ليس خسيساً».

بالكاد مرّت خمس دقائق على حديثهما حتى كانت ميريديث تستمع إلى نحيب والدة ريتشارد عبر الهاتف. جاءت كلماتها من بين دموعها: «لا يزال مستلقياً هناك. جرّبنا كل الطرق، لكنها باءت بالفشل. علينا إيجاد طريقة تحثه على استعادة وعيه. لو أن لوسي هنا...! هل اهتديت إلى مكانها؟».

تردّدت ميريديث غير راغبة في إلزام أختها بشيء قبل أن تكون مستعدة، لكن لوسي التي كانت تنصت إليهما اقتربت بهدوء، وأخذت الهاتف من يدها.

- نعم، لقد وجدتني إلين. سأعود في أقرب وقت ممكن.

حين أقفلت الخط، قالت ميريديث التي لم تستوعب الوضع: «لوسي..!».

ابتسمت لوسي وقالت: «حسناً! لم يبدُ لي مرض ريتشارد حقيقياً حين أخبرتني عنه، لكن حين سمعت نبرة إلين المليئة بالقلق شعرت بجدية الأمر.

بالطبع سأعود».

- وماذا عن كيفين؟

أجابت لوسي بعزم: «سينتظرني! أعلم أنه سيفعل. سأعود إليه. ربما سيتمكن من إيجاد وظيفة في مزرعة أخرى، وأستطيع أن أنضم إليه هناك».

قالت ميريديث ببطء: «أو... يمكنك العودة إلى هنا مجدداً».

هزّت لوسي رأسها إلى اليسار واليمين. وأجابتها: «أتمنى ذلك، لكن هال رجل صعب. إذا فسخت عقدي، لن يبقى أمامي أي أمل لأعود مجدداً. لا تقلقي ميريديث! ريتشارد هو الأهم الآن، ولا يمكنك فعل شيء يغير هال».

لكن ميريديث لا ترضى بأن يُملى عليها ما تستطيع فعله. ضغطت شفتيها على بعضهما بعزم وظهرت في عينها التماعة، فأدركت لوسي ما تنوي عليه. حين تبدو ميريديث على هذه الصورة لا بد أن تحقق ما تصبو إليه.

قالت ميريديث: «سنرى ما يمكننا فعله بشأن ذلك الموضوع».

بدا المنزل أكبر وأكثر اتساعاً ممّا يبدو عليه من الخارج، وتطلب الأمر من ميريديث وقتاً لتجد هال. بدت لوسي منشغلة بالعشاء الذي تعده وبالقرار الذي اتخذته لتوها، بحيث أشارت بغموض إلى الجهة الخلفية للمنزل، وخمّنت أنه على الشرفة، وكان موجوداً هناك بالفعل. افترضت ميريديث أنها الشرفة الخلفية، لأنه المكان الذي وجدته فيه. كان هال قد استحم، وحلق ذقنه، وارتدى سروال جينز نظيفاً وقميصاً أحمر باهت اللون.

أحدث الباب صوتاً خلفها، ووجدت نفسها تحدّق إلى مغيب الشمس الأكثر روعة بين ما شهدته في حياتها.

يقع المطبخ في الجهة الأخرى من المنزل، وبالرغم من أنها توقعت أن الشمس شارفت على المغيب، إلا أن شيئاً لم يجعلها مستعدة لتخرج من الباب باتجاه وهج ذهبي وأحمر وبرتقالي. بدا الأمر شديد الروعة، حتى إنها وقفت هناك للحظات طويلة محدّقة بالأفق فاغرة فمها.

انتشل صوت هال من الجهة الأخرى من الشرفة ميريديث من نشوتها،

فمشت ببطء لتنضم إليه، وعيناها لا تزالان تحدّقان بمغيب الشمس. سألها: «هذا منظر يستحق المشاهدة. أليس كذلك؟».

أقرت ميريديث: «إنه جميل حقاً!».

ثم أضافت: «لكنه غامر أيضاً. هو كبير جداً... وهناك تماماً... تشعر كأنك تستطيع الوصول إليه ولمسه».

أشار هال لها: «انظري!».

وقفت ميريديث بجانبه بصمت فيما احمرّت السماء الذهبية أكثر فأكثر حتى أصبحت كالنار، وغمق لون التلال في المدى البعيد حتى أصبح أحمر قرنفلياً قبل أن يتحول إلى اللون الأسود. ساد صمت غريب حين غرقت الكرة النارية الضخمة خلف الأفق، فالتقطت ميريديث أنفاسها خلف حنجرتها. بدا كأن الأرض بأجمعها توقفت، وأن العالم بأسره ينتظر إشارة لحلول المساء.

فجأة، انتهى كل شيء بإحداث حشرة صوتاً مزعجاً في مكان ما. تمكنت ميريديث من سماع لوسي تطقطق بالصحون في المطبخ، فيما ارتفع صوت إيما وميكي إثر مشاحنة بينهما. أخذت نفساً مرتجفاً وتنحنحت قائلة بضعف وذهول: «آه! إنه مذهل».

شعر هال بالسرور لأن مغيب الشمس على الأقل أعجب ميريديث. هناك شيء في الريف الأسترالي أعجبها. ثم تساءل لمَ يهتم إذا ما أعجبت ببلاده أم لا! ولمَ يبدو حساساً جداً لوقوفها بقربه! قال لها بفظاظة: «تبدين بحالة أفضل».

رفعت ميريديث يداً إلى شعرها النظيف، متذكرة بتكشيرة الوقت الذي استغرقها لتزيل الغبار والعقد منه. وقالت: «بالتأكيد، أشعر أنني بحالة أفضل».

بدت ناعمة، دافئة و... جذابة. شعر هال في الواقع أن يده تخزه برفق، فتحثه ليلمسها ويتفحص ما إذا كانت بشرتها ناعمة حقاً كما تبدو. بالرغم من إبقاء نظرته ثابتة تماماً على السماء التي تظلم تدريجياً أمامه، شعر

بقوة بوجودها بجانبه. بدا الأمر غريباً لأن ميريديث لم تفعل شيئاً على الإطلاق لتلفت انتباهه.

بدت ثيابها عادية جداً، فالتنورة المتهدلة الفضفاضة والقميص المفتوحة القبة على شكل السهم، والتي يصل كماها إلى معصميها لا يمكنهما أن تكونا أقل جاذبية. لكن من ناحية أخرى، كان على هال أن يعترف أنها ترتدي ثياباً تظهر أنوثتها أكثر ممّا كانت عليه سابقاً. لم يكن هناك من سبب ليجد أنوثة ميريديث مغوية تقريباً.

في الواقع، بدت هادئة وجدية، وغير مهتمة إطلاقاً بلفت انتباهه، ولم يكن هو أكثر رغبة منها في ذلك على الإطلاق.

قالت ميريديث: «أتساءل إن كان بإمكاني التحدث إليك قليلاً».

إدراكه أنها جدية تماماً فيما يكافح هو كمراهق أخرق ليبعد عينيه عنها جعله يشعر بالغضب من نفسه. قال بفظاظة: «إذا كنت ستحاولين التحدث معي لأغير رأيي بالنسبة إلى لوسي، فانسي الموضوع. أوضحت الأمر منذ البداية، حين وظفت لوسي وقبلت هي الشروط».

أجابت ميريديث: «أقدر هذا، لكن لدي اقتراح لك».

قطب هال حاجبيه. لمَ عليها أن تجعل كل شيء يبدو كصفقة تجارية؟ لمَ لا تكتفي بأن تبدو جذابة وفاتنة كما هي فعلاً؟ سألها بنبرة مشككة: «أي نوع من الاقتراحات؟».

- النوع الجيد... على ما أظن.

مع أن ميريديث جذابة وتملك جسداً رائعاً، إلا أن هال بدا مستعداً للمراهنة أن رأسها يبقى هادئاً وواضحاً دائماً. قال لها: «بحسب رؤيتي للأمور، فإن الحل الجيد الوحيد للوسي أن تبقى، وتقوم بوظيفتها التي أبرمت العقد بشأنها».

- لكن القيام بالوظيفة على أكمل وجه هو المهم بالنسبة لك، وليس الشخص الذي يقوم بها. أليس كذلك؟

قال هال بنكد، متسائلاً أين سينتهي المطاف بهذا الحديث: «أعتقد

ذلك».

- إذاً، لا فرق بالنسبة لك إذا أخذت أنا مكان لوسي وقمت بوظيفتها.

قوّم هال وقفته عن السياج في دهشة، وقال: «أنت؟».

لم يكن واثقاً تماماً مما ستقوله، لكنه بالطبع لم يتوقع ما قالته.

أجابت ميريديث بهدوء: «لمَ لا؟ أنا كفوءة جداً، وأستطيع القيام بكل ما تفعله لوسي. أستطيع أن أطهو، و... مع أنني لا أملك خبرة مع الأطفال، لكنني لا أرى السبب الذي يمنعني من مساعدة إيما وميكي في دروسهما. أنا أحمل إجازة جامعية، وهما لن يدرسا جراحة الرأس. أليس كذلك؟».

بدت جدية تماماً، وللحظة راح هال ينظر إليها محاولاً أن يفكر بالسبب الذي جعل هذه الفكرة تبدو سخيفة بالنسبة إليه. أخيراً قال: «ستكرهين العيش هنا».

هزت ميريديث كتفيها، وقالت: «لن أبقى مدة طويلة، بل فقط لوقت كافٍ يسمح للوسي أن تذهب إلى إنكلترا - على أمل أن يشفى ريتشارد - وتعود بأقرب وقت ممكن».

- وكم سيستغرق هذا من الوقت؟

- هذا يعتمد على سرعة تحسّن ريتشارد. لا يمكننا تحديد ذلك إلّا حين تصل لوسي إلى المستشفى. ربما لأسبوعين أو ثلاثة.

أسبوعان أو ثلاثة مع ميريديث! بدت الفكرة مثيرة للتوتر والقلق بطريقة فجائية لا يمكن تفسيرها. ظهر العبوس على وجهه، وقال: «أنت مصممة على ذهابها. أليس كذلك؟».

ثم أضاف: «هل تفعلين ما يدور في رأسك دائماً؟».

ردّت بطريقة لاذعة: «لو أنني أفعل ما أريده لغادرت هذا المكان مع لوسي. سبب تفكيري في البقاء هنا هو إصرارك أنت على فعل ما تريده».

رمقته بنظرة من عينين براقتين مفعمتين بالتحدي، وقالت: «تحب لوسي هذا المكان، وهي تريد العودة مجدداً. لكنك أوضحت أنها لا تقدر على ذلك

إذا اختارت أن تساعد ريتشارد. وبما أنها قبلت المغادرة لأجلي فحسب، لذا فإن أقل ما يمكنني فعله هو إبقاء الوظيفة شاغرة من أجلها، ولا أرى أي فرق بالنسبة لك على أي حال. سأفعل كل ما تفعله لوسي».

لم يقدر هال أن يفهم لِما يشكل هذا له أي فرق أيضاً. عرف أنه يشكل فارقاً وحسب. فقد تلاءمت لوسي بسهولة مع المزرعة. إنها ودودة ومرتاحة، وكل شيء بدا تلقائياً بوجودها. أما ميريديث فمختلفة. سوف تغير كل شيء. عرف هال أنها ستفعل. إنها تغير أشياء لمجرد وقوفها هناك. ثمة شيء من التحدي يحيط بها، شيء جعله منفعلاً ومتمنعاً قليلاً، ولم يحب هال هذا. حاول المراوغة بالقول: «ماذا عن وظيفتك؟ هل تستطيعين أن تتغيبي لمدة ثلاثة أسابيع؟».

- لديك خط هاتفي، أليس كذلك؟

أقر هال: «نعم».

بدا كأنها تعتقد أن هذا يحلّ المسألة، إذ قالت: «حسناً! أنا أعمل في وظيفة حرّة كما قلت لك. إذا استطعت أن أتصل بالإنترنت، يمكنني مواصلة عملي. كل الملفات موجودة على الكومبيوتر النقال، وأستطيع الاتصال بزبائني عبر البريد الإلكتروني. لن يعرفوا حتى أنني في أستراليا. هذا ليس وضعاً مثالياً، لكنه يتيح لي أن أتابع عملي كالمعتاد».

علق هال: «ما عدا أنك لن تجدي وقتاً لتمارسي وظيفتك إذا كنت تخططين لأن تقومي بكل ما تفعله لوسي. سيكون عليك أن تحضري وجبات لذيذة لسبعة رجال وولدين كل يوم، وغالباً ما سيكون هناك أشخاص أكثر أيضاً. قد تطهين لاثني عشر أو لخمسة عشر شخصاً أو حتى لعشرين أحياناً. سيحتاجون كلهم إلى فطور وغداء وعشاء، كما يجدر بك تقديم الشاي مرتين يومياً».

إنها معتادة أن تطهو لشخص واحد، لا لعشرة أشخاص!

كررت ميريديث وقلبها يرتجف خوفاً لفكرة كل تلك الوجبات: «تقديم الشاي!».

قال هال: «ترتفع الحرارة هنا خلال النهار لذلك يبدأ الرجال بالعمل باكراً، ويتوقفون عادة لاحتساء كوب من الشاي والتدخين في منتصف فترة الصباح، ثم يتوقفون مجدداً في فترة ما بعد الظهر، كما يحبون تناول القليل من الكعك المحلى والبسكويت أو ما شابه. أنا شخصياً مولع بالكيك الإسفنجي».

الكيك الإسفنجي؟ حسناً! صرّت ميريديث على أسنانها وهي تتنهد، ثم قالت: «أنا قادرة على فعل هذا».

أكمل هال وهو يشعر بالمتعة من خوفها: «عليك أيضاً القيام بتنظيف المكان كله».

وأضاف: «لوسي هي مدبّرة منزل وطاهية كذلك. فهي تنظف المزرعة، وتغسل الثياب، وتضبط الراديو وتراقب الحديقة».

تنهدت ميريديث حقاً هذه المرّة. وسألته: «أهذا ما تسبب بالموت لعبدتك السابقة؟».

ابتسم هال ابتسامة رضى، وقال: «لم أنتهِ بعد. عليها أن تهتم بالصغيرين أيضاً. سيبدآن بتلقي دروس عبر الأثير بدءاً من نهار الإثنين، ما يعني أنه يجب أن يكونا حاضرين لسماع الراديو في الأوقات المحددة للدروس، ثم عليهما أن يقوما بالمراسلة لخمس أو ست ساعات، وهذا كله يجب أن يتم تحت الإشراف. معظم صغار الريف الأسترالي معتادون على ذلك، لكن إيما وميكي عاشا في سيدني، لذا سيحتاجان إلى مساعدة أكثر ليقوما بإنجاز دروسهما».

سألت ميريديث بلطافة: «هل تحاول أن تكرّهني بهذه الوظيفة؟ صدّقني، لا داعي لذلك، فقد كرهت الأمر حتى قبل أن يبدأ».

– أنا أشير فحسب إلى أنك لن تجدي الكثير من الوقت لتقومي بوظيفتك الخاصّة.

رفعت ميريديث ذقنها وقالت: «سأجد وقتاً».

– هذا يعود إليك. لكن لا تعتقدي أنك تستطيعين إتمام هذه المهام على

عجل واستهتار لتتصرفي إلى وظيفتك. أوافق على مغادرة لوسي، شرط أن تكوني مستعدة لتقومي بالوظيفة على أكمل وجه.

قالت ميريديث ببرودة: «أنا أقوم بعملي على أكمل وجه دائماً».

نظر هال إليها، واستطاع أن يصدّق ما قالت. بدت ميريديث كفوءة تماماً مع أنها تملك جسداً جذاباً لا يتناسب مع تلك الكفاءة والجدية. ذلك الجسد الذي لم يكن من المفترض به ملاحظته. استدار ليلقي ظهره على السياج، ثم عقد ذراعيه ليبقي يديه تحت السيطرة.

– ماذا عن بقية شؤون حياتك؟

جاء دور ميريديث لتشعر بالحيرة، فسألته: «ماذا تعني؟».

– قد تغيب لوسي لعدة أسابيع كما قلتِ، فالأمر يعتمد على قدرة ريتشارد على التحسّن، لذا ربما تعلقين هنا لفترة من الزمن. لا يستطيع الكثيرون التخلي عن طريقة عيشهم المعتادة من دون إنذار.

أجابت ميريديث: «أخبرتك أن عملي حرّ. مادمت أعمل – وهذا ما سأفعله – سأقبض المال، وسوف أدفع فواتيري عن طريق الإنترنت. ليس لدي حيوانات أليفة وجرس الإنذار يعمل بصورة جيدة في منزلي. ستتراكم رسائلي البريدية، لكن بخلاف ذلك، أعتقد أن كل شيء سيبقى تحت السيطرة».

بالطبع! لا بد أن حياة ميريديث هي دوماً تحت السيطرة.

– ماذا عن أصدقائك المقربين؟

سألته ميريديث بصرامة: «ماذا عنهم؟».

– لن أشعر بالرضى إذا أخبرتني صديقتي أنها ستذهب في رحلة قصيرة، ثم بقيت لأسابيع عدة.

لا سيّما إذا كانت تلك الصديقة تملك جسداً مثل جسد ميريديث، وكان معتاداً على أن يذوب في نعومتها ودفئها! عقد هال ذراعيه بقوة أكبر.

قالت ميريديث بعد وقفة قصيرة: «ما من شخص مميّز في حياتي هذه الفترة».

ثم أضافت متذمرة: «كأن هذا من شأنك!».

أشار هال: «سيصبح من شأني إذا بدأت تتلقين اتصالات هاتفية مشتاقة تتوسل إليك العودة إلى المنزل، وإذا أصبحت مشوشة الأفكار، وبات عليك الاختيار بين أختك وحبيبك. لن يكون ذلك خياراً سهلاً».

قالت ميريديث، وهي بالكاد تشعر بالمرارة: «حسناً! لا داعي للقلق فلست مغمورة بمحبين مشتاقين، وحتى لو كنت كذلك، لن أجد من الصعب على الإطلاق أن أقوم بخياري. قلت إنني سأبقى هنا وآخذ مكان لوسي، وسأفعل».

نظر إليها وقال: «قول ذلك سهل جداً، لكن ماذا يحصل حين يتوجب عليك أن تكافحي لتقومي بكل شيء على أكمل وجه فيما أنت تواجهين الحر والذباب وتشعرين بالملل والوحدة؟ حينها، ما الذي يمنعك من تغيير رأيك والعودة بسرعة إلى إنكلترا؟».

أجابت ميريديث وهي ترفع ذقنها نحوه: «لا شيء سوى كلمتي».

ثم تابعت: «لا أتوقع أن أحب المكان هنا. أنا واثقة تماماً أنني سأشعر بالملل، وسأكره الحر والذباب، لكنني وعدت لوسي أنني سأبقى الوقت المطلوب كي تستطيع العودة إلى وظيفتها، وأنا أفي بوعودي دائماً».

بدا صوت هال قاسياً حين قال: «سمعت هذا قبل الآن. بحسب خبرتي، لا يمكن الاعتماد على وعود النساء».

تساءلت ميريديث من الذي زرع في قلبه تلك المرارة: «ليس عليك إلا أن تثق بي. إن لم تفعل، لن تحصل على طاهية إطلاقاً. أعرف لوسي... إنها تفي بوعودها أيضاً، وقد وعدت والدة ريتشارد أن تذهب لترى إذا كان يمكنها المساعدة. لن تبقى بعد الآن، فإذا كنت ستقبل بي في مكانها... على الأقل، سيكون ثمة من يساعدك، وذلك أفضل من البقاء وحدك».

نظر هال إليها بغضب، مدركاً أنها على حق. لكنه لم يستطع إلا أن يشعر بالحنق بسبب الطريقة التي بدت فيها أنها تعيد تنظيم حياته لتلائم حياتها.

سألها وهو مقطب الجبين: «هل أنت دوماً هكذا؟».

- هكذا...؟ ماذا تعني؟

أجابها بعد أن فتش عن الكلمة الصحيحة: «مولعة بإصدار الأوامر؟».

ثم تابع معتذراً: «أنا لا أحب تلقي الأوامر. أنا أدير هذه الملكية منذ خمس عشرة سنة. إذا كان هناك من أوامر يجب أن تُعطى، فأنا من يعطيها».

اعترضت قائلة: «أنا لا أعطيك الأوامر. أنا أقدم حلاً عملياً للمسألة وحسب».

دمدم هال قائلاً: «لم تكن هناك أي مشكلة قبل ظهورك».

قالت بصوت منتعش: «حسناً! ثمة واحدة الآن. بطريقة أو بأخرى، عليك أن تتعامل مع الأمر».

أقر بانزعاج: «آه... حسناً! إذا كنت عازمة على البقاء، فابقي».

قالت ميريديث، بنبرة هادئة كالمعتاد: «شكراً».

ثم أضافت: «ثمة شيء واحد بعد».

همهم هال: «ماذا الآن؟».

- أريدك أن تعدني أن تسترجع لوسي الوظيفة حين تعود.

قال هال: «لا أظن أنك في موقع يسمح لك بطلب الوعود مني».

قالت بعناد: «هذا هو الاتفاق. لن أبقى إلا إذا وعدتني بأن تحتفظ لها بالوظيفة».

بحركة تنم عن انزعاجه دفع هال نفسه بعيداً عن السياج، وقال: «حسناً! أنا مستعد لأن أعدك بهذا، لكنك لن تغادري ولو لثانية واحدة قبل أن تعود لوسي. إذا ما غادرت، سأفسخ الاتفاق».

قالت ميريديث: «جيد!».

- اتفقنا!

من دون تفكير رفع هال يده، وبعد دقيقة واحدة من التردد، صافحته ميريديث. أرسلت أصابعه القوية الدافئة المشدودة حول أصابعها إحساساً غريباً إلى أسفل عمودها الفقري. كانت الرؤية مظلمة جداً لتقرأ التعبير في عينيه، لكن عندما رفعت بصرها إلى الأعلى لتنظر إليه جعلها شيء ما في

www.elromancia.com

وجهه تسحب يدها بعيداً بسرعة قوية. شعرت بضيق نفس مفاجىء وصعب التفسير.

قالت: «اتفقنا!».

٤ - لمسة امرأة

كانت ميريديث تشعر بالتعب حين جلس الجميع لتناول وجبة العشاء تلك الليلة. لقد أمضت عدة أيام في السفر، وقبل ذلك شعرت بالكثير من القلق على ريتشارد، حتى إنها بالكاد استطاعت النوم طوال الأسبوع. أما الآن فقد وجدت أختها، وطمأنتها لوسي أنها ستعود إلى الديار، ما يعني أنها اخيراً تستطيع أن تتوقف لترتاح قليلاً.

وبالفعل توقفت! أصابها النعاس، فغفت فوق صحنها الذي يحتوي على قطعة من لحم البقر مع الخضار.

في صباح اليوم التالي لم يبق لديها سوى انطباع غير واضح لمربي الماشية القليلي الكلام ولولدين متجهمين. بدا هال صارماً، أما الطباع المشرقة الوحيدة فظهرت لدى لوسي التي كانت تميل بسعادة نحو رجل هادىء هو كيفين - كما افترضت ميريديث - وكذلك ابن عم هال، غاي غرنغرفيلد.

بدا غاي - وهو إنكليزي مثلها - متحدياً للنمط الأسترالي السائد حتى أكثر من ابن عمه، وفاجأها ذلك. فيما بدا هال داكن البشرة، متحفظاً وكتوماً، أظهر غاي طبيعة ترشح استرخاء وسحراً ومودة. حتى إن ميريديث وهي المتحصنة ضد السحر، وجدت أن من المستحيل مقاومته. لم يبدُ غاي جذاباً فحسب بشعره الأشقر وعينيه الزرقاوين اللتين تتراقصان مرحاً، بل كان مضحكاً أيضاً، حتى إنه أضحك هال، وهذا بحد ذاته شيء يستحق النظر إليه.

عندما حصل هذا للمرة الأولى كانت تساعد لوسي في حمل الخضار. كانت على وشك أن تضع صحناً من الجزر على الطاولة حين قال غاي شيئاً

www.elromancia.com

جعل هال يرمي رأسه إلى الخلف ضاحكاً، فبدا التغير على وجهه استثنائياً، ما جعل ميريديث تسقط الصحن من يديها. لحسن الحظ أنه سقط فوق الطاولة فوقعت بضع جزرات منه. لكن بالطبع، توقف الجميع لينظروا إليها.

وضعت اللوم على التعب الناتج عن السفر وقد احمرت وجنتاها خجلاً. بالطبع، هي لن تعترف بالدهشة التي أصابتها عندما أضاءت تعبير هال ابتسامة مشرقة، ونضحت عيناه الرماديتان بالدفء، وظهرت أسنانه القوية البيضاء، فبدا أصغر سناً وأكثر جاذبية. من الجيد أنه لا يبتسم في أغلب الأحيان، ومن الجيد أن غاي راحل في اليوم التالي آخذاً المرح معه.

في الواقع، حلّ غاي المشكلة الأخيرة التي تتعلق بعودة لوسي إلى المنزل، فقال لميريديث: «يا له من توقيت ملائم!».

وأضاف: «أمضي هنا شهرين كل سنة، وأؤخر عودتي إلى المنزل لأطول وقت ممكن، لكن عليّ حقاً الذهاب الآن. أمي ستخضع لعملية زرع ورك اصطناعي، وعلي أن أكون بقربها».

ظهرت على محياه ابتسامة أسف، فيما تابع يقول: «على الأرجح أنني سأزعجها، لكنني أعرف أمي، ستشعر بالانزعاج أكثر إذا لم أكن موجوداً».

استأجر غاي طائرة لتنقله إلى داروين في الصباح التالي، وسيقلّه القبطان من مدرج ويريندغو، لذا بدا منطقياً جداً أن تذهب لوسي معه. يمكنهما أن يسافرا معاً ويوفرا على هال رحلة أخرى إلى ويمانزكريك، ويمكن للوسي أيضاً أن تستقل الطائرة نفسها إلى لندن. كما أن سيارة ستنتظر غاي في مطار هيثرو فتستطيع حينها أن تذهب مباشرة إلى وسط لندن من دون أن تتكبد أي عناء.

بدت هذه خطة رائعة لميريديث، ولم يبدِ هال أي اعتراض. الشخص الوحيد الذي لم يكن سعيداً هو لوسي نفسها.

هي وحدها أيضاً بدت محصنة ضد سحر غاي. بعد أن اصبحتا في المطبخ قالت لميريديث: «إنه ليس سوى طفلاً غنياً مدللاً، وليس رجلاً حقيقياً مثل كيفين».

سواء كان رجلاً حقيقياً أم لا، فهي تفضل تلك الشخصية. برهن غاي أنه شخص عملي أكثر ممّا ظهر عليه من الانطباع الأول. فهو الذي نظم كل شيء، فيما كانت لوسي تودع كيفين وداعاً عاطفياً.

استيقظت ميريديث متأخرة ذلك الصباح وهي تشعر بالغثيان، وكأنها نسيت أن تفعل شيئاً مهماً جداً. اندفعت بسرعة من السرير، ظانة أنه يجدر بها أن تحجز تذكرة للوسي على طائرة متوجهة من داروين إلى لندن، إلا أنها فوجئت عندما اكتشفت أن غاي أنجز الأمر كله، ما جعلها تشعر بالسرور. بالنسبة لامرأة اعتادت أن تقوم بكل شيء بنفسها، شعرت ميريديث بمتعة عظيمة عندما وجدت أنها تستطيع الارتياح لفترة.

ها هي تقف الآن على المدرج الممتلىء بالغبار بجانب هال. راحت تلوح بيدها فيما أخذت الطائرة الصغيرة التي استأجرها غاي تسرع على أرض المدرج. بدت الطائرة كاللعبة وهي ترتفع تدريجياً نحو السماء الواسعة الشديدة الزرقة.

شعرت ميريديث بألم في عينيها خلف نظارتيها الشمسيتين. إلى جانبها وقف هال وهو يعتمر قبعة، وعيناه تضيقان من التحديق فيما راقب الطائرة تختفي في زرقة السماء.

بدا الصمت الذي خيم عليهما ثقيلاً، كما بدا حجم الأفق الهائل وهدوء المنظر حولهما مسيطرين. شعرت ميريديث أنها صغيرة جداً، وفكرت لو أن هال ليس بقربها لشعرت بالذعر.

في الواقع، بدا حضور هال الصارم مهدّئاً تماماً، وبدا منظره الجانبي متميزاً بطريقة غريبة جداً في الضوء البلوري، وهو يقف أمام الأشجار الطويلة الرفيعة.

تمكنت ميريديث من رؤية مسام جلده بوضوح، وكل نقطة غريبة في قبعته البالية المصنوعة من اللّباد. كان يرتدي سروال جينز باهتاً وجزمة غير نظيفة، فيما كمّاه مرفوعان عن رسغيه إلى الأعلى، ويداه بنيتان وثابتتان. بدا مرتاحاً جداً في ذلك المكان الغريب، وشعرت ميريديث فجأة برغبة صبيانية قوية في

التمسك به لتحسّ بالأمان.

- من الأفضل أن نذهب.

وافقت ميريديث بانتعاش: «نعم».

هذا يكفي! هي امرأة حسّاسة بالطبع، إلا أنها ليست بحاجة إلى هال لتشعر بالأمان. هذه أستراليا وليست نهاية العالم!

استدارت فيما توجه هال إلى الشاحنة المركونة في الظلال الخفيفة. في مكان قريب منهما رأت طائرة صغيرة ذات مروحة في مقدمتها. سألته حين أخبرها أنها له: «لِمَ لم تسافر على متنها إلى ويمانزكريك البارحة؟ الرحلة بالطائرة مريحة أكثر من الجلوس بالشاحنة لساعتين!».

أجاب هال: «أريد أن يكشف جايد على دفتها الخلفية. إنه الميكانيكي، لكنه لا يملك الوقت لذلك الآن فهو يتفحص أنابيب المياه، وهذا أكثر أهمية من الشعور بالراحة أثناء رحلة إلى البلدة».

نظرت إلى الطائرة بعدم استحسان فيما تبعت هال إلى الشاحنة. في ظروف طبيعية، لم تكن ميريديث لتضع قدمها فيها، لكنها لم تقدر إلا أن تتمنى أن يصلحها جايد في وقت قريب، آملة أن تكون رحلتها القادمة إلى ويمانزكريك أكثر ارتياحاً. نظرت حولها إلى الأشجار الخفيضة المخيفة بصمتها، وتنهّدت. بدا منزلها الدافئ في توينغ بعيداً جداً...

أشار هال وهو يفتح بابه: «تستطيعين الجلوس على المقعد الأمامي هذه المرة».

همهمت ميريديث: «هذا كرم وفير من قِبلك».

يبعد المدرج عن المزرعة حوالى نصف الميل، ولم يكن المقعد الأمامي يتسع لأكثر من ثلاثة أشخاص. وبما أن هال هو السائق أما غاي ولوسي فتنتظرهما رحلة طويلة، بدا من المنطقي أن تجلس ميريديث في الخلف مع الحقائب.

كشرت وهي تنظر إلى سروالها الباهت اللون وقميصها البيضاء وهي قميص من دون كمين. حسناً! كانت بيضاء اللون حين ارتدتها في الصباح.

قالت: «لا أظن أن الجلوس في المقعد الأمامي سيحدث فرقاً لثيابي».

سألها هال وهي تصعد إلى مقدّمة الشاحنة: «أليس لديك ثياب عملية أكثر من هذه التي ترتدينها؟».

أجابت ميريديث التي اعتقدت أنها أحسنت العمل بارتداء ذلك السروال: «لا!».

شغّل المحرّك فارتجت الشاحنة، فيما قال باشمئزاز: «عليك أن ترتدي ثياباً عملية أكثر».

عارضته ميريديث قائلة: «ثيابي كلها عملية، لكنني لم أدرك أنني سأجلس في مؤخرة شاحنة مفتوحة تسير فوق حفر مغبرة. مزقت ثوبين حتى الآن».

ثم تابعت بكآبة: «إذا استمر الأمر على هذا المنوال، لن تبقى لدي ثياب أرتديها طيلة الأسبوع القادم! حينها سأقوم بالطهو وأنا أرتدي ثيابي الداخلية».

رفع هال حاجبيه وقال: «يبدو هذا مثيراً للاهتمام».

جاء صوته جافاً؛ لكن حين نظر إلى ميريديث، أدركت بصدمة خفيفة أن العينين الهادئتين تحملان بريقاً مميّزاً من التسلية. سرت في عمودها الفقري رجفة تحمل شعوراً غامضاً محفوفاً بالخطر.

أخذت راحة يدها تخزها حين تذكرت شعورها عندما لمست يده في الليلة السابقة حين أطبقت أصابعه حول أصابعها فيما هما يبرمان اتفاقهما. لا يجدر بها أن تتذكر شعورها ذاك، كما لا يجدر بها أن تستذكر إحساسها بالدفء والثقة التي بعثتها ملامسة يده ليدها! وبخت ميريديث نفسها، وجف فمها لهذه الفكرة. لكن لحسن الحظ، غيّر هال الموضوع موفراً عليها التفكير في جواب بليغ ملائم، ماجعلها تتساءل إن كانت قد تخيلت ذلك البريق الذي ظهر في نظرته منذ دقيقة. سألها: «هل تسنّى للوسي الوقت لتريك المكان؟».

تمسكت ميريديث بلوحة أجهزة القياس ونظرت خارج النافذة وهي تشعر بالخجل لعلمها أن الاحمرار علا خديها، وقالت: «لا! انشغلت لوسي بالطهو في الليلة الماضية، وكنا على عجلة من أمرنا هذا الصباح. كان عليها أن

توضب أغراضها، وأنا نمت حتى ساعة متأخرة».

- لا بد أنك متعبة!

قالت بشيء من الصرامة: «نعم. أنا آسفة بشأن الليلة السابقة».

- هل ستكونين بخير لتعدّي العشاء اليوم؟

قالت بسرعة وهي تقرأ النقد في نبرة صوته: «بالطبع! أخبرتك أنني أستطيع أن أقوم بوظيفة لوسي، وسأفعل».

نظر هال إليها وقال: «في تلك الحالة، من الأفضل أن أدلك على أماكن وجود الأغراض. سيوفر هذا عليك القليل من الوقت».

عندما وصلا إلى المزرعة كان ميكي وإيما لا يزالان في السرير، بالرغم من الأوامر الصارمة بأن ينهضا ويرتديا ثيابهما قبل عودة ميريديث وهال من المدرج. سحبهما هال من السرير وأرسلهما إلى المطبخ حيث وجدا الفطور بانتظارهما، فيما قام مع ميريديث بجولة سريعة على المزرعة.

تذكرت ميريديث بعض الأجزاء منها من الليلة السابقة. غرفة الطعام بسيطة جداً وهي مفتوحة من المطبخ إلى الخارج. أما الجهة الأخرى من المطبخ فتؤدي إلى شرفة مريحة للنظر محمية بحاجز شبكي آخر، حيث وُضع عدد من الكراسي المصنوعة من أماليد مجدولة على شكل نصف دائرة. أخبرتها لوسي أنهم يتجمعون هناك لشرب عصير بارد قبل الغداء. لكن بعد أن راقبت ميريديث أختها أثناء عملها، لم تتخيل قط أنه سيتسنى لها الوقت لتجلس.

قادها هال إلى غرفة المؤن وغرفة الغسيل، حيث رأت صفاً طويلاً من البرادات المصنوعة من الفولاذ الصلب والثلاجات المتعددة الحرارة.

قال وهو يفتح أحد الأبواب: «هذه هي غرفة المؤونة الباردة».

ارتدّت ميريديث لرؤيتها ذبيحة تتدلّى من عقيفة معدنية وقالت باستغراب: «آه! ما هذا؟».

أجابها بنفاد صبر: «كانت بقرة، والآن أصبحت طعاماً».

- أتمنى ألا تتوقع مني أن أفرمها!

صرّ هال على أسنانه مستحضراً كل ما يملكه من صبر، ثم قال: «لا».

أكمل وهو يشير إلى أجزاء صغيرة مقطعة تتدلى من أحد الجوانب: «أحد الرجال سيفرمها. ما زالت هناك بقية من اللحم المقطع في المطبخ».

بعدئذٍ أضاف: «هذه للشواء أو للشرائح المعدة للقلي، وهناك آلة للفرم أيضاً. أعتقد أن لوسي تحتفظ ببعض اللحم المقطع إلى مكعبات صغيرة في الثلاجة للطهو».

كشّرت ميريديث، فهي معتادة على اللحوم المغلّفة الموضوعة في علب معقمة جميلة في المتاجر الكبرى.

سألته وهي تحوّل عينيها عن الذبيحة: «ماذا يحصل عندما تنفد هذه الكمية؟».

نظر هال إليها وسألها: «ماذا تعتقدين؟».

التوى فمها إلى الأسفل، ولم يعجبها أن يتم ذبح بقرة مسكينة لمجرد أن تطلب هي ذلك. سألته: «ماذا تطعم النباتيين؟».

قال وهو يقفل الباب: «لا نصادف الكثير منهم في هنا. نحن نأكل لحم البقر ولحم البقر، ثم لحم البقر، والمزيد من لحم البقر».

أعلمته ميريديث بغضب: «أنا أحضر فطيرة سبانخ لذيذة».

- أنا واثق أنك بارعة في ذلك، لكنني لو كنت مكانك، لن أضيع وقتي في تحضيرها. هنا لا يحب الرجال أي مأكولات غريبة، لذا من الأفضل أن تكون الوجبات عادية. هم يحبون البودينغ بالطبع، لكن بالرغم من ذلك، كلما كان الطعام قديم المنشأ، كلما أحبوه أكثر.

- حسناً!

تنهدت ميريديث في سرّها، واعتراها شعور بأنها ستتعب كثيراً من طهو البقر وتحضير حلوى الفواكه.

أكمل هال، مشيراً إلى النافذة: «هناك قطعة أرض مزروعة بالخضار، لكن حين يتسنى لأحدهم الفرصة للذهاب إلى تاونسفيل، فأنه يجلب معه الفواكه والخضار التي لا نستطيع زرعها هنا».

إلا أنها لم تكن تصغي إلى حديثه، بل راحت تنظر إلى الاتجاه الذي أشار إليه، وبدا أن نظراتها عالقة بشيء عجيب أكثر من الرقعة المزروعة بالخضار. سألته بصوت ملؤه البهجة: «أتلك شجرة ليمون حامض؟».

نظر هال إليها مدهوشاً. لم يتوقع مطلقاً أن تشعر بالرضى والابتهاج بسبب شيء بسيط جداً كهذه الشجرة. فجأة بدت مشرقة الوجه، وتألقت عيناها بالاهتمام فأصبح لونهما غير عادي. إنه لون أزرق داكن جداً، يميل إلى الأرجواني تقريباً. يمكن للمرء أن يضيع في هاتين العينين إن لم يكن حذراً.

قال بسخط وهو ينتزع نظره عنها: «سأريك ما تبقى من المزرعة».

لم تتوغّل ميريديث كثيراً في الغرف في اليوم السابق. لكن أثناء النهار، بدا واضحاً أن منطقة المطبخ هي امتداد عصري نسبياً، أما الجزء الأساسي من المزرعة فيعود تاريخه إلى بداية القرن العشرين. كيف بحق السماء تمكنوا من بناء منزل كهذا في مكان بعيد ناءٍ، من دون وسائل التكنولوجيا الحديثة؟

فتح هال باباً إلى غرفة طعام قديمة الطراز مع طاولة طعام جميلة، فلاحظت ميريديث أن النوافذ الطويلة تطل على شرفة واسعة مطلة بدورها على الحديقة، ورأت جدولاً محاطاً بصف من الأشجار يلوح من مسافة بعيدة. ما إن دخلت إلى الغرفة، نظرت حولها بسرور وعلقت باستغراب: «آه! هذه غرفة لطيفة!».

ثم أضافت: «على الأقل، ستصبح كذلك إذا نظفت جيداً».

مررت إصبعها على خزانة صغيرة مصنوعة من خشب الورد، ثم غضنت أنفها وقالت: «بالإضافة إلى ذلك، يلزمها طلاء جديد فتصبح رائعة».

قال هال بطريقة فظّة: «إنها لا تحتاج إلى طلاء. أنا لا أجلس هنا مطلقاً».

جالت ميريديث على النوافذ، ولمست الستائر الباهتة، ثم قالت: «هذا مؤسف! لا عجب إذاً أنها لا تبدو مرحبة. على الرغم من ذلك، لا بد أن هناك من أحب هذه الغرفة... شخص يتمتع بذوق رفيع. أهي أمك؟».

أجابها بفظاظة وبنبرة مقتضبة: «لا أذكر».

ترددت ميريديث في المتابعة، فهي لا ترغب في التدخل بشؤونه، لكن بدا من الغرابة ألا يذكر أمراً كهذا. قالت: «آه! هل خسرت أمك يافعاً؟».

قال هال بعد تردد قصير جداً: «كنت في الثانية عشرة من عمري».

- أنا كنت في الخامسة من عمري حين توفيت أمي، لكن أبي تزوج مرّة أخرى بعد سنتين.

أجالت بصرها في أنحاء الغرفة الهادئة وفكرت، إذا كانت والدة هال قد توفيت وهو في الثانية عشرة من عمره وهو الآن في الثلاثينيات منه، فقد مضى على استعمال هذه الغرفة ربع قرن تقريباً. كم يبدو هذا محزناً! وكم يبدو مستغرباً ألا يذكر أمه جالسة هنا. عادت تقول: «أعتقد أن أباك لم يتزوج ثانية».

- لا!

- هذا ما استنتجته، إذ إن البيت بأكمله يحتاج إلى لمسة أنثوية.

قال بصرامة: «لا تبقى أية مدبرة منزل لفترة طويلة هنا، لكنهن يحافظن إجمالاً على نظافة المكان».

- لا يتعلق الأمر بالغبار.

نظرت إليه بفضول وتابعت: «إن غرفة كهذه تحتاج إلى من يحبها ويعيش فيها، وتنظيفها بسرعة بالمكنسة الكهربائية لن يعيدها إلى الحياة مجدداً!».

أردفت بعد قليل: «ألم تفكر بالزواج قط؟».

- مرّة واحدة.

تمنى هال في تلك اللحظات لو أنه لم يجلب ميريديث إلى تلك الغرفة. أعادت هذه الغرفة إليه ذكريات كثيرة لأجمل الأوقات في حياته. أما الآن فبدت قذرة ومحزنة خلافاً لحيوية ميريديث. أردف: «لم تنجح علاقتنا».

بدا أن خوفه في محله، ففي تلك اللحظة جلست ميريديث على ذراع الأريكة وبدت مهتمة بصدق، فسألته: «لِمَ لا؟».

هزّ هال كتفيه، وأجاب: «التقيت جيل في داروين وأصبحنا صديقين.

سارت علاقتنا بطريقة جيدة وأمضينا وقتاً ممتعاً معاً. كنت أذهب إلى داروين لأبقى معها كما أتت هي أيضاً إلى هنا مرتين. لكن بعد خطوبتنا، قررت أن تأتي لتمضي المزيد من الوقت هنا... بقيت هنا أسبوعين فقط، لكنها أدركت أنها ستعيش في عزلة عن العالم إذا تزوجتني، لذا قررت ألا تستمر علاقتنا».

تساءلت ميريديث عن تلك المرأة، جيل، أتراها كانت لطيفة؟ جميلة؟ لابدّ أنها مميزة بطريقة ما لتأسر قلباً قاسياً كقلب هال. تمتمت: «أنا آسفة!».

ما هي صفات المرأة التي يمكنها أن تجعله يرتاح ويبتسم ويضحك ويحب؟

- لا تشعري بالأسف.

جلس هال على كرسي ذي ذراعين وعقد رجليه الطويلتين عند الكاحلين. شعرت ميريديث بالصدمة من جديد بحضوره الجسدي القوي. بدا قوياً وصلباً وذا شخصية عظيمة في تلك الغرفة الباهتة ذات الطابع الأنثوي.

أردف بعد قليل: «على الأقل كانت جيل صادقة. من الجيد أنها أدركت أن علاقتنا لن تنجح حينها، ولم تقرر هذا بعد زواجنا وإنجابنا الأولاد».

قالت ميريديث بتأثر: «لا بد أن ذلك سبب لك الألم. فالرفض ليس أمراً ممتعاً على الإطلاق».

أجاب هال: «كان قراراً مشتركاً، ونحن ما زلنا صديقين. إنها تعيش في ملبورن الآن. تزوجت طبيباً، وهما سعيدان معاً كما أعلم».

- وأنت؟ ألم تقابل سواها منذ ذلك الوقت؟

- ما من امرأة تقبل العزلة، وأنا لا يمكنني الابتعاد عن المزرعة.

- ألا تشعر بالوحدة قط؟

- لا! عادة ما يتواجد هنا سبعة رجال على الأقل. سوف تتفاجئين لكثرة الأشخاص الذين يمرون من هنا، بعضهم موظفون حكوميون، وبعضهم علماء، وآخرون صحافيون، زائرون، وسائقون، وربانو مروحيات... أحياناً يجتمع عشرون شخصاً على الطاولة في المساء. ما من فرصة لأكون

وحيداً.

قالت ميريديث: «نعم. لكن هذا يختلف عن وجود شخص مميز».

رفع هال حاجباً تجاهها، وسألها: «هل تسأليني بطريقة ما، إن كنت أحصل على امرأة في سريري؟».

تسارع اللون إلى خدي ميريديث، وقالت مذعورة: «بالطبع، لا!».

أنهى هال كلامه: «هذا ما بدا من سؤالك».

لكن ميريديث بدت خجولة جداً لتسمع المرح الذي صبغ صوته منذ البداية، فقالت: «لا أحلم بسؤالك هذا! يا إلهي، بالطبع لا! ما عنيته هو إن كان لديك شخص... حسناً! شخص قريب تتحدث إليه وتضحك معه و...».

هذه المرة سمعت ميريديث جيداً السخرية الضمنية في صوته وهو يقول: «وأقيم علاقة معه».

رفعت ذقنها باتجاهه، وتحدته قائلة: «حسناً! ألا ترغب بوجود شخص كهذا؟».

أخبرها هال بصراحة: «أحياناً بلى، لكن ليس لوقت طويل».

وأردف: «لا أقيم علاقة مع امرأة تتطلّع إلى الارتباط».

- أين تجد نساء لا يتطلعن إلى هذا الأمر؟

أجابها: «لدينا حياة اجتماعية في الريف، تعلمين هذا... حفلات راقصة، سباقات، روديو، حفلات أعراس وحفلات عادية أخرى... عليك أن تسافري مئتي ميل لتصلي إلى هناك، لكنك تذهبين بالرغم من ذلك، وقد تتفاجئين لكثرة عدد الأشخاص الذين تلتقينهم».

استقرت عينا هال على وجه ميريديث الذي ما زال يبدو أرجوانياً بسبب الخجل، وتابع: «... وبالطبع، هناك فتيات مثلك».

ارتفع صوت ميريديث درجة واحدة وهي تسأله مستفسرة: «ماذا تعني؟».

شرح لها هال: «طاهيات ومدبّرات منازل. يلتقي المرء أشخاصاً عديدين

هنا. عادة ما تبقى الفتيات هنا شهرين أو ثلاثة فقط، لهذا ربطت لوسي بذلك العقد لأتأكد أنها ستكون هنا حين يأتي الولدان. غالباً ما ترغب الفتيات في تجربة حياة الريف الأسترالي لفترة ما، فنستمتع بوقت جميل معاً لفترة معينة، ثم يغادرن من دون أي شعور بالندم».

لم تعرف ميريديث كيف تتعامل مع صراحة هال، فعلقت بسرعة: «لا أظنك تعني أن إقامة علاقة معك هي جزء من واجباتي».

أزعجتها الفكرة إلى درجة تفوق ما يمكنها الاعتراف به، فعقدت ذراعيها بحركة دفاعية غير واعية.

أوضح هال: «لا!».

ثم أضاف بعد فترة صمت قصيرة: «إلّا إذا أردتِ هذا، بالطبع».

إلا إذا أرادت ذلك؟ يا للوقاحة!

رمقته بنظرة غاضبة، فيما بادلها هال النظر رافعاً حاجبيه. شعرت بالغثيان لأنها بالغت في تصرفها لمجرد سماعها مزحة على الأرجح. رفعت رأسها فجأة، ونفضت سروالها عدة مرات بيديها، ثم قالت بنبرة هادئة كعادتها: «بالطبع لا».

لم يبد على هال الانزعاج، وهو أمر ضايقها على نحو لم تتوقعه. من المفترض أنها مزحة. أليس كذلك؟

- لا تقل لي إنك تفكر فعلاً بإقامة علاقة معي؟

أوضح هال قائلاً: «برأيي، أنت مثالية لذلك. أنا واثق أنك لا تريدين الالتزام، فأنت لا تستطيعين الانتظار لتركبي الطائرة وتعودي إلى إنكلترا».

شعرت ميريديث بالغضب من كلامه، وقالت: «وهكذا سأوافق على إقامة علاقة عابرة، وأكون ملائمة لك. أليس كذلك؟».

قال هال: «لا أقصد ذلك بالتحديد، لكن إذا أحببت الفكرة، لن أرفض طبعاً».

قالت بالصوت الأكثر لطفاً لديها: «أؤكد لك أن الفكرة لا تجذبني البتة!».

لم تبدُ على هال أي إشارة على تعكر صفو مزاجه. كل ما قاله وهو يسوي جلسته على الكرسي: «حسناً! أعلميني إذا غيرت رأيك».

وأردف: «هل نستأنف جولتنا؟».

يا لجرأته! بالكاد ابتسم لها منذ وصولها، والآن وصلت به الوقاحة إلى حد أن يقترح عليها إقامة علاقة معه إذا رغبت في ذلك؟! تساءلت ميريديث كيف يمكنها أن تجيب على شيء كهذا، فيما تبعت هال إلى خارج الغرفة. هل توقع منها حقاً أن تجيبه: آه! أجل. وكأن الأمر ليس مهماً البتة؟ لو أنها وافقت، ما الذي سيفعله؟ هل سيعانقها أم أنه سينتظر حتى وقت متأخر من المساء، حين يخلد الولدان إلى النوم ويرجع رعاة الماشية إلى غرفهم، فيبتسم لها ويغازلها؟

أحست بجفاف في فمها فابتلعت ريقها. كيف بدأ هذا الحديث الأحمق؟ إنها الآن حانقة، وبالرغم من جهودها المضنية لتبقي نظراتها متجهة إلى الأمام، راحت عيناها تتلفتان جانباً إلى يديه، فمه، حنجرته، ثم إلى عينيه، من دون أن تتمكن من إبعادهما عنه...

البارحة، تصافحا باليدين ليؤكدا على اتفاقهما.

تذكرت ميريديث شعورها عندما أطبقت أصابعه حول أصابعها. إذا كانت لمسته كافية لتسبب لها تلك الارتجافة فما الذي سيفعله عناقه؟

وتخت نفسها فيما مشت ببطء في الرواق بجانب هال، وهي عاقدة حاجبيها بجهد لإبقاء عينيها وعقلها تحت السيطرة. توقفي عن هذا! توقفي! توقفي!

الحمد لله إنها ذات طباع جدية وليست متهوّرة مثل لوسي التي يحتمل أن تتعثر بعلاقة كهذه من دون أن تفكر بالنتائج. حسناً! أقفل الموضوع الآن. لن تفكر فيه حتى بعد ذلك.

سمعت نفسها تسأله: «هل سألت لوسي أن تقيم علاقة معك؟».

إن كان سؤالها المفاجئ باغت هال فإنه لم يعطِ أي إشارة تدل على دهشته. قال: «لا!».

- لِمَ لا؟

- هل تصدقينني إذا قلت لك إن لوسي لا تعجبني؟

أجابت ميريديث من دون تردد: «لا».

لم تقابل ميريديث بعد رجلاً لم يقع بحب لوسي.

أخفض هال بصره نحوها، وسألها: «حسنا! لوسي أغرمت بكيفين لحظة وقعت عيناها عليه، وبدا واضحاً أنه لم تبقَ أي فرصة لنا نحن الآخرون؟».

قالت ميريديث: «هذا منطقي أكثر».

ليس هناك أي احتمال بأن تكون هي لا لوسي، من الفتيات اللواتي يعجب بهن هال. الفتيات الجديات مثلها نادراً ما يعجبن الآخرين. التقطت تنهيدتها في الوقت المناسب، فيما ساورها شعور بالخوف. وبخت نفسها في سرها وهي تفكر أنها محظوظة لأنها الأخت الأكثر جدية. وإلا لوجدت نفسها الآن مأخوذة بعلاقة مع هال غرانغر. لكنها لم تتمالك نفسها عن التساؤل ما الذي ستجلب لها تلك العلاقة إذا تحققت.

بادرها صوت منخفض في داخلها: «المرح!».

المرح...! مر وقت طويل لم تعد تشعر به مطلقاً! فكرت ميريديث بذلك بكآبة، وما لبثت أن ذكرت نفسها بسرعة أن الأمر لا يستحق ذلك العناء. بالإضافة إلى ذلك، هي ليست من ذلك النوع من الفتيات. إنها عملية وجدية وتفكر جيداً بنتائج الأمور.

كان المكتب هو الغرفة الأخيرة التي أراها هال لميريديث. قال لها وهو يفتح الباب إلى غرفة كدست فيها الملفات والأوراق والمجلات والمراهم البيطرية بصورة مخيفة: «يمكنك أن تعملي هنا».

سألت ميريديث مرتعبة: «كيف؟».

وتابعت: «لا يمكنك حتى رؤية الطاولة بسبب الفوضى!».

قال مشيراً إلى كومة من الأوراق: «ضعي الأوراق على الأرض وحسب».

ثم أردف: «يمكنك أن تزيلي القابس الكهربائي لكومبيوتري إذا كنت

تفضلين استخدام الكومبيوتر الخاص بك. الهاتف هنا أيضاً. هناك خط واحد فقط، لكن معظم الناس يتصلون في أوقات تناول الوجبات حين يعرفون أنني موجود. بالنسبة إلى هذا الموضوع، لن تواجهي أية مشاكل».

- منذ متى لم ينظف أحد هذه الغرفة؟

- لم يكن أبي بارعاً في تنظيم الملفات، ولم أجد الوقت قط لأصنفها.

حسناً! إذاً، هناك عشرون سنة على الأقل من الخردة هنا؟

أجال هال بصره حول المكتب وكأنه يراه للمرة الأولى. افترض أن الأمور خرجت عن سيطرته قليلاً، لكنه عرف أين يجد ما يحتاج إليه دوماً.

تنهدت ميريديث وأبعدت شعرها عن وجهها إلى الوراء، ثم قالت: «لا مجال لأن أعمل في مكان وسخ كهذا، لكنني سأحتاج إلى خط الهاتف لأتصل بالإنترنت. هل أستطيع أن أنظف المكان وأعطيه مظهراً آخر؟».

لن تكون فكرة سيئة أن يشهد هذا المكان ترتيباً ما.

قال هال: «قومي بما ترينه مناسباً، لكن لا ترمي شيئاً قبل أن تسأليني».

عندما عادا إلى المطبخ، حمل قبعته وسألها: «هل تعلمين ما الذي ستفعلينه؟».

نظرت ميريديث حولها، فرأت كومة عالية من الصحون التي لم تجد لوسي وقتاً لتنظيفها ذلك الصباح، وفكرت بكل الوجبات التي عليها تحضيرها فيما بقية أنحاء المزرعة تصرخ طلباً لتنظيفها. من أين تبدأ؟ ومتى ستستطيع أن تجد خمس دقائق لتفتح الكومبيوتر النقال، بالإضافة إلى الأعمال الأخرى؟

أجابت كاذبة: «كل شيء تحت السيطرة».

وضع هال قبعته على رأسه وفتح الباب الشبكي قائلاً: «هذا جيد. سأتركك تعملين، إذاً».

٥ - رجل مثالي!

عملت ميريديث لساعة كاملة كي تعطي المطبخ شكلاً مرتباً نوعاً ما. تسلّل ميكي وإيما بعيداً عن المكان ما إن أدركا أن هنالك أعمال يجب إنجازها، لكنهما عادا متثاقلين بعد فترة، متذمرين من الضجر. اقترحت عليهما ميريديث بلباقة: «يمكنكما مساعدتي في إعداد كعكة حلوى إذا رغبتما».

شعرت بالأسف تجاه الطفلين المسكينين، المتروكين في مكان معزول برفقة خال متجهم ومجموعة من رعاة الماشية الصارمين. أردفت: «يمكنكما اختيار نوع الكعكة التي تحبانها».

- هل يمكننا تحضير كعكة الشوكولا؟

أمعنت ميريديث النظر إلى خزانة الأطعمة التي كانت ضمن لائحة الأماكن التي نوت تنظيفها، وقالت: «يمكننا ذلك إذا وجدنا بعض الكاكاو. أظن أنني رأيت علبة منه هنا».

حين عاد هال مجدداً ذلك الصباح كانت الكعكة في الفرن، وأثناء ذلك سمعت ميريديث تفاصيل كثيرة عن حياة الأطفال في سيدني. بدا المطبخ الذي نظفته بعناية منذ فترة وجيزة وكأن إعصاراً قد ضربه. كان ميكي وإيما يلعقان من الطاسة ما تبقى من عجينة الكعكة، وكل منهما يراقب ما لعقه الآخر بدقة خشية أن ينقص شيء من حصته. كانت ميريديث تمسح ما تبقى بإذعان، حين أنبأتها قعقعة الباب بوصول هال.

كان جسمها لا يزال يتخبط بمزيج من الاشمئزاز والتوق بالرغم من جهودها المضنية لتزيل هذا الشعور منه. انغمست في نوبة من التنظيف طوال

فترة الصباح، لكن جهودها تلك ضاعت هباء بالنظر إلى الطريقة التي انتفض فيها قلبها لمظهر هال. تحول الإحساس بالانقباض والتوتر الشديدين في معدتها إلى ارتعاشات طالت جسدها بأكمله. راحت ميريديث تفرك رقعة عجين ملتصقة بالطاسة بنشاط زائد عن الحد بسبب شعورها بالغضب.

اشتم هال الرائحة بتقدير فيما علّق قبعته وقال: «ثمة رائحة شهية».

قال ميكي باهتمام: «حضّرنا كعكة حلوى».

أضافت إيما متحمسة ألا تفوتها فرصة المشاركة: «إنها مخصصة لفترة الاستراحة بعد الظهر».

أجال هال بصره في المطبخ، واستقرت عيناه على ميريديث التي ما زالت تفرك الطاسة باهتمام واضح، وقال: «يبدو أنكِ مشغولة».

- أنا أقوم بعملي.

راعها ما سمعته من تقطع في صوتها، فراحت تغسل اسفنجة الجلي تحت الحنفية آملة أن تتوقف أطراف أعصابها عن الاهتزاز كأنها في حفلة راقصة.

بصراحة، من يراها سيعتقد أنها مفتونة به. استدارت نحو هال وهي تخفي ذلك التوتر البعيد عن طبيعتها بإظهار الروح العملية المنتعشة.

- هل تعرف إن كان هناك مئزر هنا؟

هذا أفضل بكثير! لا يمكن لشخص تهتز أعصابه بجنون أن يفكر بالمئزر كما فعلت. أليس كذلك؟ تابعت: «لم أستطع إيجاد واحد في أي مكان».

- لماذا تريدين مئزراً؟

بدا من سؤاله كأنها طلبت سفينة فضائية.

أجابت ميريديث بنبرة حادة: «لماذا يسأل الشخص عن مئزر؟ لأحمي ثيابي، بالطبع. انظر إلى حالتي».

بدت ثيابها مرتبة بالنسبة له. ربما هي ليست أنيقة بالقدر نفسه الذي كانت عليه قبل هذه الرحلة الصباحية في مؤخرة الشاحنة، إلا أن ميريديث تحتج بطريقة توحي كأنها تقوم بتقطيع اللحم عن الذبيحة بنفسها.

قال: «لا أستطيع أن أجد مئزراً، لكن يمكنني أن أجد لك قميصاً

قديمة».

وافقت ميريديث مجيبة بألطف نبرة ممكنة: «هذا أفضل من لا شيء».

عاد هال بعد بضع دقائق، ليعطيها قميصاً ذات قماش ناعم، بهت لونها بسبب الغسل المتكرر، بحيث غدت المربعات الزرقاء مجرد لطخات رمادية. قال لها: «لا بد أن مقاسها كبير جداً، لكنها على الأقل تغطي ثيابك».

أجابت وهي تأخذها منه وترفعها إلى وجهها من دون تفكير: «شكراً».

تنشقت الرائحة العطرية للقطن المنشف تحت أشعة الشمس بالإضافة إلى شيء آخر لم تتمكن من تحديده تماماً: «همم! رائحتها عطرة».

رفع هال أحد حاجبيه وقال: «إنها إحدى قمصاني القديمة، لكنها نظيفة تماماً. من المفترض ألّا تحمل أي رائحة».

احمرت وجنتا ميريديث خجلاً حين أدركت أن الرائحة اللطيفة العطرة هي رائحة هال. أرجوك يا الله، لا تدعه يدرك ذلك! تنحنحت، ثم قالت مفسرة: «أحب رائحة الثياب النظيفة، هذا كل ما في الأمر».

قال هال: «غريبة هي الأشياء التي تستهويك».

ضحك الولدان ضحكة نصف مكبوتة، وبدا واضحاً أن الجميع يعتقدون أنها غريبة الأطوار. أضاف: «على أي حال، القميص لك. لم ألبسها منذ فترة، ولا يهمني إذا اتسخت».

ضمت ميريديث القميص إلى صدرها وهي تشعر بالخجل. ليته لم يقل جملته الأخيرة! شعورها وهي تمسك القميص في يديها كان كافياً ليجعلها تفكر بمظهره وهو يهم بارتدائها. كم مرة استقرت هذه القميص على جلده؟ يا إلهي!

سألته بنبرة ملؤها الثقة: «هل أنتم جاهزون لأخذ استراحة؟».

- نحن جاهزون. هل تسنى لك الوقت لإعداد الشاي؟

- بالطبع!

صحيح أنها كادت تفقد السيطرة على نفسها قبل قليل، لكنها لن تسمح له أن يظن أنها غير كفوءة. قالت: «تركت لوسي بعض البسكويت، فوضعته

على الشرفة هناك مع بعض الأكواب، والآن سأضع الإبريق على النار».

شرفة المطبخ هي الشرفة التي يتناولون عليها الطعام، وهي الجزء الأكثر راحة في المزرعة، حيث يجلس الجميع لأخذ استراحة فيتناولون العصير البارد في نهاية يوم عمل طويل شديد الحرارة. إنه مكان ذو طابع ذكوري، إذ ليس فيه أية زينة أو مقاعد منجدة أو وسائل رفاهية. بدلاً من ذلك، هناك كراسي مصنوعة من أماليد مجدولة بالية وبضع وسائد صغيرة ملطخة، بالإضافة إلى بضع طاولات على سطوحها آثار دوائر تركتها أكواب لا تعد ولا تحصى، ومجلات متفرقة المواضيع يعود بعضها إلى سنوات عديدة مضت.

حين خطا هال من المطبخ باتجاه الشرفة، بالكاد تمكن من التعرف عليها. بدت الطاولات نظيفة، والأرض لامعة، والكراسي مرتبة، والوسائد منفوخة ومرصوفة بدقة تامة. نظر حوله وهو يشعر بالرعب، وسألها: «ماذا فعلت؟».

أجابت ميريديث وهي تحمل إبريق الشاي الكبير: «نظفت المكان تنظيفاً جيداً. كانت الأوساخ منتشرة في كل مكان».

تابعت وهي تضع إبريق الشاي على إحدى الطاولات التي كانت قد فركتها جيداً لتنظف: «. . . ورتبته قليلاً».

تذمّر هال قائلاً: «قليلاً؟ من المفترض أن يكون هذا مكاناً للراحة، لكن يبدو الآن كأن علينا أن نأتي في الوقت المحدد ونلقي التحيات قبل أن نستأذن للجلوس. مَن أنت يا امرأة . . . قائد عسكري محبط؟».

أجابت ميريديث بنبرة دفاعية: «لا! أنا مدبرة منزل».

وأضافت: «على الأقل، هذا ما فهمت أنك تريده مني. ومن مهمات مدبرات المنازل إبقاء البيوت نظيفة. كانت الفوضى تدب في هذا المكان!».

قال هال وهو مقطب الجبين: «أحب المكان المليء بالفوضى».

ثم أضاف: «ماذا فعلت بالمجلات؟».

- وضعتها في علبة للأوراق ليتم حرقها.

- ماذا؟ من الأفضل ألّا تكوني قد أحرقتها!

أقرت مكرهة: «لا، ليس بعد».

- في تلك الحالة، يمكنك أن تعيديها الآن!

اعترضت ميريديث قائلة: «لكنها مجلات قديمة».

قال هال بغضب: «لا يهمني! أعيديها إلى هنا».

سارت ميريديث مطبقة الشفتين إلى المطبخ، وأعادت المجلات. قالت وهي تلقيها على الطاولة: «حسناً! ها هي. هل أنت سعيد الآن؟».

ردّ بنبرة حادة: «نعم. شكراً لك»

قالت بنبرة ساخرة: «ربما من الأفضل أن تخبرني أين تحب أن تحتفظ بالأوساخ والغبار».

ثم أردفت: «أم أنك لا تريدني أن أقوم بالتنظيف؟ من الواضح أن أحداً لم يقم بهذا منذ زمن طويل!».

قال وهو يرمقها بنظرة اشمئزاز: «يمكنك التنظيف، لكن لا تغيري شيئاً».

سحب هال متعمداً كرسياً خارج ذلك الخط المستقيم وجلس عليها، فيما أخذ بقية الرجال يتجمهرون بخطوات متثاقلة بعد أن أضناهم التعب. بدوا مشدوهين بسبب تواجدهم في مكان نظيف ومرتب. تابع هال يقول: «لا أحب التغيير».

شربت ميريديث كوب الشاي بغضب. ما جدوى أن تكون مدبرة منزل إذا كان صاحب المنزل يتذمر دائماً من محافظتها على النظافة؟ لا عجب إذا لم يستمر في العمل لديه أي من الطهاة أو مدبري المنزل.

لم يهدأ للرجال بال إلا حين أعادوا الشرفة إلى الفوضى التي اعتادوا عليها. لم تأخذ منهم المسألة سوى وقت قصير لا يساوي سوى جزءاً من الوقت الذي أمضته ميريديث وهي تنظف المكان. أخذوا يتحدثون عن المواشي وعن شؤون لا تعرف شيئاً عنها. شعرت بالارتياح حين وقفوا ليعودوا إلى العمل.

تبعتهم إلى حيث وضعوا قبعاتهم بجانب باب المطبخ، وهي تشعر بالسخط. حين خرج الجميع ولم يبق سوى هال، سألها: «ما الذي

ستحضرينه للعشاء؟».

بدا من الواضح أنه يخشى حصول كارثة ما. لوت ميريديث رأسها إلى جهة واحدة مدعية أنها تفكر، وقالت: «حسناً! لنرَ».

تابعت والسخرية واضحة في صوتها: «فكرت أن أعد طعاماً سهلاً لأنها ليلتي الأولى... ربما شريحة من لحم البقر مع قطع صغيرة من المعجنات المحشوة بالباذنجان والفلفل الأحمر، وربما أعد القنبيط مع إكليل الجبل والصلصة الحارة؟».

سادت لحظة من الصمت. التقت خلالها العينان الزرقاوان الداكنتان بالعينين الرماديتين الهادئتين بتحدٍ غير معلن، ثم حصل شيء ما... لم تستطع ميريديث حقاً تفسير الأمر لنفسها، لكن بدا كأن أحدهم شغل مفتاحاً كهربائياً، واستطاعت تقريباً أن ترى الشرارة تقفز بينهما.

مهما يكن، أفقدها هذا الموقف رباطة جأشها بدرجة كافية لتنزع نظراتها عنه، وهي ترتجف مذهولة. رطبت شفتيها، وأنهت كلامها: «... أو ربما زبدية من اللحم المفروم».

وضع هال قبعته على رأسه بحركة أصبحت مألوفة لها، وقال: «يبدو اللحم المفروم جيداً».

استدار ليتوجه نحو الباب، لكن ليس قبل أن تلمح ميريديث التواءً في زاوية فمه، أما تلك الابتسامة المراوغة التي لم تظهر قط على شفتيه فالتمعت في عينيه.

في اللحظة التي تلت ذهاب هال وطقطقة الباب خلفه، بدا لها أن تلك الابتسامة لا تزال موجودة لتبعث الخدر في دمها، وتجعل نوبة غضبها تتبخر كما يتبخر الضباب في صباح يوم صيفي.

ما بها؟ لم تكن يوماً تلك الفتاة التي تتأثر لمجرد ابتسامة... وكأن ذلك البريق في عينيه هو فعلاً ابتسامة حقيقية! إنها امرأة جدية ومتواضعة، ولا تقع تحت تأثير الشرارات الخيالية أو الابتسامات. وحتى لو فعلت فما الفائدة؟

بالطبع، هي ليست على وشك أن تشعر بالضعف حيال رجل هو رب

عملها، فهذا تصرف أحمق، وهي ليست معتادة على ارتكاب الحماقات. صحيح أنها ليست متحجرة القلب أو غير رومنسية، إلا أنها حذرة ومتروية. تعبها الناتج عن السفر بدا عذراً جيداً لبعض تصرفاتها غير العادية، لكن الأمر انتهى، وآن الأوان كي تستعيد رباطة جأشها. سوف تبدأ بارتداء القميص التي أعطاها إياها، ولن تسمح لنفسها بأن تشعر بالتوتر من جراء رائحتها العطرة أو حقيقة أن هال ارتداها من قبل.

خلعت ميريديث قميصها في غرفة النوم، وارتدت قميص هال. بدا ملمسها بارداً ومريحاً، وشعرت بالنسيج الناعم يدغدغ بشرتها بلطف، بالطريقة نفسها التي دغدغ بها بشرة هال مراراً بلا شك. تقلصت معدتها فجأة، فقالت لنفسها بشراسة: «حسناً! كفّي عن هذا، فأنت امرأة عاقلة. البسي القميص، واذهبي لتحضري العشاء فحسب».

طبعها الجدي لم يمنعها من أن تكون واعية بطريقة معذبة لملمس قميص هال على جسدها، لكنها على الأقل تجنبت الاحراج الذي سيصيبها إذا ما اضطرت أن تشرح لهال لماذا تجاهلت قميصه بعد إصرارها على أن تحمي ثيابها. إنها بالطبع لن تستطيع أن تقول له: «لا أكف عن التفكير بك وأنت ترتديها. لا أكف عن التفكير بها وهي تلامس بشرتك، لذا قررت أن أتحمل الأوساخ على ثيابي أنا».

من المستحيل أن تسمح بحدوث هذا الأمر. بالرغم من ذلك، شعرت بالارتياح بعد الانتهاء من تحضير العشاء المخصص لذلك المساء، فذهبت لتبدّل ثيابها مرة أخرى وتخلع قميص هال عن جسمها. ارتدت تنورة سوداء وقميصاً زرقاء باهتة اللون حضنت انحناءاتها من دون أن تبرزها بوضوح، وانتعلت في قدميها صندالاً مشدوداً بربائط، ذا كعبين عاليين. أخيراً وضعت أحمر الشفاه على شفتيها، فشعرت بالثقة والاقتدار.

لازمها هذا الاحساس حتى أخذ رعاة الماشية بالوصول وهم يجرون أقدامهم لتناول وجبة المساء. راحوا يرتشفون العصير على الشرفة في بادئ الأمر ويحدقون بها كأنما لم يسبق لهم أن رأوا امرأة تنتعل حذاء ذا كعبين

عاليين.

بالرغم من لا مبالاة ميريديث، إلا أنها شعرت بالسخافة بسبب تأنقها غير الضروري. صحيح أنهم استحموا وبدّلوا قمصانهم، لكن فكرة ارتداء ثياب رسمية للعشاء لم تصل بعد إلى هذا الجزء من الريف الأسترالي. أراد هال حقاً أن يقول شيئاً ما... جذابة أو ملفتة، لكنه اعتقد أنها ستوجه له كلمات جارحة لو فعل. أخيراً قال: «تبدين... أنيقة جداً».

لكن ذلك الحذاء!

أحست ميريديث أن كلمة أنيقة بمثابة إهانة لها. فردّت قائلة: «يحق لي أن أبدل ثيابي في المساء، أليس كذلك؟ أم أن هذا أيضاً تغيير لا تستطيع التعامل معه؟».

رفع هال يديه. وأجاب: «نحن لسنا معتادين على ذلك، هذا كل ما في الأمر. لم تكن لوسي تبدل ملابسها في المساء».

حسناً! لو أنها تملك جسداً مثل جسد لوسي، وتستطيع أن تبدو رائعة بمجرد ارتداء سروال جينز وقميص عادية، لما فكرت بتبديل ثيابها على الأرجح، هذا ما فكرت به ميريديث وقد شعرت بقليل من المرارة. لكم تمنت أن تكون نحيلة وطويلة القامة مثل أختها، لا قصيرة وبدينة. لا عجب أن الناس غالباً ما يصعب عليهم أن يصدقوا أنهما شقيقتان.

على أي حال، لن تهتم ميريديث للأمر. ذكرت نفسها، رافعة ذقنها بتحدٍ: فليفكروا كما يشاؤون، فهي غريبة. إنها لا تسعى لكي تُقبل هنا بالطريقة التي قبلوا بها لوسي، فهي لا تريد الانتماء إلى المكان.

لا يمكن القول إن الوجبة الأولى التي أعدتها ميريديث حققت نجاحاً باهراً. لم يكن هناك أي شائبة في اللحم المفروم أو الخضار، فهي مطهوة بطريقة جيدة جداً، كذلك فطيرة التفاح التي أعدتها للبودينغ، لكن الجو السائد بدا مزعجاً بوضوح. اتخذت ميريديث موقفاً دفاعياً، وظل الولدان متجهمين، فيما واجه هال صعوبة كبيرة في قدرته على التركيز، إذ شتت أفكاره مظهر ميريديث في ذلك الصندال، وبالكاد عرف ما الذي يتناوله من

طعام.

لم يكن رعاة الماشية ثرثارين ذلك المساء، فغادروا بعد تناول الحلوى مباشرة، تاركين ميريديث لوحدها مع هال والولدين.

نظرت ميريديث إلى ميكي وإيما، وبدا لها أن ليس من العدل أن تتركهما جالسين في صمت، كما أنها لم تقدر على التفكير بأي كلام تقوله لهال الذي بدا منزعجاً ومشتتاً طيلة المساء. سألتهما: «ماذا ستفعلان أنتما الاثنان هذا المساء؟».

تنهدت إيما قائلة: «لا شيء. نحن نشعر بالضجر».

وأضاف ميكي بنبرة طفل مشكك غير قادر على تخيل مكان من دون الأدوات التكنولوجية الأساسية: «ليس هناك تلفزيون حتى».

قال هال بنبرة دفاعية فيما نظر الولدان إليه بكآبة: «هناك آلة تسجيل».

- ماذا؟

بالرغم من عزمها على عدم التدخل، لم تقدر عينا ميريديث إلا أن تلتقيا عيني هال. كتمت ابتسامة ما إن رأت تعبيره، وقالت: «توقف الناس عن الاستماع إلى آلات التسجيل منذ مدة طويلة. لا تقل لي إنك لم تسمع قط بالأقراص المدمجة؟».

أجاب هال: «بالطبع سمعت، لكن ألم تلاحظي أن عدد متاجر الموسيقى قليل، وأنها بعيدة من هنا؟ لم أذهب قط لابتياع الأقراص المدمجة لأسمعها».

سألته ميريديث، محاولة أن تتخيل الحياة من دون موسيقى: «ألا تسمع الموسيقى؟ أنا أستمع إليها حتى أثناء عملي».

تذكر هال أن أمه كانت مثلها.

قال: «أستمع إلى موسيقى الليل».

تبادل ميكي وإيما نظرة ذات مغزى، فيما سحب هال كرسيه إلى الوراء ووقف على رجليه منهياً الحديث عن الموسيقى. قال وهو يرى وجهيهما يتجهمان: «إذا كنتما تشعران بالملل، تستطيعان أن تساعداني في غسل الصحون».

- آه! هذا ليس عادلاً.

شعرت ميريديث بالحيرة، فقالت: «توقعت أن أتولى تنظيف الصحون بنفسي».

- لا! إن الطاهية لا تغسل الصحون بعد الوجبة الأساسية. انتهى وقت عملك. يمكنك أن ترتاحي الآن، وسأجلب لك كوباً من القهوة بعد دقيقة.

دفع هال الولدين للذهاب إلى المطبخ وهما ما زالا يتذمران، فيما تركوا ميريديث وحدها جالسة إلى الطاولة.

حسناً! إنها فكرة جميلة، لكن تساءلت ميريديث عما ستفعل في وقت فراغها في مكان كهذا؟ لو أنها في منزلها في لندن، لتمددت على الأريكة وشاهدت التلفزيون، أو اتصلت بصديق، أو خرجت لتناول شراب ما. يمكنها أيضاً أن تشاهد فيلماً سينمائياً أو تحضر معرضاً، أو تحاول حجز بطاقة لحضور مسرحية. لكن ماذا لديها هنا لتفعله؟ لا شيء إطلاقاً. بالطبع، يمكنها أن تقوم ببعض العمل لكن فكرة ذهابها إلى ذلك المكتب القاتم، وهو المكان التالي على لائحتها لتغيره إلى الأحسن، وجلوسها أمام الكومبيوتر الثقال، بدت لها فكرة محبطة جداً. بدأت بالتثاؤب، وأدركت في منتصف تثاؤبها أنها لا تزال تعاني من إرهاق السفر. حسناً! يمكنها أن تمتنع عن العمل هذا المساء، وسوف تعاود نشاطها غداً. بالرغم من ذلك، بدا الوقت مبكراً جداً للخلود إلى النوم.

ذهبت للجلوس على الشرفة الخلفية حيث شاهدت غروب الشمس الليلة السابقة. بدت ظلمة الليل دامسة الآن، ولم يكن هناك أي ضوء آخر ليشتت مسار الحشرات الطائرة التي اندفعت بقوة باتجاه فخ الضوء الأزرق. شعرت ببعض الارتباك لأن الفخ راح يحدث شرارات ويئز من حين إلى آخر، كلما علقت حشرة بشركه القاتل. أخيراً تجاهلت الأمر وراحت تنظر إلى السماء. بدت سماء الليل مختلفة تماماً في النصف الجنوبي عن البريق الأصفر الخالي من النجوم فوق لندن. هنا لم يكن الظلام أسود أو رمادياً بل أزرق داكناً عميقاً وضبابياً، تزينه نجوم بيضاء برّاقة.

فكرت ميريديث بلوسي التي كانت في مكان ما في الجو، تطير على ارتفاع ثلاثين ألف قدم. ذكرى تلك الرحلة الطويلة جعلت ميريديث ترتجف. فكرت بريتشارد، وهو لا يزال مستلقياً على السرير في المستشفى، وبدت لها لندن بعيدة بعداً خيالياً وهي هنا في الريف الأسترالي الواسع. بدا من الصعب عليها حتى أن تتذكر شكل ريتشارد، أو سبب حبها الكبير له...

أصدر الباب قعقعة، فانتزعها من أفكارها، ومن خلال الضوء الباهت، استطاعت ميريديث أن ترى هال يلوح بقدحين في يديه. قال وقد ظهرت نبرة غريبة في صوته: «إذاً، أنتِ هنا».

- ألديك مانع في ذلك؟

- بالطبع لا! تفاجأت فقط بوجودك هنا، إذ أنه المكان الذي أحب التواجد فيه في خلال المساء.

شعرت ميريديث وكأن عليها أن تترك المكان، لكن بدا من غير اللائق أن تغادر في اللحظة التي أتى فيها، كما أن هال جلب القهوة لها.

أخذت قهوتها بهمهمة من الشكر، وبعد لحظة من التردد جلس هال على الكرسي بجانبها. كانت هناك طاولة بينهما حيث يمكنها أن تضع كوبها، مع ذلك بدا قريباً جداً. تذكرت فجأة كيف شعرت حين ارتدت قميصه في وقت سابق من النهار. هذه الفكرة جعلت وجنتيها تحمران، وشعرت بالامتنان لأن الضوء الباهت خبأ تعبيرها.

سألها بعد لحظة: «ألن تعملي هذه الليلة؟».

- هذا ما يجب أن أفعله، لكنني لا أستطيع العمل قبل تنظيف المكتب.

- أنت بحاجة إلى الجلوس والارتياح قليلاً. عملت بكد طيلة النهار.

قالت بطريقة فظة: «بالطبع!».

استقرت عينا هال على مظهرها الجانبي. بالرغم من الضوء الباهت، استطاع أن يرى الوهج البراق لبشرتها وتخطيط ذلك الفم المكتنز الشفتين. استطاع أن يتذكر تماماً كيف مشت إلى الشرفة تلك الليلة في ذلك الحذاء الأنيق وغير الملائم في آن معاً، وأعلنت عن جهوزية العشاء. بدا ذقنها

عالياً، وبدت عيناها حادتي النظرات براقتين، أما جسمها فهو عبارة عن انحناءات دافئة وخطوط ناعمة.

دفع هال بالذكرى جانباً، وقال معتذراً: «أنا آسف! تصرفت بفظاظة معك في ما يتعلق بالشرفة. في الواقع، أنا لا أتفق كثيراً مع التغيير».

قالت بنبرة جافة: «هذا ما فهمته!».

عاد يقول محاولاً أن يفسر: «أبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً فقط، لكنني عشت هنا في ويريندا غو طوال حياتي، وأنا أدير هذه المزرعة وحدي منذ خمسة عشر عاماً. وقد اعتدت على القيام بالأمور بطريقة معينة. هذا على الأرجح هو السبب الذي يجعل وجود الطفلين هنا صعباً قليلاً بالنسبة لي».

- أين هما الآن؟

- يلعبان بعض الألعاب على الكومبيوتر في غرفتهما، بعد أن قاما بتجفيف بعض الصحون.

تنهد هال وأدار القهوة في كوبه، ثم أقر: «أشعر أنني خيبت أملهما، لكنني لا أعرف ماذا أفعل. يبدوان ضجرين طوال الوقت. نحن لم نضجر قط حين كنا صغاراً».

نظرت ميريديث إليه من فوق حافة الكوب، وسألته: «ماذا كنتم تفعلون؟».

- كنا نساعد في أعمال المزرعة، لكن حين ننتهي من العمل، كنا نمتطي الأحصنة أو نذهب للصيد أو نقضي وقتنا بجانب الجدول، أو نذهب للاكتشاف بأنفسنا لساعات طوال.

انخفض صوته تدريجياً إلى أن توقف حين أدرك أن وقتاً طويلاً مضى لم يتحدث فيه عن طفولته، ولم يسمح لنفسه حتى بتذكر تلك الأوقات.

- أكنت أنت وليديا؟

وجاك! لكنه ليس مستعداً للتكلم عن جاك.

- نعم.

اقترحت ميريديث عليه: «ربما عليك أن تجعل ميكي وإيما يريان ما كنتما

تفعلانه، فقد نشأت أمهما هنا، ولا بد أنها أخبرتهما عن ذلك».

ما كانت ليديا لتتكلم عن جاك!

وافقها هال: «ربما!».

لكن كيف يمكنه أن يريهما الجدول والصخور وحفرة الماء من دون أن يفكر بجاك؟

خيم الصمت عليهما، وبدا صمتاً مريحاً. استطاعت ميريديث أن تسمع أصوات الحشرات بالإضافة إلى تصدع الليل الغريب وحفيفه. فكرت بما قاله هال عن سماعه موسيقى الليل. رأت حشرة تتسلق على خشب الشرفة، محدثة حفيفاً ناعماً في صمت الليل، كما رأت شجرة بلوميرا مزهرة تألقت براعمها البيضاء الزكية الرائحة في الليل، لكن في ما عدا ذلك، لم ترَ شيئاً سوى الظلام الداكن الذي يجثم في السكون. شعرت برجفة تخترق جسمها، فارتشفت قهوتها وهي تشعر بالسرور لوجود هال إلى جانبها. أرادت أن تشعر بالطمأنينة بسماع صوته، فسألته: «ألا ترغب بإنجاب أطفال لك؟».

تجهم وجه هال وقال: «لا!».

- لِمَ لا؟

- ولِمَ قد أرغب بذلك؟

- حسناً! لا أعرف... افترضت أنك ترغب بأن تورث الأرض لأولادك من بعدك. يفكر المزارعون في استمرارية الأجيال. أليس كذلك؟

أجابها بنبرة جافة: «هذا المزارع لا يفكر على هذا النحو».

ثم أردف: «أن أريد أطفالاً يعني أنني أريد أماً لهؤلاء الأطفال».

وافقته ميريديث قائلة: «لا يتواجد أحدهما دون الآخر بالطبع».

هزّ هال رأسه قائلاً: «لن أخاطر وأتزوج كي أنجب الأولاد. استمرار الزواج ليس مضموناً. مسألة الزواج صعبة بما يكفي تحت ظروف طبيعية، من دون أن تضيفي العزلة والجفاف وكل الأمور الأخرى التي عليك أن تكافحي من أجلها هنا في الريف... لا! لست مستعداً لتحمل مخاطرة كهذه».

- لا يمكنك الجزم أن الزواج لا يدوم. بعض الزيجات ناجحة جداً.

- أنا لا أعرف إحداها.

قالت وهي ترمقه بإحدى نظراتها الفظة الناقدة: «لو كنت أتحدث إلى أحد أصدقائي في لندن، لقلت إن لديك مشكلة حقيقية في الالتزام».

سألها هال: «ماذا عنك؟ لا أرى أنك التزمت بزواج أيضاً».

- أنا لا أخاف من الالتزام، لكنني لم ألتقِ الرجل المناسب بعد.

رفع هال حاجبه بعدم تصديق، وسألها: «لا تقولي لي إنك تنتظرين الرجل المثالي؟».

- ما الخطأ في هذا؟

قال: «أقنعتني أنك امرأة جدية ذات تفكير منطقي، فيما لا يبدو لي هذا تفكيراً منطقياً على الإطلاق. لابد أنك تعرفين كما أعرف أنا أن لا أحد مثالي، وهذا ما يسبب لك مشاكل في الالتزام أيضاً. بدلاً من أن تعترفي أنك لا تودين المخاطرة، تتظاهرين بأنك تنتظرين شخصاً غير موجود».

سألته ميريديث بعنف: «من قال لك إنه غير موجود؟ أنا لا أنتظر الرجل المثالي، بل رجلاً مثالياً لي أنا».

قال هال بتهكم: «لا أصدّق أن فتاة مثلك تنخدع بوهم السعادة الأبدية».

قالت بصوت هادئ: «في الواقع، هذا تفكير منطقي بامتياز».

بعد قليل أضافت: «لطالما وقعت لوسي في الحب، وسرعان ما كان ذلك الحب ينتهي. بدا لي دائماً أن ذلك مضيعة للوقت والطاقة والعاطفة، حيث يمكن لأي أحمق أن يرى أن العلاقة لن تنجح. أليس من المنطقي أن تنتظر حتى تلتقي شخصاً سيسعدك قبل أن تسمح لنفسك بأن تقع في الحب؟».

- لكن كيف تعرفين ذلك مسبقاً؟

- تعرف ذلك فحسب! أفتش عن شخص لطيف، حساس وذكي. شخص يتحلى بالاستقامة، أستطيع التحدث معه... كصديق.

آه! ريتشارد يتمتع بكل تلك الصفات. إنه يتمتع بكل ما تتمنى أن تجده في

الرجل، وهي وقعت في حبّه. ليس خطأه أنه لم يبادلها الشعور نفسه. بدا سعيداً بصداقتهما، وخشيت أن تخيفه إن أخبرته عن شعورها نحوه. ثم رأى لوسي... وكان ما كان...

علّق هال قائلاً: «يبدو لي أن توقعاتك عالية».

– هذا ما تقوله لوسي. تقول إنني صعبة الإرضاء، لكن أظن أن عليك أن تكون كذلك حين يتعلق الأمر باختيارك لشريك حياتك، فهذا ضروري. قد تسمي أنت ولوسي هذا توقعات عالية غير منطقية، لكن بالنسبة لي، هذا ناجم عن تفكير منطقي.

سألها هال، الذي لم يغفل عن ملاحظة أن لائحة تمنياتها المتعلقة بصفات الرجل المفضل لديها لا تتضمن ميزات تنطبق عليه: «أولست مستعدة للمساومة؟».

أنهت ميريديث قهوتها، ووضعت الكوب على الطاولة، ثم أجابته: «لا أساوم في الأمور المهمة. رأيت الكثير من صديقاتي اللواتي يذهبن إلى أبعد الحدود في تغيير أنفسهن وتوقعاتهن حين يلتقين رجلاً ويقررن أنه الرجل المناسب، لكنني لم أرَ بعد رجلاً مستعداً للتغيير في سبيل المرأة التي يحب. توافق المرأة على استمرار العلاقة مع الرجل لأنها تحبه. تقبل أن يستخف بها وألا يشعرها بأنها مميّزة لأنها إن لم تفعل فسوف تنتهي علاقتهما، وهذا يخيفها. يمكن للنساء أن يقبلن بذلك إذا أردنه، لكن لا أفهم لماذا علي قبول الأمر. لست مثالية، وأنا بعيدة جداً عن هذا. أعرف أنني متسلطة وسريعة الغضب لا أرضى بالمساومة ولن أفوز بمسابقة في الجمال، لكنني لا أريد أن أتغير. أريد رجلاً لا يتوقع مني أن أتغير أيضاً. أريد شخصاً يحبني كما أنا، فلا أشعر بحاجة إلى التغيير لأجله».

نظرت ميريديث إلى هال بإحدى نظراتها المفعمة بالتحدي. وأضافت سائلة: «هذا منطقي، أليس كذلك؟».

قال هال بصوت ملؤه الشك: «إذا كنت حقاً تعتقدين أنك ستلتقين بالشخص الذي تنطبق عليه تلك التوقعات... هل التقيت بشخص يتمتع

بها؟».

مرت برهة من الصمت. راقبت ميريديث خلالها فراشة تتخبط في الضوء الأزرق، وأجابت: «مرة واحدة».

سألها هال بقسوة: «إذاً كيف يعقل أن علاقتكما لم تنجح؟».

بدا منزعجاً بطريقة مفاجئة وغير متوقعة لأنها وجدت شخصاً مثالياً جداً. شخصاً لا يشبهه البتة. عاد يسألها بإلحاح: «أم أنه لم يكن مثالياً؟».

– لا! كان مثالياً. لكن اتضح أنني لست مثالية له، هذا كل ما في الأمر.

www.elromancia.com
الرومانسية

٦ - ذكريات... وذكريات...

قد لا يكون ذلك تصرفاً منطقياً، لكنها مع ذلك تقوم به. هذا ما فكرت فيه ميريديث في الصباح التالي وهي تحمل دلواً من فضلات الطعام للدجاجات التي تسرح في باحة محاطة بسياج كبير في الجهة البعيدة من الباحة الخلفية للمنزل. حين رأتها الدجاجات هرعت لملاقاتها، نافشة ريشها، متعثرة بخطواتها لتصل إلى الطعام.

تساءلت ميريديث ماذا تفعل هنا؟ هل حملت كل تلك المؤهلات كي تصل إلى هذا الموقع، طرح الطعام المتبقي إلى الدجاج في وسط الريف الأسترالي الحار؟ بعد أن أفرغت الدلو، تركت الدجاج يلتهمه وأقفلت البوابة خلفها، ثم سارت ببطء عبر الباحة عائدة إلى المنزل.

بدا الجو حاراً جداً، وكان هناك الكثير من الحشرات الطائرة، فلوّحتها بيدها بانزعاج لتبعدها عن وجهها. لابد أن المقهى الأقرب يقع على بعد مئات الأميال. أما المقهى في ومانزكريك فلا يمكن أخذه بعين الاعتبار. إنها تفكر بمكان هادئ وأنيق حيث يمكنها الجلوس والاستراحة والتمتع بكوب من كوكتيل العصير المثلج. لا شيء هنا سوى أميال وأميال من اللاشيء تحت السماء المشعة. لا شيء تفعله، وما من أحد تتكلم معه، باستثناء ميكي وإيما، اللذين قلما يرفعان رأسيهما عن ألعاب الكومبيوتر.

استفاقت ميريديث منذ الساعة الخامسة لتحضر الفطور. مرت الوجبة بصمت، لكن ذلك ليس مستغرباً في تلك الساعة المبكرة. بالرغم من هذا، بدت واعية بطريقة غير مريحة لحضور هال. في الليلة السابقة راحت تذكّر نفسها بأنها ذات طبع جدي وأنه يجدر بها عدم التورط بعلاقة معه. إنها تشعر

بالانجذاب نحوه لكنها لا تستطيع تفسير هذا الأمر، فهو ليس من نوع الرجال المفضلين لديها مطلقاً. ريتشارد هو من نوع الرجال الذين طالما انجذبت إليهم، أما هال فلا يشبهه أبداً. ريتشارد يملك عينين بنيتين براقتين وابتسامة لطيفة، أما عينا هال فهما ذات نظرات حادة وقاسية، كما تبدو ابتسامته مراوغة. ريتشارد ساحر وحساس ولا يخاف من التعبير عن مشاعره، أما هال فهادئ ومتحفظ. في الواقع، حين يكون هال بعيداً تكاد ميريديث تقنع نفسها أنها لا تجده جذاباً، لكن كل ما عليه فعله هو الدخول عبر ذلك الباب وإزالة القبعة عن رأسه ليبدأ قلبها بالقفز بقوة في صدرها، فيما يشتد كل وتر في جسمها.

مع ذلك، هذا ليس سبباً وجيهاً لتقيم علاقة عاطفية معه، فهال ينتمي إلى هذه الأرض الحمراء الغريبة الممتدة تحت هذه السماء الهائلة، أما هي... حسناً! هي ليست كذلك.

نظرت ميريديث إلى ما حولها. كان المطبخ يشرف على الفناء المغبر الذي تظلله شجرة صمغ كبيرة، حيث تستلقي الكلاب في الظل. تحيط بذلك الفناء تشكيلة غريبة من المباني الإضافية لم تدرك حتى الساعة ما الهدف منها، ثمة خزانان ضخمان للمياه، وحظيرة للدجاج، وبرج هواء تمتد ذراعاه الجامدتان في الحرارة المستقرة اللامعة. بدا هذا كله غريباً جداً بالنسبة إلى ميريديث، التي تجسّد فتاة المدينة النموذجية. فكرت أن أستراليا كبيرة جداً إلى حدّ أنها تبدو مخيفة تقريباً. ساورها شعور بأنها قليلة القيمة، ولم تحب هذا، فهي تحب أن تسيطر على كل شيء، لكن كيف يمكنها أن تسيطر على هذا المكان المقفر الضخم؟

أدركت أنها بالكاد فكرت بلوسي أو بريتشارد، فساورها إحساس بالذنب. تساءلت متى هجرها ذلك الاحساس بالقلق والاهتمام الذي امتلكها منذ تعرض ريتشارد للحادث. لا بد أن ذلك حصل ما إن وصلت إلى ويريندغو. عليها حقاً أن تتفحص بريدها الالكتروني، فقد وعدتها لوسي أن تراسلها حين تصل بأمان إلى لندن مجدداً.

أرجحت ميريديث دلو الطعام الفارغ، وهي تصعد الدرج المؤدي إلى المطبخ بإحساس متجدد نشيط. عليها أن تحضر الكومبيوتر النقال وتعمل قليلاً أيضاً، فذلك سوف يجعلها تتذكر من جديد من هي وما الذي تفعله هنا. لكن عليها أن تنظف ذلك المكتب أولاً. إذا ما فتحت الكومبيوتر هناك الآن، سيختنق بالغبار في غضون خمس دقائق. بدا لها من المستحيل أن تعمل في ظل تلك الفوضى العارمة. من المرجح أن هال يحب المكان كما هو، لكنها لن تهتم لهذا، فهو لن يتأذى إذا حصل على غرفة مرتبة نظيفة.

بعد أن أصبح كل شيء تحت السيطرة في المطبخ، رفعت ميريديث كميها واستعدت لمحاربة الأوساخ في المكتب. بدت الطاولة مكتظة بالأوراق، حتى إنها بالكاد تمكنت من رؤية الهاتف. أما طاولة الكومبيوتر فمليئة بالغبار. مسحتها وهي تفكر أنها رأت تكنولوجيا معاصرة أكثر من هذا الكومبيوتر القديم في المتحف. الحمد لله إنها جلبت الكومبيوتر النقال معها. كان الغبار الأحمر الكثيف يغطي كل شيء، ما جعل عيناها تدمعان ولم تسلم من العطاس. شعرت بالسرور الكبير لارتدائها قميص هال فوق ثيابها.

تذكرت رد فعل هال على إبعادها للمجلات القديمة البارحة، فحرصت على عدم رمي أي شيء، لكنها رتبت ونظفت وقامت بأفضل مجهود لديها لتنظم الأوراق حسب تسلسلها التاريخي بعناية. وبالرغم من عدم معرفتها بشؤون المزرعة، اعتقدت أنها قامت بعمل رائع حين صنفتها فوضعت الأوراق المتشابهة وفق تدرج زمني. ارتفع حاجباها في دهشة وهي ترى أوراقاً تعود إلى خمس وعشرين سنة مضت.

في الواقع، هذا النوع من العمل ناسب طبيعة ميريديث التي تحب التنظيم. وبالرغم من أنها استهجنت الموقف، إلا أنها استمتعت بذلك في قرارة نفسها. حين تنتهي من التنظيف سيصبح المكتب مكاناً عظيماً للعمل. في إحدى جهات المكتب، ثمة نافذة تشرف على فناء المطبخ ونافذة أخرى تشرف على الحديقة وشجرة الليمون الحامض التي أثارت إعجابها.

كانت ميريديث جالسة على الأرض تنظم الأوراق في علبة من الكرتون

تستخدم كدرج بدائي حين دخل هال، فشرع قلبها فجأة بأداء رقصته البهلوانية المعتادة. أحست كأنه حلق عالياً وقام بثلاث قفزات قبل أن يهبط. أخيراً قفز قفزة صغيرة قبل أن يستقر في صدرها.

قامت ميريديث بأفضل ما عندها لتبقي تعبيرها هادئاً، قالت وهي تحاول أن تبدو مرتاحة: «مرحباً!».

حدق هال بدهشة في المكتب، وسألها: «ماذا تفعلين هنا؟».

أجابت قبل أن يتمكن من الاعتراض: «أرتب المكان. أنت قلت لي إن باستطاعتي القيام بذلك».

وأضافت معبرة تماماً عن مخاوفه: «طلبت مني أن أعمل جيداً، ولا داعي لأن تجزع. لم أرمِ شيئاً! لكن هناك كومة من الأشياء التي تبدو لي كخردة».

بعدئذٍ أردفت: «بما أنك هنا، هل يمكنك أن تتفحصها من فضلك، فتحتفظ بما تريد الاحتفاظ به لكي يتم التخلص مما تبقى؟».

لم يطلب منها أن ترجع كل شيء إلى مكانه كما فعل في اليوم السابق، لكنه همهم: «لن أتمكن من إيجاد أغراضي مطلقاً».

وقفت ميريديث بسرعة، وراحت تشرح له كيف نظمت الأشياء، ثم قالت مشجعة: «هذا هراء! أصبحت الأشياء منظمة الآن. هل تعرف أنك إذا استفدت من خزانتين مرتبتين للملفات، يمكنك أن تزيل كل هذه الأشياء؟».

أظهر فم هال الملتوي إلى الأسفل كيفية شعوره تجاه اقتراحها ذاك، لكنه التقط بضع أوراق من كومة الخردة وتفحصها بسرعة قبل أن يطرحها جانباً وهو يقول: «هذه يمكن أن تحرق».

هذا ما فكرت به ميريديث في الواقع!

التقط هال كدسة أخرى من الأوراق وسألها: «لِمَ أنتِ مصرة جداً على إعادة تنظيمي؟».

ردت بصرامة: «لا يتعلق الأمر بك».

ثم أضافت: «لا أستطيع أن أعمل هنا مع الفوضى العارمة التي تسود

المكان. أردت أن أستعمل الكومبيوتر لأراجع بريدي الإلكتروني. علي أن أعرف أخبار لوسي، لكن تطلب الأمر مني ساعة لأجد لوحة المفاتيح فحسب. إن ترتيب المكتب لمصلحتك. ينبغي أن تكون ممتناً».

لم يبدُ عليه الغضب وهو يطوح يده الأخرى في الهواء، قائلاً: «الامتنان ليس ما أشعر به حين ينقلب بيتي رأساً على عقب».

حين رآها جالسة على الأرض ووجهها ملطخ بالغبار، وعيناها الداكنتان الجميلتان تبحثان بين أوراقه، وقميصه تلامس انحناءات جسدها بلطف... لم يعد يعرف حقاً ما الذي يشعربه. لم يستطع هال أن يتقبل فكرة أن شخصاً يتحلى بالدفء والنعومة والجاذبية يمكنه أن يكون لاذعاً ومنافساً له بطريقة حادة جداً. بدا له هذا مزيجاً لافتاً. في الواقع، وجدها مزعجة للغاية، جذابة، فاتنة ومغيظة بكل ما للكلمة من معنى أحياناً. إنها تتدخل في كل شيء وتسيطر عليه ولا تساوم مطلقاً، لكنه... أحبها! هذا ما أدركه هال. أحب ذكاءها ولسانها اللاذع. أحب طريقتها في رفع ذقنها عندما تواجهه. أحب التحدي في عينيها، والطريقة التي ترفع فيها كميها حين تنقض على عملها. أحب أن يرجع إلى المزرعة ويجدها هناك، وفمها ملتوٍ إلى الأسفل في عدم رضى. وها هو الآن جاء يبحث عنها متذرعاً بحجج واهية، فيما يجب عليه أن يكون في العمل.

يا له من أمر مليء بالغرابة! كان هال مستعداً ليطردها لأنها فتاة مدينة سطحية. أراد أن يتجاهلها، لكن إعجابه بها تسلل إليه بالرغم من كل الأفعال المغيظة التي قامت بها، وبالرغم من معرفته أن ليس هناك صفات مشتركة بينهما بكل تأكيد. لم يستطع أن يسيطر على تفكيره فيقنع نفسه أن الأسابيع القليلة المقبلة ستكون أسهل بكثير إذا لم يحبها. سألها وهو يشعر بالحماقة: «هل وصلتك أخبار من لوسي؟».

هزّت ميريديث رأسها إيجاباً، وقالت: «نعم، مجرد رسالة سريعة. وصلت إلى لندن، لكنها لم ترَ ريتشارد بعد. يبدو أنها باقية مع غاي».

ظهر تجعيد بين حاجبيها، فيما جلست على الكرسي الذي يدور بالقرب

من طاولة المكتب. عضت شفتها، ثم أضافت: «هذا خطئي».

- لماذا؟

جاء صوت هال قاسياً من دون مبرر لذلك، لكن كان عليه أن يشتت أفكاره بطريقة ما عن حركتها وهي تعض شفتها.

- نسيت تماماً أن أعطيها مفاتيح منزلي.

- ما زلت لا أفهم لماذا هو خطؤك.

- حسناً... ! لوسي لا تملك مكاناً آخر لتبقى فيه في لندن. تخلت عن المنزل الذي تشارك في دفع إيجاره حين غادرت إلى أستراليا. خططت كي تبقى في منزلي، أما الآن فلن تستطيع ذلك.

- هل ستعتقد لوسي أنك المخطئة لأنها نسيت أن تسألك عن المفتاح؟

- لا... لا، على الأرجح.

- لماذا تفترضين أنها لا تستطيع أن تتدبر أمرها بنفسها؟ كانت لوسي لتنظم رحلتها لو سمحت لها أنت وغاي. هي قادرة على الاهتمام بنفسها، لكنك تعاملينها كطفلة.

شمخت ميريديث بأنفها قائلة: «أنا لا أعاملها كطفلة».

سألها هال بصوت قاسٍ: «ألا تفعلين؟ لا يفاجئني أن لوسي أرادت أن تأتي إلى أستراليا وتعيش حياتها الخاصة. لكنك لم تسمحي لها حتى بهذا».

شعرت بالغضب، فدفعت شعرها عن وجهها تاركة لطخة من الغبار على خدها، وقالت: «هذا هراء! ما كنت لآتي إلى هنا لولا حادث ريتشارد».

- أحقاً؟ وفكرة من تلك بأن تأتي وتعيديها إلى لندن؟ من الذي تأكد من تنفيذ الخطة، حتى لو لم ترغب لوسي بأن ترجع؟

لم يعرف هال لما تعمد أن يستفزها. اعتراه شعور بأن هذا عقاب لها لسيطرتها على الأمور دوماً، ولجعله هو يفقد السيطرة. إلا أنه ندم على ما قاله حين رآها تحدّق به فزعة، وعيناها الزرقاوان البنفسجيان مليئتان بالرعب.

قالت ميريديث وقد رق صوتها فجأة: «هل يبدو الأمر كذلك؟».

ساوره شعور فظيع. أراد أن يسحب كل ما قاله، لكنه لم يستطع. قال بنبرة أكثر لطافة: «تستطيع لوسي أن تهتم بنفسها. تعرفين ذلك ميريديث».

أدركت ميريديث متأخرة جداً إلى أي حد بدت متسلطة، فتنهدت ثم قالت: «أعرف. الأمر أنه...».

مسكينة لوسي! هل تكبدت مشقة السفر إلى أستراليا لتهرب منها؟ يا لها من فكرة مريعة!

تابعت محاولة أن تشرح: «أفترض أنني معتادة على الاهتمام بها. لطالما كنت الأخت الكبرى وهي الأخت الصغرى. أحسست أنني مسؤولة عنها، لا سيما حين كان علينا الذهاب إلى المدرسة الداخلية».

التوى فمها من جراء هذه الذكرى. وأكملت: «كانت لوسي في السابعة من عمرها فقط... طفلة صغيرة مسكينة».

سحب هال كرسياً بلا ظهر بقدمه، وجلس عليها وهو ينحني إلى الأمام ليريح مرفقيه على ركبتيه، ثم سألها: «كم كان عمرك أنت؟».

- تسعة أعوام.

تسعة! بمثل عمر إيما... كانت هي أيضاً فتاة صغيرة.

- كنت أنت طفلة صغيرة مسكينة أيضاً.

ابتسمت ميريديث نصف ابتسامة، وقالت: «أستطيع أن أرى الوضع الآن، لكن في ذلك الوقت شعرت أنني الأكبر، وعرفت أن علي أن أهتم بها فحسب».

قال هال بفضول: «كنتما صغيرتين على المدرسة الداخلية. نحن ذهبنا بعيداً إلى المدرسة أيضاً، لكن ليس في وقت مبكر كهذا».

سوّت ميريديث كومة من الفواتير على الطاولة، وقالت: «كان أبي يعمل في شركة بترول، وغالباً ما يتم تعيينه ما وراء البحار في أماكن لا تناسب الأولاد. تزوج بعد موت أمي بسنوات قليلة، ولم تشأ زوجته أن تبقى في المنزل مع طفلتين صغيرتين، فذهبت معه وأرسلت أنا ولوسي إلى المدرسة».

عبس هال، وقال: «لا بدّ أن هذا كان صعباً عليك».

- قبلت الأمر وحسب. كنت في الخامسة من عمري حين توفيت أمي، ولأكون صادقة معك، ليس لدي سوى مجرد انطباع عنها هو... عطرها. أذكر مدى سروري حين كانت تأتي وتقبلنا قبل النوم. بالطبع، لدينا بعض الصور لها، ونحن نعرف أنها تحبنا، وهذا يعني لنا الكثير.

ثم أردفت شارحة: «فاي ليست زوجة أب خبيثة. أحبت أبي فعلاً، وكانت زوجة رائعة. كنا نذهب في إجازات معاً، وأحياناً كانا يعودان هي وأبي إلى بريطانيا، ولطالما كانت لطيفة معنا. لم نكن نعيش حياة مأساوية أو ما شابه».

ربما لا، لكن هال يعتقد أن خسارة الأم في عمر الخامسة وإرسال الطفل إلى المدرسة في سن التاسعة ليسا على الإطلاق حياة طفولية رائعة.

قال: «الذهاب إلى مدرسة داخلية في ذلك العمر ليس أمراً سارّاً».

كشرت ميريديث، وتوقفت يداها عن الحراك أخيراً، ثم قالت: «لا، كان أمراً فظيعاً في البدء. لم أفهم حقاً ما يجري حينها. أخبرنا أبي وفاي عن المدرسة، وظننت أنها فكرة ممتعة إلى أن أدركت أن أبي سيرحل فعلاً ويتركنا هناك. ظننت أننا ذهبنا للزيارة فقط، وأننا نستطيع بعدها أن نعود إلى المنزل معه».

ابتسمت بحزن لبراءتها الطفولية، وقالت: «كنت على وشك أن أصعد إلى السيارة حين أخبرني أبي أن علي البقاء. قال إن علي أن أبقى فتاة صالحة وألا أبكي، وعلي أيضاً أن أهتم بلوسي... وهذا ما فعلته. لن أنسى أبي وهو يقود السيارة مبتعداً ذلك النهار... ما زلت أستطيع أن أشعر بيد لوسي تلتصق بيدي، وأنا أتمنى أن أفلتها وأركض وراءه. رحت أقول لنفسي إنه سيتوقف ويستدير، ويقول إن الأمر برمته خطأ، لكنه لم يعد».

هزّت رأسها يميناً وشمالاً بشفقة على نفسها، ثم تابعت: «راحت لوسي تبكي. لم تفهم ما الذي يحدث، وكل ما استطعت أنا فعله هو الالتزام بما قاله لي أبي. قلت لها إن كل شيء سيكون على ما يرام، وإنني سأهتم بها. لم أسمح لنفسي بأن أبكي لأن ذلك سيزيدها قلقاً وذعراً».

شعر هال بألم في حنجرته لتفكيره بالفتاة الصغيرة القوية المتروكة في مكان غريب، ممسكة بيد أختها الأصغر، وفمها يرتجف وهي تجاهد لعدم البكاء.

قال: «أنا آسف!».

- آه!

شعرت ميريديث بالخجل حين وجدت نفسها في وضع يدعو إلى الشفقة على الذات. استعادت حيويتها مرة أخرى قائلة: «لم يكن الأمر سيئاً جداً».

كانت قد رتبت الفواتير في كومة منظمة، ووضعتها في جهة واحدة قبل أن تسحب مجموعة من الأوراق المتعلقة بالأمور البيطرية والتي بدت كلها غامضة بالنسبة إليها. أردفت: «اعتدنا على الأمر في آخر المطاف. بشكل ما، بدا الأمر أكثر سهولة بالنسبة لي لأنني كنت مشغولة جداً بالاهتمام بلوسي والتأكد أنها بخير، فلم يكن لدي وقت لأفكر بنفسي».

نظرت إليه وأعلنت: «أستطيع التعامل مع أي شيء ما دام هناك عمل أقوم به. لكن... أنت على حق على الأرجح. أنا أهتم بلوسي كثيراً. أصبح هذا عندي عملاً تلقائياً لا أفكر به. كنا نسافر لنرى أبانا وزوجته في الإجازات، وعلى الدوام كنت أنا من عليها أن تفكر بالبطاقات والوصول إلى المطار في الوقت المناسب، حتى حين أصبحنا كبيرتين بما يكفي لنسافر من دون صحبة».

قال هال، بعد أن عاد هو أيضاً إلى عمله الخاص فغاص في كومة الخردة: «لا عجب الآن أنك ذات طبع جدي جداً».

اعترفت ميريديث قائلة: «أتمنى أحياناً لو أستطيع أن أكون غير مهتمة وممتعة في آن، لكنني... لا أستطيع فحسب».

تذكر هال أنها بدت فاتنة جداً في الكعبين العاليين اللذين انتعلتهما الليلة الماضية، لكنه قرر ألا يذكرها بهذا. عوضاً عن ذلك، سألها: «هل حاولت؟».

أجابت ميريديث برزانة: «بالطبع لا! إنني جدية الطباع جداً لأفعل هذا».

ضحكا معاً، ثم أدركا في الوقت نفسه أنهما ارتكبا خطأً بالسماح لعيونهما أن تلتقي. أصبح الجو فجأة حرجاً بينهما، ولم تعد هناك كمية كافية من الهواء في الغرفة ليتنفسا كما ينبغي.

آه! أين هو ذلك الطبع الجدي؟ انتزعت ميريديث عينيها بعيداً عن عيني هال، وركّزت على أخذ نفس عميق، وهو أمر اعتادته لتستعيد قوتها من جديد. من دون تفكير، راحت ترتب كومة أخرى من الأوراق. حاولت أن تقول شيئاً لكسر ذلك التوتر بينهما. انزلقت نظرتها سريعاً لتجول حول الغرفة، واستقرت أخيراً على صورة فوتوغرافية مجمّدة كانت قد سحبتها من علبة الكرتون سابقاً، فانتهزت الفرصة لتغير الموضوع.

قالت وهي تستدير على الكرسي وتنحني إلى الأمام لتريه الصورة، من دون أن تلتقي عيونهما: «بما أننا نتكلم عن الطفولة، أردت أن أسألك عن هذه».

وأردفت: «إنها صورة جميلة. أهذا أنت إلى اليمين؟».

تلاشت الابتسامة المتوانية عن وجه هال، وسألها: «من أين أتيت بها؟».

بدا صوته أشبه بضربة السوط، فانتفضت ميريديث وارتدت إلى الخلف من دهشتها. انخفضت حرارة الغرفة بسرعة، وحين نظرت إلى تعبير هال، شعرت فجأة بالبرد. ماذا تراها فعلت؟

أصابتها الحيرة. نظرت إلى الصورة، وتساءلت ما الذي تمثله لتسبب رد فعل كهذا؟ إنها مجرد صورة عائلة سعيدة. أشارت بإصبعها مجيبة: «في ذلك الصندوق، هناك كمية كبير من النفايات لكنني لم أستطع رميها. فكرت أن ميكي وإيما قد يرغبان في رؤية أمهما وهي فتاة صغيرة. أفترض أنها هي التي تقف في الوسط. أليس كذلك؟».

حاولت ميريديث أن تبتسم لتخفف من حدّة الجو. وتابعت: «ومَن هذا الصبي الصغير الضاحك الممتلئ الخدين؟ لم أدرك... ما الذي تفعله؟».

اختطفت الصورة مجدداً من هال الذي كان على وشك أن يمزّقها إلى نصفين.

حملتها وراحت تحدق به في عدم تصديق: «لا تستطيع فعل هذا!».

لم ترَ ميريديث تعبيره بارداً هكذا قط.

- لا أريدها! إنها مجرد خردة.

فقد هال السيطرة على مزاجه وقال: «اسمعي، هذا ليس من شأنك! لا يهم من هي وما هي. لا شأن لكِ بها. لِمَ لا تستطيعين أن تتركي كل شيء على حاله؟».

- لكن...

أكمل يقول بشراسة: «يمكنك أن تفسحي مكاناً للكومبيوتر النقال والبدء بعملك. لكن لا! لا تستطيعين فعل شيء بمثل هذه البساطة. أليس كذلك؟ عليك أن تتدخلي دوماً... عليك أن تقحمي أنفك في كل ما لا يعنيك».

راحت ميريديث ترتجف بسبب ردة فعله الغاضبة. قالت وهي لا تزال غير مدركة لما فعلته: «من الواضح أنني ضربت على الوتر الحساس».

شعر هال بحاجة مفاجئة ليخرج من الغرفة، فرفس الكرسي بعيداً عن طريقه، ومشى نحو الباب مؤرجحاً يديه، فيما ردّ غاضباً: «احتفظي بالصورة اللعينة إذا كان أمرها يهمك، لكن لا تدعيني أراها مرة أخرى. لا أريدها».

جلست ميريديث ساكنة بعد رحيل هال. سمعت الباب يغلق، ثم سمعت طقطقة جزمته على درج المطبخ. ماهي إلا ثوانٍ حتى ظهر بجسمه الصلب القوي وهو يتمشى بخطى واسعة في الباحة، فيما أخذت تراقبه من النافذة وهي تعض شفتها إلى أن اختفى خلف إصطبل الخيول. ما الخطأ الذي ارتكبته؟

مسدت الصورة المجعدة بعناية. إنها صورة عائلة تحدق بعيون نصف مغمضة إلى آلة التصوير، كما تفعل آلاف العائلات السعيدة. الرجل يشبه هال كثيراً. لا بد أنه أبوه، ولا بد أن المرأة أمه. بدت امرأة جميلة، ومن الواضح أنها تتبع الموضة.

بدا هال في عمر الثانية عشرة. لا بد أن أمه توفيت بعد وقت غير بعيد من التقاط هذه الصورة. أهذا ما أغضبه كثيراً؟

تنهدت ميريديث فيما حدّقت إلى الوجوه في الصورة. ربما يكون هال محقاً. الأمر ليس من شأنها، ولم يكن عليها أن تقحم أنفها في الأوراق الخاصة، لكنها بدت صورة مرحة، ولم تتصور قط أنه لن يفرح لرؤيتها.

استمع هال إليها مظهراً عاطفة قوية حين راحت تخبره عن طفولتها. وجدت نفسها تتكلم بسهولة، وبدا كأنها وجدت صديقاً. أما الآن فقد أفسدت كل شيء.

نظرت إلى ساعة يدها شاعرة بالاحباط، ونهضت حين أدركت تقدم الوقت. ستعتذر لهال لاحقاً، أما الآن فبات عليها أن تبدأ بتقشير البطاطا.

تركت ميريديث الصورة بقرب الكومبيوتر. إنها لن تحتفظ بها بالطبع. إذا أراد هال أن يمزّقها فهذا خياره، لكنها لن تمزقها من أجله.

طوال الأمسية راحت تنتظر فرصة لتعبر له عن مدى أسفها، لكن لم يتسنَّ لهما الوقت ليكونا وحدهما. بدا أن ميكي وإيما قد ألِفا التسكع في المطبخ، وحين ذهبت لتبدل ثيابها كان رعاة الماشية قد وصلوا وبدأوا بشرب العصير. تغلب هال على غضبه، لكن ميريديث استطاعت أن ترى أنه منطوٍ على نفسه. حين عارض هال عرضها لتنظف الصحون بعد الوجبة، فكرت أنه قد يكون من الأفضل أن تتركه وتبتعد. إذا لم يرغب في التحدث إليها لن تجبره على ذلك. لمرّة واحدة فقط، لن تتدخل أو تفعل ما تعتقده الأفضل. فكرت بذلك متذكرة تعليقاته عن الطريقة التي عاملت بها لوسي. بدلاً عن ذلك ستشغل نفسها بالترجمة.

بدا المكتب أقل إغواء في المساء. وضعت الكومبيوتر النقال على طاولة المكتب، محوّلة عينيها عن الصورة التي سببت المتاعب في فترة بعد الظهر. إن نقل رسائلها البريدية على الكومبيوتر النقال يتطلب منها أن تزيل القابس الكهربائي للهاتف، وتستبدله بقابس كومبيوترها كي يتسنى لها الاتصال بالإنترنت. هذه العملية الطويلة ذكرتها بسهولة نقل المعلومات عبر شبكة الكومبيوتر الموصولة دوماً بالإنترنت في بيتها في لندن.

كانت تضع قابس الهاتف مرة أخرى حين فُتح الباب. دخل هال وبيده

كوب من القهوة لها، وقال: «فكرت أنك ستحبين هذا إذا أردت أن تعملي».

- آه! شكراً.

انتظرت طوال الأمسية فرصة لتتحدث مع هال، والآن وجدت نفسها فجأة معقودة اللسان. ما زالت الصورة مُسندة إلى قاعدة طاولة الكومبيوتر، وتمنت لو أنها أبعدتها عن الأنظار.

بدأت ميريديث بالكلام: «هال، أنا آسفة...».

لكنه قاطعها قائلاً: «لا! أنا هو الآسف. بالغت في ردة فعلي، إذ إنني لم أرَ صورة لأمي منذ أكثر من عشرين سنة. ظننت أن أبي مزقها كلها، فكانت صدمة بالنسبة لي أن أرى واحدة مجدداً».

أخذ هال نفساً مدركاً أن من المستحيل أن يشرح لميريديث الصدمة التي يشعر بها المرء حين يجد نفسه وجهاً لوجه مع ماضيه من دون إشعار مسبق. قال: «صببت غضبي عليك... أنا آسف».

اعتذرت ميريديث بدورها قائلة: «ما كان علي أن أبحث في أوراقك. أنت محق... ذلك ليس من شأني».

- لم أرَ ما في الصندوق قط. لا بد أنه كان لأبي.

توجّه هال إلى جانب ميريديث، والتقط الصورة ثم وقف يتأملها بفم ملتوٍ.

- أتساءل عن سبب احتفاظه بها.

بدا الأمر واضحاً لها، فقالت: «هي صورة جميلة. كانت أمك جميلة جداً».

وافقها بمرارة: «نعم، كانت كذلك».

- لِمَ مزق أبوك كل صورها؟ يبدو لي ذلك أمراً فظيعاً.

وضع هال الصورة مجدداً على الطاولة، وسألها: «هل يبدو أكثر فظاعة من تدمير عائلة؟».

وأضاف: «هذا ما فعلته».

صعقها كلامه، فسألته: «أتعني... أمك؟ لكن... ظننت أنها ماتت».

قال وقد ظهرت في فكه عضلة نابضة: «لا! لم تمت. ما زالت تعيش في سيدني. لم أرها منذ أن غادرت ويريندا غو حين كنت في الثانية عشرة. لم تودعنا... تركت ملاحظة لأبي في أحد الأيام، ثم قادت السيارة إلى ويمانزكريك. كان على أبي أن يذهب ويعيد السيارة من المطار بعد رحيلها».

حدّقت ميريديث به مصدومة، وسألته: «هل تركتك؟».

- تركتنا كلنا. كانت ليديا لا تزال في التاسعة من عمرها.

فكرت ميريديث أنه العمر نفسه الذي كانت فيه حين تُركت في المدرسة الداخلية. شعرت حينها أن والدها تخلّى عنها، لكن ماذا لو كانت أمها هي التي تخلت عنها؟ لم تستطع تصور الأمر. لم تتصور كيف تستطيع أم ترك أولادها.

أكمل هال: «كان جاك يبلغ العاشرة من عمره».

- أخوك؟

أجاب باقتضاب: «نعم».

سألته بعد لحظة: «هل... هل تعرف لماذا رحلت؟».

قال بابتسامة حزينة: «آه! نعم. شعرت بالضجر».

- ماذا؟

رفع هال حاجباً لتعبيرها المفعم بالشك، وقال: «ظننت أنك من بين كل الناس ستفهمين الأمر. أنت فتاة مدينة أيضاً، لا تحبين الحر والذباب والعزلة».

انزعجت ميريديث لما يتضمنه كلامه من تلميح، فقالت: «لا! ثم... إنني لست متزوجة بك وليس لدي ثلاثة أولاد».

أقر هال: «هذا صحيح!».

اتكأ على الطاولة، والتقط الصورة مرة أخرى. حملها بيده كأنه مفتون بها ويكرهها في الوقت نفسه. أردف: «حسناً! كان أمراً شاقاً بالنسبة إلى أمي. لم يكن عليها أن تتزوج من أبي منذ البداية. هي من بريسبان. التقيا في إحدى الحفلات الراقصة في الريف، وأغوتها فكرة أن تعيش في مزرعة للماشية.

لكن خبا حماسها سنة بعد سنة من مواجهة الحقيقة، فراحت تتذمر لأن أبي والرجال الآخرين لا يتكلمون إلا عن القطيع والأحصنة».

بدت ميريديث مستغربة لفكرة أن تستطيع التخلي عن أولادها بهذه البساطة: «لكن ماذا عنكم؟ أولادها؟ ألم ترغب بأن تأخذكم معها؟».

رفع هال بصره نحوها مرة أخرى، وعيناه الرماديتان مليئتان بالأسى من هذه الذكرى، وقال: «كنا لنمنعها من التصرف على سجيتها. كانت تذهب في زيارات طويلة إلى عائلتها، واتضح أنها تمويه للقائها مع حبيب سابق. انتقلا للعيش في سيدني معاً، وتزوجت أخيراً... لم ترغب بعدها بثلاثة أولاد جامحين حولها. بالإضافة إلى ذلك... ما كنا لنذهب معها. لم نتصور كيفية العيش في المدينة. ويريندا غو هي عالمنا الوحيد».

بات من السهل عليها الآن أن تفهم سبب عزمه الشديد على ألا يتزوج مطلقاً. هو ليس مستعداً لأن يخاطر ويتعرض للهجر مجدداً، كما حصل وهو طفل صغير.

قالت ميريديث بعد برهة: «لا بدّ أن الوضع كان صعباً عليكم جميعاً. كيف تغلّب أبوك على هذه المشكلة؟».

- على نحو رديء جداً.

سألته بلطف: «وأنت؟».

توجهت عينا هال إلى الصورة مجدداً، لكن هذه المرة لم يكن ينظر إلى أمه. كان ينظر إلى الأطفال بوجوههم المتألقة الواثقة التي لم يساورها قط الشك بأن العالم الذي عرفوه سينهار.

- ظن أبي أننا بخير... ترك الأمور تحدث على سجيتها، وسمح لنا بأن نفعل ما أردنا. لفترة معينة، بدا الأمر تقريباً أشبه بإجازة.

تذكر هال تلك الأيام بوضوح. بدت الحرية التي طالما تاقوا إليها مخيفة الآن، إلّا أنهم أمضوا خارج المنزل ما استطاعوا من الوقت، لأنهم لم يرغبوا في العودة إلى المنزل. لم يرغبوا في رؤية تعبير أبيهم والنظر إلى عينيه، أو التفكير بالمكان الفارغ على الطاولة حيث كانت تجلس أمهم.

علقت ميريديث: «لا بد أنك اشتقت إليها».

إن الأطفال مبرمجون ليعشقوا أمهاتهم، حتى لو لم يستحق هؤلاء هذا الحب.

أجاب هال ببطء: «أفترض أننا اشتقنا إليها... لا شك أن جاك اشتاق إليها. كان المفضل لديها. لم يتكلم عن الأمر مطلقاً، لكنني لا أعتقد أنه تغلب على فكرة هجرها لنا من دون أن تودعه. اعتقد أنه إذا استطاع أن يذهب ويجدها، يمكنه أن يقنعها بأن ترجع فتعود المياه إلى مجاريها مجدداً».

تغضنت قسمات وجهه ألماً، وأكمل: «كان مجرد طفل... لم يفهم ما جرى».

رؤية قسمات وجه هال، جعلت الفزع يدب في معدة ميريديث. همست تسأله: «ماذا حدث؟».

بدا صوته حزيناً جداً على الرغم من محاولته السيطرة على مشاعره وهو يجيب: «في أحد الأيام، فرّ من المنزل محاولاً إيجادها. ترك رسالة قال فيها إن لديه خطة لكي يعيدها إلى المنزل. صعد خفية إلى الشاحنة التي تنقل الماشية... لم يكن السائق على علم بوجوده، إلا حين أنزلوا الحمولة ووجدوا جثته مع القطيع... لا بد أنه اختنق».

٧ - اعترافات وأسرار

خيم على الغرفة صمت مريع، وجلّ ما تمكنت ميريديث من قوله بعدئذٍ هو: «آه.. ! هال.. !».

تجاوبَ هال مع شفقتها بهزة من كتفيه، وقال: «هل فهمت لماذا لم يرغب أبي في الاحتفاظ بأي شيء يذكره بها؟ بعد وفاة جاك... لن أنسى أبداً الطريقة التي مزّق بها كل صورة وكل ما يذكرنا بها. لم يكن يذكر اسمها، وتظاهرنا كلنا بأنها توفيت... مثل جاك».

- هل عرفت أمك بما حصل؟

- لا بد أنها فعلت. لا أعرف إن كانت قد حاولت أن تتصل بليديا أو بي... لو فعلت ما كان أبي ليخبرنا. رأتها ليديا مرة أو اثنتين في سيدني، لكنني لم أرغب في ذلك. ليس بعد خسارة جاك، وبعد ما فعلته بأبي.

هزّ رأسه يميناً وشمالاً، وتابع: «لم يعد أبي كما كان بعد رحيلها. أعتقد أن ثمة جزءاً منه عرف أن علاقتهما كان مصيرها الفشل منذ البداية، وأنه ما كان عليهما الزواج أصلاً. بعد أن غادرت فقد حماسه... فقد الاهتمام بكل شيء. لم أدرك إلا بعد مماته كم أهمل ويريندا غو. لزمني الكثير من الجهد والوقت لأعيد ترتيب الأمور والمضي بهذه المزرعة قدماً».

ضاقت حنجرة ميريديث فيما راح هال يتذكر الحياة في المزرعة قبل عشرين عاماً، حين غادرت أمه ومات جاك وانطوى أبوه على نفسه. اعتصر قلبها ألماً على الصبي الذي كانه، فأرادت أن تضمه إلى صدرها بقوة. بدلاً من ذلك، قالت وهي واعية تماماً أن ما ستقوله يبدو غير كافٍ: «أنا آسفة!».

تابعت تسأله: «من اهتم بك وبليديا؟».

أجاب وقد ظهرت على شفتيه شبه ابتسامة: «شعرنا بالضياع لفترة، ثم علمت عمتي بالأمر فأتت لتعيد تنظيم حياتنا. ترعرعت عمتي في ويريندا غو، لكنها التقت بوالد غاي في إنكلترا وبقيت هناك. لطالما كانت وأبي مقربين من بعضهما، وأظنها كرهت أن تراه محطماً من جراء ما حصل. إنها امرأة عملية جداً. في الواقع... أنت تذكرينني بها كثيراً».

أضاف هال قائلاً: «استخدمت مدبرة منزل، وحاولت أن تعيدنا مجدداً إلى المدرسة. ذهبت أنا إلى المدرسة الداخلية، فيما أخذت ليديا لتعيش معها في إنكلترا حتى أصبحت كبيرة بما يكفي لتذهب إلى المدرسة الداخلية كذلك».

كرهت ميريديث فكرة أن يخسر هال أمه وأخاه، ثم أخته الصغرى أيضاً قبل أن يتم إرساله إلى المدرسة وحده. يا للصبي المسكين!

قالت بنبرة عطوفة: «لا بد أن الذهاب إلى المدرسة الداخلية كان صعباً عليك».

أجاب هال: «ليس بقدر ما كان بالنسبة إليك. كنت في الثالثة عشرة من عمري لا في التاسعة».

أشارت ميريديث: «كانت لدي لوسي».

أما هو فلم يعد لديه جاك أو ليديا!

لكن هال رفض أن يتقبل الشفقة، فقال: «بدا ذلك القرار الأنسب. اشتقت إلى ويريندا غو، لكنني على الأقل تلقيت بعض العلم، ولم يعد على أبي أن يقلق بشأن من سيهتم بليديا وبي. كنت أرجع إلى المنزل في الإجازات، وكانت عمتي تأتي إلى هنا مرة في السنة برفقة ليديا وغاي».

- إذاً هذا هو سبب قربك الشديد من غاي؟

هزّ هال رأسه إيجاباً، وقال: «أصبح غاي بمثابة أخ لي ولليديا. لم يحتل مكانة جاك، لكننا لم نعد نشتاق إلى جاك كثيراً حين يكون غاي موجوداً. غاي يتحلى بروح المرح على الدوام».

عاودتها ذكرى الليلة التي التقت فيها بغاي بصورة ضبابية، لكن ما زال

هناك انطباع واضح في ذهنها عن عيني غاي الراقصتين وقدرته على جعل هال يضحك من أعماق قلبه.

سألته ميريديث: «ماذا عن ليديا؟ أما زلت مقرباً منها؟».

أجاب: «أفترض ذلك، وأفترض أنني مسؤول عنها، وليديا قادرة تماماً على استغلال هذا. كما ترين... أنا في موقع لا أستطيع فيه انتقادك ولوسي!».

- أهذا وافقت على الاهتمام بميكي وإيما؟

- هذا سبب شعوري بالذنب لأنني لا أعطيهما أفضل أوقاتي.

فرك هال وجهه، ثم تابع: «أظن أنك محقة. يجب عليّ أن أخرج برفقتهما، وأريهما ما كنا نفعله حين كنا صغاراً».

سافرت نظرته بعيداً وهو يتذكر: «أمضينا أوقاتاً جميلة!».

- عليك أن تتذكرها.

وقفت ميريديث والتقطت الصورة عن الطاولة. ثم قالت: «ربما كان أبوك يتذكرها أيضاً. ربما لهذا السبب احتفظ بها».

قالت وهي تنظر إلى الصورة: «جاك يبدو في الصورة وكذلك أمك. لا بد أن أباك أراد شيئاً يذكره بأن الوضع لم يكن سيئاً برمته. عليك أن تؤمن بأنه مهما ساءت الأمور، ثمة أوقات تستحق أن نعيشها».

تردّدت قليلاً، ثم قدمت له الصورة وقالت: «عليك أن تحتفظ بهذه الصورة، هال. لا تمزقها! احتفظ بها وتذكر ما لديك لا ما خسرته».

مرّت لحظة طويلة من الصمت، فيما راح هو ينظر إلى الصورة حتى كادت ميريديث تفقد أعصابها. قالت: «أنا آسفة! ما كان يجدر بي قول أي شيء، هذا ليس من شأني. وأنا آسفة إذا ما أعدتُ إلى ذاكرتك الذكريات البشعة اليوم. كان يجب علي ترك المكتب وشأنه».

فجأة أخذ هال الصورة منها، وقال: «شعرت بالغضب في البداية، لكنني الآن أشعر بالسعادة لأنك وجدتها. لم أتكلم عن جاك منذ سنوات عديدة، وربما كان علي أن أفعل».

وضع الصورة في جيب قميصه، وقال وهو يشير إلى كوبها: «أصبحت قهوتك باردة. أتريدين كوباً آخر؟».

هزّت ميريديث رأسها نفياً مظهرة ابتسامة، وقد تقبلت ضمنياً تغيير الموضوع، ثم أجابت: «أنا معتادة على شرب القهوة باردة».

ابتعد هال عن الطاولة، ثم قال وهو يتوجه إلى الباب قبل أن يغيّر رأيه: «يجدر بي أن أذهب وأقوم ببعض العمل».

ما لبث أن توقف واستدار نحو ميريديث، ثم قال لها بهدوء: «شكراً لما فعلته الليلة، ميريديث».

- لم أفعل شيئاً.

- أظن أنك فعلت الكثير.

لم يستطع أن يشرح لها كم عنى له أن يتمكن من التحدث عن جاك مجدداً، لكنه توقع أن تفهم. نظرت ميريديث إليه بعطف بعينيها الزرقاوين الداكنتين، ثم تقدّمت نحوه وضمته إليها قائلة: «أنا سعيدة لأن هذا ساعدك».

للحظة شعر هال بالتوتر، ثم التفت ذراعاه حولها، وعانقها بقوة كما يفعل صبي في الثانية عشرة من عمره فقد أمه وأخاه.

لكنه لم يعد الآن صبياً في الثانية عشرة من عمره، إنه رجل في ريعان شبابه. أراحت ميريديث وجهها على كتفه، وسمحت لنفسها أن تتمتع برفاهية أن تستند إلى أحدهم ولو لمرة. بدا ظهره عريضاً، صلباً ودافئاً تحت يديها.

همست قائلة: «شكراً لأنك أخبرتني عن جاك».

كان وجهها قريباً جداً من حنجرته، فاستطاعت أن ترى الشعيرات الصغيرة النابتة لذقنه، والنبض المستمر خلف أذنه. سيطرت عليها رغبة قوية بأن تلمسه، وتمسد بشرته السمراء، وترسم حدود فكه القوي. حسناً! لا يجدر بها القيام بذلك. من المفترض أن يكون هذا عناقاً ودياً لا أكثر، إلا أنها تأثرت برائحته العطرة وصلابة بنيته. فهو جذاب وقوي ويجعلها تشعر بالأمان.

- أنا سعيد لأنك أصبحت تعرفين.

حين تكلم هال، استطاعت ميريديث أن تشعر بصوته العميق يرتج في داخلها، إذ كان ذقنه يستريح على شعرها. لم يكن عليها إلا أن تدير رأسها قليلاً وأن ترفعه قليلاً لتصبح في مواجهته.

افعلي ذلك! افعلي ذلك! يمكنك أن تلمسي وجهه إذا أردتِ... يمكنك أن تمرري يديك على ظهره. إذا فعلت هذا، سيضمك إليه أكثر بيديه القويتين... آه يا إلهي! عليها أن توقف هذا في الحال! ابتلعت ريقها بصعوبة، وبجهد خارق سحبت نفسها بعيداً عنه، تماماً كما يجدر بالمرأة الجدية التي هي عليها أن تفعل.

حين أشاحت ببصرها عنه وابتعدت راح جسدها يئن وخداها يحترقان بسبب الاحباط. لم تستطع أن تلتقي بتلك النظرة الرمادية، وتخاطر بأن يعرف ماهية الأفكار التي دارت في رأسها وهي متشبثة به.

حسناً فعلت لأنها لم تتصرف بتهور. هذا ما قالته ميريديث لنفسها فيما تلمست طريقها إلى الكرسي مجدداً. ليس من العدل أن تتظاهر بالصداقة تجاه الرجل ليخبرها عن تجارب طفولته المحزنة، وفي اللحظة التالية تبدأ بإغوائه. شعرت بالخجل من نفسها لمجرد تفكيرها بذلك. رسمت على وجهها ابتسامة مشرقة، وقالت وهي تتجنب النظر إلى عينيه: «علي أن أقوم ببعض العمل».

- بالطبع!

بعد لحظة من التردد، توجه هال إلى الباب، وقال: «سأدعك تعملين. تصبحين على خير، ميريديث!».

ثم رحل.

* * *

- ما رأيكما أيها الولدان أن نذهب للسباحة بعد الظهر؟

إنه يوم السبت. كان رعاة الماشية قد غادروا لينهوا أعمالهم في ذلك الصباح، أما بعد الغداء فسوف تبدأ عطلتهم التي تمتد حتى نهار الإثنين. ناقشوا خططهم للأسبوع المقبل على الفطور، وفهمت ميريديث أنهم

سيذهبون إلى المقهى في ويمانزكريك كالعادة، ويمضون الليلة هناك، ما يعني أنها ستبقى وحدها مع هال والولدين. مضى على وجودها في ويريندا غو أكثر من أسبوع حتى الآن. أسبوع اعتادت فيه على أشياء كثيرة بدت غريبة حين وصلت إلى هنا. طهو اللحمة عند الساعة الخامسة صباحاً فيما لا تزال المزرعة ساكنة وباردة، سماعها طقطقة الجزمات فيما يطلع الرجال على الدرج، المشي في الحر المحرق لتطعم الدجاج... حتى طقطقة الباب أصبحت مألوفة بالنسبة إليها الآن حتى إنها بالكاد تلاحظها. اعتادت ميريديث على السماء الواسعة والضوء اللامع والسكون، كما اعتادت سماع نعيق الغراب بين الفينة والأخرى إلى جانب الجدول.

هال هو الوحيد الذي لم تتعود بعد على وجوده. ما زال السلوك الغريب البهلواني لقلبها يتركها لاهثة. لم تتعود على انكماش أحشائها حين يستدير ويبتسم أو ببساطة حين يضع قبعته على رأسه، أو على شعور الدفء الذي يتسلل إلى معدتها كلما فكرت بشعورها حين احتضنته.

أرسلت لوسي أخباراً جيدة عبر البريد الإلكتروني تفيد بأن ريتشارد خرج من حالة الغيبوبة، لكنه ما زال مريضاً جداً. كتبت: «... لكنك كنت مخطئة في ظنك أنني أنا من يريد أن يراها حقاً. تصرف بلطف حيال الأمر، لكنه قال لي البارحة إنه أدرك قبل الحادث أنه تخطى حبه لي. بالرغم من هذا، سأبقى حتى أعرف أنه تحسّن».

شعرت ميريديث بالحيرة لدى سماعها عن تغير ريتشارد الواضح، ولم تستطع أن تكف عن التساؤل ما إذا كانت لوسي تخبرها الحقيقة فعلاً. على أي حال، لم تكن تستطيع أن تفعل شيئاً حيال الأمر وهي موجودة هنا. أما ما أقلقها أكثر فهو مدى سعادتها لاكتشافها أن أختها لن ترجع في وقت قريب، على الرغم من اضطرارها للعمل بجهد أكبر ممّا كانت تعمل سابقاً. كانت تستيقظ باكراً لتحضر الفطور كل صباح، وبالكاد تتوقف حتى جلوسها قبالة الكومبيوتر النقال بعد وجبة العشاء، لتقوم بعملها في الترجمة. لم تكن تنجز عملها في الترجمة بالقدر الذي كانت تنجزه وهي في منزلها بالطبع، إلا

أنها كانت لا تزال تسيطر على الأمور.

لطالما فكرت أن تجلس لترتاح على الشرفة في نهاية النهار، لكنها لم تسمح لنفسها بأن تأخذ هذا الخيار بعين الاعتبار. فهذا سيعني أنها ستجلس وحيدة في الظلام مع هال، وهي لا تثق بنفسها بأن تفعل هذا. شعرت بغرابة ما يحدث لها؛ حين يكون هال موجوداً، لا تستطيع أن تبعد عينيها عنه، فتتبع نظراتها حركة يديه والنبض في حنجرته، أما أثناء غيابه، فتجد نفسها تفكر به و بالطريقة التي يتحرك بها، والتي تجعل أنفاسها تعلق في حنجرتها.

لم تظن ميريديث قط أنها من أولئك النساء اللواتي ينجذبن إلى الرجل حتى يسيطر ذلك على تفكيرهن. أما الآن فهي تتساءل كيف أصبحت منجذبة إلى هال بحيث لا تستطيع إبعاد أفكارها عنه ولو للحظة واحدة. لم تشعر يوماً بذلك تجاه ريتشارد. بالرغم من وسامته، كان انجذابها إلى ريتشارد ذهنياً وليس جسدياً..

لم يكن هال بالطبع كذلك. صحيح أنه يبدو لطيفاً أحياناً، لكنه صارم وصعب المراس، ويعيش في الجهة الأخرى من العالم، في شبه عزلة لم تكن ميريديث لتتخيلها منذ أسبوعين فقط. مع ذلك، هو الذي جعل أحاسيسها تنتعش، وجعل الحرارة تدب في كل جسمها.

- ماذا عنك، ميريديث؟

انتشلها صوت هال من أفكارها، فكادت تسكب الشاي على الطاولة. سألته: «ماذا؟».

أجاب هال: «كنت أخبر ميكي وإيما عن بركة المياه في الجدول، وهي بركة عميقة وصالحة للسباحة».

أضاف: «قررنا أن نذهب إلى هناك بعد الظهر. هل تريدين المجيء؟».

بدت السباحة فكرة جذابة جداً، لكن ميريديث فكرت أنها كلما أمضت وقتاً أقل مع هال كلما ارتاح فكرها أكثر. قالت: «عليّ أن أعمل».

- آه، هيا! إنها نهاية الأسبوع!

قالت إيما: «سنمرح أكثر إذا أتيت معنا».

فيما هزّ ميكي رأسه موافقاً: «هيّا، ميريديث!».

شعرت ميريديث بالإطراء لحماستهما هذه. ترددت في اتخاذ قرارها، ثم تذكرت: «لم أحضر معي ثوباً للسباحة».

ويبدو أن هال وجد ملاحظتها غير ضرورية، فقال: «لا ضرورة لذلك».

- لن أسبح من دون ثوب سباحة!

سمح هال لنفسه أن يتصورها كذلك للحظة، ثم قال: «لم أكن سأقترح ذلك، رغم أنها فكرة... أليس لديك أي شيء تستطيعين ارتداءه؟».

أشارت ميريديث قائلة: «لم أتوقع أن أبقى هنا مدة طويلة لأذهب للسباحة، لذا لم آتِ في الواقع بلباس غير رسمي كهذا».

- يمكنني أن أعيرك قميصاً، ولا يهم إذا بللته.

اعترضت ميريديث: «لا أستطيع أن أقوم كل يوم بغارة على خزانة ملابسك».

لم تدرك أنه تم تشتيت أفكارها عن البقاء في المنزل والعمل على وقائع السباحة. كيف حصل ذلك؟

سحب هال كرسيه إلى الوراء، وقال: «هذا هراء! سأجد لك شيئاً ترتدينه حين أعود. سنعود كلنا للغداء، لكن يمكنك أن تحضري بعض البسكويت كوجبة خفيفة لبعد الظهر، وسنأخذها معنا».

فكرت ميريديث أنها ستبدو فظة إن أصرت على عدم مرافقتهم. بالإضافة إلى ذلك، هي تستحق فترة استراحة. بالرغم من أنها كادت تغيّر رأيها حين اكتشفت أنه يتوقع منها أن تمتطي الحصان بالإضافة إلى السباحة. قالت حين أبلغها هال بذلك: «لست جاداً!».

أجاب هال: «بالطبع أنا كذلك. أنتِ من قلتِ إنه يجب علي أن أعطي ميكي وإيما فكرة عما كنا نفعله ونحن صغار، ونحن كنا نمتطي الأحصنة».

- ما رأيك لو ذهبنا كلنا في الشاحنة؟

سألها وهو ينتقي قبعة لها: «لكن هل سيكون الأمر ممتعاً بالقدر ذاته؟».

قررت ميريدث أن تقوم بجهد كبير كي تدافع عن رأيها، فقالت: «سيكون كذلك بالنسبة لي. أنا فتاة مدينة، وفتيات المدينة لا يمتطين الأحصنة».

نظر هال إليها مظهراً إحدى ابتساماته الساحرة، وسألها: «أخائفة أنت؟».

- بالطبع، أنا خائفة!

وعدها وهو يعطيها قبعة لينهي النقاش: «ضعي هذه القبعة، وسأضعك على الحصان الأكبر والأبطأ سرعة لدينا».

ثم أضاف قائلاً: «سأذهب لأضع السرج على الحصان».

تمنت ميريديث أن يؤيد ميكي وإيما فكرة الشاحنة أيضاً، لكن تبين لها أنهما أحبّا فكرة امتطاء الأحصنة، إذ توجها نحو هال لانتقاء حصانين ملائمين، بينما راحت ميريديث توضب بعض أنواع البسكويت التي أعدتها ذلك الصباح. كيف تراها ستتمكن من إقناعهم بأن يتركوها وشأنها؟

أخيراً وضعها هال تحت الأمر الواقع حين أحضر لها حصاناً ضخماً. وقال لها: «هيا، اصعدي!».

راوغت ميريديث قائلة: «لست واثقة حقاً أنها فكرة جيدة. ماذا لو وقعت؟».

أمرها هال وهو يشير إلى الحصان: «لن تقعي! ديوك لا يستطيع أن يسير إلا الهوينا. على أي حال، لن أدعك تقعين. ضعي قدمك هنا».

راحت ميريديث تقفز من مكان إلى آخر فيما وقف الحصان هادئاً، وما لبثت أن شعرت بيدين قويتين ترفعانها إلى صهوة الحصان. كان ميكي وإيما في هذه الأثناء قد امتطيا فرسين، وراحا يضحكان على مسلكها الغريب، وقد بدوا أكثر حيوية من المعتاد.

نفذ هال وعده فانطلق ببطء شديد وهو يمسك رسن ديوك. كل ما كان على ميريديث فعله هو ألا تقع وحسب، وألا تفكر بمدى القوة التي يتمتع بها، أو بدفء أصابعه وهو يسلمها الرسن. خلال الدقائق الأولى شعرت بالتوتر، فلم تستطع إلا أن تتشبث وتحدق أمامها، لكن بعد فترة وجيزة، بدأ

تأرجح الحصان المتناغم يريحها، فتمكنت من الاسترخاء بما يكفي لتنظر حولها.

راحت الأحصنة تتهادى على مهل في ظلال أشجار الصمغ الفضية اللحاء المنتشرة على جانبي الجدول. كان الجو حاراً وقليل النسيم، وخلف الأشجار بدت الأرض براقة كالماس.

بدا على هال الارتياح التام فوق صهوة حصانه. كان يرتدي سروال جينز، وجزمة وقميصاً بالية جداً بدا من المستحيل معرفة ألوانها الأصلية. كانت قبعته مائلة إلى الأمام لتظلّل وجهه، واستطاعت ميريديث أن ترى خط فكه القوي وتعبير فمه. مرة أخرى أجبرت نفسها على النظر إلى الأمام لتحدق إلى أذني ديوك اللتين تهتزان بتكاسل. أما ميكي وإيما فبدا أنهما يستمتعان بوقتهما، وبعد فترة وجيزة بدأت ميريديث تشعر أنها مستمتعة بوقتها أيضاً. وجودها في مكان مرتفع عن الأرض بدا أمراً مقلقاً، لكنه مبهج في آن. انطلق سرب من الطيور من تحت إحدى الأشجار محدثاً صوتاً كالانفجار، ثم استدار محلقاً في السماء الزرقاء النحاسية.

قالت لهال الذي استدار لينظر إليها: «هذه لحظة لا تنسى. ألا تظن ذلك؟».

أجابها هال مفكراً: «هذا المنظر مألوف جداً بالنسبة لي. إنه من الأمور البديهية هنا، ومن المضحك الاعتقاد أنه ليس كذلك بالنسبة إليك».

قالت ميريديث مع ابتسامة: «لا، هو ليس كذلك. البديهي بالنسبة لي هو الأرصفة والناس وجلبة السيارات والمباني».

- هل اشتقت إلى لندن؟

قالت ببطء وقد أدركت ذلك فجأة: «من المضحك... أنني لست مشتاقة».

- حسناً! استمتعي بوقتك ما دمت هنا، فأنت لن تبقي لفترة طويلة.

أليس من الغرابة أن فكرة عدم بقائها هنا لفترة طويلة لم تبدُ لها فكرة مطمئنة كما في السابق؟ بعد لحظة من التفكير وافقته قائلة: «نعم».

بدت مياه الجدول ضحلة إلى درجة أن ميريديث بدأت تفكر أن فكرة السباحة هي مجرد مزحة، لكن بعد مرور بعض الوقت، وصلا إلى نهر أكثر اتساعاً وعمقاً، تقطع مياهه الخضراء الهادئة الأرض الجافة، فلهثت بدهشة حين رأته.

قال هال وهو يهزّ رأسه إلى الأمام والخلف باتجاه الشرق: «ها هي وبانزكريك. اتبعي مجرى النهر وستصلين إلى البلدة».

- هل سنسبح هنا؟

- لا، البركة تبعد قليلاً من هنا.

أخذهم هال إلى حفرة المياه القديمة حيث كان هو وجاك يسبحان حين كانا صبيين صغيرين. في تلك النقطة، شكل الجدول بركة واسعة، تحيط بها الحجارة الحمراء، وقد اختبأت في ظل أشجار الصمغ المتشابكة التي بدت كالأشباح. لم يكن من السهل الوصول إليها إلا لمن يعرف الطريق.

أدرك هال أنه لم يأتِ إلى هنا منذ فترة طويلة، وفجأة أصبحت ذكرى جاك واضحة بطريقة أليمة. استطاع أن يتصوّر أخاه وهو يتسلق الصخور من دون خوف، ويهتف مبتهجاً إذا ما نجح في الوصول إلى القمة قبله. بدا كأن صدى ضحكته الصبيانية العالية يتردد فوق بركة المياه.

أعاده ميكي إلى الحاضر بحماس شديد: «هل يمكننا أن نسبح بين الصخور؟».

دفع حصانه للمضي قدماً وهو يصر بأسنانه. رحل جاك لكن ثمة صبي آخر هنا الآن، وأولاد آخرين سيستمتعون بوقتهم كما كانا يفعلان. أجاب هال: «نعم. هذا ما كنا نفعله أنا وجاك».

تعمد أن يلفظ اسم جاك، ولم يكن الأمر صعباً كما خشي أن يكون. تأرجح عن ظهر حصانه بحركة رشيقة واحدة فلم تستطع ميريديث إلّا أن تحسده، أمّا الولدان فنزلا عن ظهر فرسيهما بطريقة أقل رشاقة. ظلت ميريديث جالسة على صهوة حصانها، ثم سألت: «كيف أنزل؟».

تقدم هال كي يأخذ الرسن منها ويشرح لها ما عليها فعله. رفع يديه

ليساعدها على النزول، وانتهى بها الأمر بالانزلاق على طول جسده الصلب. سقطت قبعتها في مكان ما بجانبها، فانحنى هال ليلتقطها. بعدئذٍ وضعها على رأسها مجدداً، وحملت عيناه تعبيراً مُبهماً. للحظة مجنونة واحدة اعتقدت ميريديث أنه على وشك أن يعانقها.

راح ميكي وإيما يصرخان بحماس، وفي النهاية خطا هال إلى الخلف. وجُل ما قاله: «سأربط الأحصنة».

وبخت ميريديث نفسها. بالطبع، لم يكن هال ينوي معانقتها هنا أمام الولدين. يا لها من فكرة حمقاء! لكن قلبها راح يدق عالياً جداً فيما تبعت صوت الولدين إلى الصخور المحيطة بالبركة التي فعل الدهر بها فعله. بعد أن بدل الولدان ثيابهما سألا: «هل يمكننا السباحة الآن؟».

صرخت إيما حين وضعت قدمها في المياه: «إنها باردة!».

ضحك هال وقال: «ألم أقل لكما؟ عليكما أن تقفزا».

- اقفز أنت أولاً.

- هذا ما سأفعله.

طرح هال قبعته جانباً، وخلع قميصه قبل أن يفك سرواله الجينز ليظهر تحته سروال قصير باهت للسباحة. نظر إلى ميريديث، التي كانت تبذل أقصى جهدها كي لا تنظر إليه.

- ألن تسبحي؟

لا مجال مطلقاً لأن تخلع ميريديث بهدوء قميصها لترتدي تلك القميص أمامه. بدا من الصعوبة بمكان أن تبقى واقفة فيما قلبها يدق بقوة، فما بالك بمحاولة السباحة! قالت وهي تجلس على صخرة: «سأراقبكم قليلاً».

بدا الجو رائعاً في الظل. أغمضت عينيها للحظة، آملة أن تهجع دقات قلبها.

- انظروا إلى الخال هال.

فتحت ميريديث عينيها بسرعة لترى هال يتسلق الصخور بقدميه الواثقتين حتى أصبح يشرف على سطح البركة الهادئ. وقفت في ومضة البرق، وقالت

بصوت يرتفع بإنذار: «هال! يبدو هذا خطيراً. أعتقد أن عليك النزول».

أجاب هال: «لا تقلقي. لطالما قفزنا من هنا جاك وأنا».

قفز إلى البركة ليظهر من تحت الماء بعد فترة بدت لها عمراً بأكمله. بسرعة، أزال شعره الذي انسدل على عينيه مطلقاً ابتسامة أذابت قلب ميريديث.

قال ميكي وهو يتوجه إلى الصخور العالية: «سأقوم بهذا أيضاً».

بدت إيما مترددة في البداية لكنها سرعان ما شجعت نفسها واستمتعت بالقفز إلى المياه أيضاً. جلست ميريديث تراقبهم، وهي تتمزق بين شعورها بالبهجة وعدم رضاها عن المخاطرة. ماذا لو لم تكن المياه عميقة كما يظنون؟

صاحوا بها: «هيا، ميريديث! تعالي إلى هنا!».

بدت المياه مغرية، فقالت: «حسناً! سأسبح، لكنني لن أقفز إلى أي مكان».

بعد أن خلعت قميصها مختبئة خلف الأحصنة، انسلّت بخجل إلى البركة، واعية تماماً لنظرة هال. ترددت عند حافة البركة، فراحت تضع إصبعاً في المياه ثم ترجعه بسرعة غير مستعدة لتلقي برودتها.

قال هال: «ستجدين الأمر أسهل إذا قفزت».

أقرت ميريديث: «لا أتجرأ على القيام بذلك».

أمرها قائلاً: «انتظري هناك!».

سحب نفسه من البحيرة وجسمه يقطر ماءً، وأخذ يد ميريديث. أحست بأصابعه باردة ورطبة على بشرتها الدافئة.

قادها هال إلى الصخور قائلاً: «تعالي معي!».

تعين على هال أن يساعدها للصعود إلى الأعلى بمزيج من الدفع والتشجيع حتى أصبحت أخيراً واقفة فوق البركة. تلك الصخور ليست عالية جداً كما اعتقدتها، لكنها مع ذلك شعرت بالرعب. قالت بتردد: «لا أستطيع».

أجابها هال: «بلى تستطيعين. كوني متهورة مرة في حياتك. افعلي شيئاً

ممتعاً. يمكنك ذلك إذا حاولتِ».

صرخ ميكي وإيما من الأسفل حيث كانا يعومان وأرجلهما تتحركان كأنهما تقودان الدرّاجة: «اقفزي! هذا ممتع».

ألا تستحق هي بعض المتعة أيضاً؟ يبدو هال محقاً، أمضت حياتها وهي تتصرف بجدية. لمرة واحدة فقط تستطيع أن تكون متهورة. أخذت نفساً عميقاً، وقفزت إلى البركة. بدا كأنها تسقط في الهواء اللامع ببطء، وحين أحاطت رأسها المياه الباردة، اعتقدت أن قلبها سيتوقف عن الخفقان بسبب البرودة، لكن حين اقتحمت سطح المياه، شعرت بالابتهاج الشديد فلم تستطع أن تكف عن اللهاث والضحك.

في اللحظة التالية، غطس هال وراءها، ليسبح في مكان قريب منها، فيما أصبحت هي عائمة ورجلاها تحت الماء، وهي تملّس الشعر الرطب عن وجهها.

سألها: «أليس ذلك ممتعاً؟».

ابتسمت له غير واعية تماماً كم تبدو جذابة، ووافقته قائلة: «ممتع حقاً!».

استمتع الجميع بالسباحة، ورشوا بعضهم بالماء لفترة وجيزة، ثم خرج هال من المياه ليحضر الشاي على الموقد الغازي الذي كان مربوطاً بسرج حصانه. سخن بعض الماء في ركوة معطوبة، وطرح فيها بعض أوراق الشاي، ثم حرّك المزيج بقضيب. بعد فترة وجيزة صاح قائلاً: «أصبح الشاي جاهزاً».

خف ابتهاج ميريديث حين جلست على صخرة دافئة وناعمة، وحاولت ألّا تنظر إلى جسد هال البني الرشيق الذي ينضح جاذبية. شعرت أنها شاحبة وسمينة بالمقارنة معه، وشعرت بالخجل بسبب الطريقة التي كانت قميصه تلتصق بها.

لحسن الحظ، لم يبدُ هال منتبهاً لإحراجها، فراح يتحدث مع ميكي وإيما. بين الفينة والأخرى راحت ميريديث تسترق النظر، لتجد نظراتها

www.elromancia.com

تصطدمان بنظراته، إلى أن أصبح الجو بينهما ينبض بالتوتر.

حين قرر ميكي وإيما أن يقوما بجولة ليكتشفا المكان، راقبتهما ميريديث في فزع. ما الذي ستفعله الآن؟ قالت لنفسها بقساوة؟ كوني جدية، وتوقفي عن السخف الذي أنت عليه. أنت امرأة ناضجة وما من سبب يمنع من أن يجري بينك وبين هال حوار عادي.

- أتريدين المزيد من الشاي؟

- شكراً.

استقامت ميريديث في جلستها فيما حملت كوبها. آن الأوان لتعود إلى طبعها الجدي. قالت: «من الغرابة أن أجلس هنا وأشرب الشاي فيما ريتشارد ما يزال مريضاً».

- سمعت من لوسي أنه خرج من حالة الغيبوبة؟

شعر هال بالامتنان لأنها تمكنت من القيام بشيء يرسو بحديثهما على شاطئ الأمان. لا بد أن ميريديث أيضاً مدركة لذلك التوتر الذي يسود بينهما. أمر وجد هال من الصعوبة أن يتغلب عليه طوال هذا الأسبوع.

بالرغم من حقيقة أن ميريديث تختفي في المكتب طيلة فترة بعد الظهر، إلا أن هال ظل مدركاً لوجودها بطريقة مزعجة. لم يستطع أن يزيل صورتها من ذاكرته وهي تواسيه. لم يحصل بينهما سوى غمرة وجيزة، لكنه ما زال يشم رائحة عطرها، ويحسّ بنعومة شعرها وبدفء جسمها.

تمكنت ميريديث بشجاعة من إرساء الحديث على أرض حيادية. قالت: «خرج من حالة الإغماء، لكنه ما زال مريضاً جداً».

- أنت قلقة عليه. ألست كذلك؟

على الرغم من أنها لم تقلق كثيراً مؤخراً، أجابت ميريديث: «بالطبع، أنا كذلك. ريتشارد هو صديق وفي».

- أهذا ما هو عليه فقط؟

بدت النظرة التي رمقها بها هال مفعمة بالشك العميق، فتصلبت أوصالها.

- ماذا تعني؟

أنهى هال كوب الشاي واستلقى على الصخرة الدافئة، ثم شبك يديه خلف رأسه. وأشار بصوتٍ حيادي: «تبدين مهتمة بريتشارد أكثر من لوسي. كما أظن أن... لوسي عادت من أجلك لا من أجله».

فتحت ميريديث فمها لتنكر الأمر، إلا أن الكلمات جفت في حنجرتها. نظرت إلى هال الذي تمدد بارتياح بجانبها. كان ثمة صخرة ناعمة خلفها، فغيرت اتجاه جلستها كي تستطيع أن تتكئ عليها وترفع وجهها باتجاه الشمس الساطعة، ثم قالت معترفة: «كنت مغرمة به».

٨ - شجاعة أم تهور؟

- كنت... أم ما زلتِ؟

قالت ميريديث: «كنت... كما أعتقد».

وأضافت بعد دقيقة: «هذا ما آمله».

بالطبع هي لا ترغب في أن تكون مغرمة بريتشارد.

علق هال: «وكأنك لست متأكدة. لا أصدق أنك واقعة بحب حبيب أختك».

أراحت ميريديث رأسها على الصخرة. وأخبرته: «ليس الأمر كذلك. التقيت بريتشارد في حفلة، ووقعت بحبه إلى أقصى درجة. اعتقدت أنه رائع، فاتن، ذكي، جذّاب، ويهتم الأشياء نفسها التي أهتم بها..».

- الرجل المثالي.

لم يخبئ هال نبرة الغضب في صوته وتمنى ألا تظن ميريديث أنه يشعر بالغيرة.

وافقت قائلة: «نعم».

لم تكن شرارة الانجذاب الجسدي موجودة بينها وبين ريتشارد، ما جعلها ترتاح إليه. هو لم يجعلها قط تشعر بالانزعاج والاضطراب كما فعل هال.

- حصل تفاهم بيننا، وتحدثنا طيلة المساء عن فرنسا وإيطاليا والطعام والموسيقى... لم ألتق قط بشخص أعجبني إلى هذا الحد، وحين اقترح أن يدعوني إلى تناول مشروب، شعرت أنني فوق القمر.

- إذاً، ماذا حصل؟

لا شيء. تناولنا مشروباً وتحدثنا، ثم قررنا أن نذهب إلى حفل غنائي.

بدا ذلك لطيفاً، لكن لم يظهر ريتشارد أي إشارة تدل على أنه يرغب بأن نكون أكثر من صديقين.

قال هال، رافعاً رأسه قليلاً لينظر إليها بعينين شبه مغمضتين: «وأنتِ... هل فعلت؟».

- حسناً! لا أشعر بثقة كبيرة حين يتعلق الأمر بالرجال. أستطيع أن أفهم أن ريتشارد قد لا يجدني جذّابة.

ثنت ميريديث ذيل قميصها بين أصابعها، فيما نظر هال إليها وتساءل إذا كان ريتشارد قد رآها قط في قميص رطبة.

تابعت تقول: «اعتقدت أنه يحتاج إلى مزيد من الوقت، وخشيت أن أجفله إذا صارحته بشعوري. خشيت أن يتجنبني تماماً».

- لمَ ظننتِ أنه قد يفعل؟

قالت ميريديث بنبرة جافة: «هذا ما سيكون عليه موقف أي شاب إذا قام بدعوة امرأة لتناول مشروب، فراحت تقول له إنه الرجل المثالي وإنها ترغب في أن تمضي بقية حياتها معه وتنجب أولاده. لو كنت أنت مكانه لقمت بالتصرف عينه أيضاً».

أقر هال: «حين تصورين الأمر على هذا الشكل... لكن لم يكن عليك أن تعبري بهذه الطريقة، أليس كذلك؟ لربما استطعت أن تعلميه أنك تجدينه جذاباً، وأنك تريدين أن تتقدمي في العلاقة أكثر».

تنهدت ميريديث، واعترفت: «كنت خائفة من القيام بهذا. خشيت أن يقول لي إنه لا يريد ذلك، عندئذٍ سيصبح الأمر محرجاً حتى لنكون صديقين. حاولت أن أجعله يعتاد على الفكرة. دعوته إلى الغداء مع بعض الأصدقاء القدماء وأختي وحبيبها، كي لا يعلق أهمية على الأمر».

أكملت ميريديث: «سار الأمر على مايرام، إلا أن لوسي تأخرت كعادتها. كانت آخر من يصل... حسناً! تعرف شخصية لوسي. إنها تملأ الغرفة بقدومها. راحت تضحك وتقول إنها قطعت علاقتها بحبيبها بعد شجار أحمق. كانا يتواعدان منذ فترة قصيرة، ولم تكن علاقتهما جدية. غالباً

www.romancia.com

ما أتساءل عما كان سيحدث لو لم تتشاجر مع توم تلك الليلة، لأن ريتشارد وقع في حب لوسي من مجرد نظرة واحدة».

كانت ميريديث واثقة جداً أن ريتشارد هو الرجل الملائم إلا أن نظرة واحدة إليه بدت كافية لتحطم قلبها. أكملت قائلة: «بدا... مندهشاً. هذه هي الكلمة المناسبة. وبالطبع، حرصت على ألا أخبر أحداً كم هو مهم بالنسبة لي حتى لوسي. لم تكن لتعبث معه لو عرفت شعوري، لكنها لم تستطع منع نفسها. بدا ريتشارد مسحوراً تماماً بها، وحين دعاها إلى الخروج برفقته وافقت».

رفع هال جسمه ليتكئ على أحد مرفقيه، ثم استدار نحوها، وسألها: «لِمَ لم تقولي شيئاً حينها؟».

- ما نفع ذلك؟ ذلك لن يغير ما يشعر به ريتشارد تجاه لوسي. كل ما كنت سأفعله هو أن أجعل لوسي تشعر بعدم الارتياح.

عبس هال، وقال: «كيف تعاملت مع هذا الوضع؟».

قالت ميريديث بحيوية: «حسناً! الشعور بالغضب لم يبدُ مجدياً. لم أشأ أن أخسر أختي أو صديقي، فقلت لنفسي إن الأمور جرت نحو الأفضل. على الأقل، أنا لم أقم باعتراف مخجل قبل أن يلتقيها ريتشارد».

- ولم تحزر لوسي قط؟

- كلا! لكنها جاءتني بعد شهر وهي تشعر بالضجر. ريتشارد طيب جداً، لكن لوسي تحتاج إلى شخص يمثل لها بعض التحدي.

أكملت ميريديث كلامها، وهي تملس التجاعيد في قميصها: «راحت تتكلم عنه... ولم أعرف كيف خانتني نظراتي... لا بد أن ثمة شيئاً في تعبيري نبهها، لأنها توقفت فجأة، وحدقت بي، وعرفت».

علّق هال قائلاً: «لا بد أن الأمر بدا صعباً بالنسبة لها أيضاً».

- غضبت مني لأنني لم أخبرها بالأمر. أخبرت ريتشارد أنها ذاهبة إلى استراليا، وتصرفت معي بشراسة لأنها شعرت بالأسى الشديد لما فعلته!

تنهدت ميريديث، وتابعت تقول: «انهار ريتشارد، وكان يأتي إلي طوال

الوقت فيجلس ويتكلم عن لوسي وسبب رحيلها المفاجئ. بالطبع، لم أستطع أن أقول له إن ذلك حصل بسببي. شعرت بالأسى تجاهه. أحب لوسي حقاً وهو لا يستحق أن يخسرها بهذه الطريقة. أردته أن يكون سعيداً، وهو لم يكن كذلك».

- إذاً، حين وقع له هذا الحادث، حاولت أن تهتمي به.

سألت بنبرة دفاعية: «وما الخطب في ذلك؟».

أجابها هال: «لا تتم الأمور على هذا النحو. تمضين الكثير من الوقت وأنت تحاولين أن تحسني حياة الآخرين، ميريديث. تقررين ما الذي يحتاجون إليه وتحققينه لهم، فيما يجدر بهم أن يقوموا بذلك بأنفسهم».

- أليس ذلك أفضل من عدم القيام بأي شيء للمساعدة؟

- ألا تكفيك مشاغلك حتى تهتمي بالآخرين؟ أنت لا تعيشين حياتك الخاصة بالشكل الصحيح.

أطلقت ميريديث زفرة تنم عن الغضب، ثم جلست باستقامة. سألته بشراسة: «كيف يمكنك أن تقول ذلك؟ لدي حياة رائعة. لدي بيتي الخاص، والكثير من الأصدقاء، ومهنة ناجحة».

قال هال بهدوء: «ربما! لكنك تخافين من المخاطرة في الأمور التي تهمك فعلاً».

أجابت بصوت يرشح ازدراء: «آه! أحقاً؟ ماذا تعني؟».

أجابها: «لو أنك أخبرت ريتشارد عن شعورك نحوه لوفرت الكثير من المتاعب على الجميع. ربما لم يرغب ريتشارد في أن تكونا أكثر من صديقين، لكنك لم تعطي نفسك الفرصة لتعرفي. ربما ظن أنك لست مهتمة به».

قالت ميريديث وهي مسندة ظهرها إلى الصخرة: «تبدو الآن مثل لوسي!».

- لوسي أذكى مما تبدو عليه. على الأقل هي لا تخاف من الحياة.

- أنا لست خائفة!

- بلى، أنت كذلك.

أكمل بنبرة أكثر لطفاً: «أنت تتصرفين بجدية دوماً، وتبدين منتبهة وقلقة خشية أن يحصل خطب ما. ليس عليك أن تكوني كذلك. يمكنك أن تكوني ميريديث التي قفزت من فوق تلك الصخرة. أردت القيام بذلك وفعلت، وبدا الأمر ممتعاً، أليس كذلك؟».

أقرت ميريديث: «نعم. لكن الحياة ليست مثل القفز على الصخور. لا تستطيع دوماً أن تحصل على ما تريد».

سوّى هال جلسته واستدار ليواجهها، ثم قال: «المشكلة هي أنك لن تحصلي على ما تريدين إذا خفتِ أن تطلبيه».

قالت بصوت يميل إلى الغضب وعدم الرضى، غير مستمتعة بمسار الحديث: «آه! وأفترض أنك تقوم بذلك؟».

أجاب هال: «نعم. أنا أعرف ما أريده».

وأكمل: «في هذه اللحظة... أريد أن أعانقك».

خيم السكون عليهما للحظات بينما راحت كلماته ترن حول بركة المياه، كأنها ترتطم بالصخور فتصدر صداها في أنحاء الريف. أريد أن اعانقك... أريد أن أعانقك...

ابتلعت ميريديث ريقها بصعوبة. وأخيراً تمكنت من القول: «ألأنني متوفرة لك؟».

- كلا. لأنني أظن أنك جميلة، جذابة، شجاعة وأمينة.

للحظة طويلة... طويلة جداً، لم تستطع ميريديث إلا أن تحدق به فيما علقت أنفاسها في حنجرتها. تمنت أن تصدقه، لكن كيف يمكنها ذلك؟ هي ليست جميلة ولا جذابة. هي نشيطة ومسيطرة وجدية. آه! نعم، جدية...

أشارت ميريديث: «إلا أنك لا تحب الالتزام بعلاقة جدية».

وافقها هال: «لا! أنت تعرفين رأيي بالالتزام. لا أريد علاقة تستمر إلى الأبد. أنت فتاة مدينة أصيلة جداً، ولن تتمكني من البقاء في مكان مثل ويرينداغو حتى لو أردت ذلك. أعرف أنك ستعودين إلى لندن عاجلاً أم آجلاً... قريباً على الأرجح، لكن هذا لا يعني أنني لا أرغب في معانقتك ما

دمت هنا».

توقف هال قليلاً عن الكلام ونظراته مركزة على وجه ميريديث، ثم قال: «وهنا أسأل: هل أنت شجاعة بما يكفي لتقري أنك تريدين ذلك أيضاً؟ هل ستسمحين لنفسك بأن تستمتعي ببعض المرح؟ قد يكون الأمر ممتعاً بقدر القفز على الصخور!».

أزاحت ميريديث نظراتها لتوجهها إلى المياه. إنه على حق... لا فائدة من التظاهر بأنها لا ترغب بأن يعانقها. لكن...

- لمَ لا تخاطرين لمرة واحدة فقط ميريديث؟

جاء صوت هال عميقاً ومنخفضاً، ما أرسل رجفات خفيفة على امتداد بشرتها. كيف يمكنه أن يفعل ذلك ولم يلمسها بعد؟ أضاف سائلاً: «هل أنت حقاً خائفة؟».

أصبح فم ميريديث جافاً. كان عليها أن تتمسك بقدرتها على السيطرة على نفسها بكل ما أوتيت من قوة. استطاعت أن تسمع صدى صوت ميكي وإيما يتردد فوق الصخور، فتذكرت سبباً جيداً لتكون جدية. أقرت أخيراً: «في الواقع... لا أظن أن الأمر مناسب بوجود الأولاد».

سادت لحظة من السكون، ثم ابتسم هال وقال مُقراً بالهزيمة: «حسناً! على الأقل «غير مناسب» هو سبب أفضل من «ليس جدياً».

تابع وهو يقف على قدميه، ويخفض بصره باتجاه ميريديث الجالسة على الصخرة: «لديك وجهة نظر في هذا».

نظرت إليه ميريديث بعينين بنفسجيتين واسعتين داكنتين، فأضاف: «لكن إذا غيرت رأيك، دعيني أعلم».

ظلت كلمات هال تردد صداها باستمرار في ذهنها على مر الأيام القادمة. غيري رأيك... غيري رأيك...! كانت تشعر دوماً بتلك اللهفة العميقة التي تشدّها إليه بقوة، وبذلك الصوت المغوي يذكرها باللحظة الرائعة حين غطست في المياه الباردة، وعامت في ضوء الشمس المتلألئ...

حاولت أن تغرق نفسها في العمل، لكن بدا من الصعب عليها أن تحافظ

على تركيزها. نظرت من النافذة، ها هو هال يقطع الفناء بتلك المشية الممشوقة الطليقة، ثم يتوقف ليتكلم مع الكلب في الظلال. النظر إليه وهو ينحني بدا كافياً ليجعل توقها يطفو مسبباً لها الدّوار، وحين أجبرت نفسها على التركيز على الكومبيوتر مجدداً، فقدت الكلمات وضوحها أمام عينيها.

توقفت سيارة كبيرة في الفناء، فابتهجت لوجود سبب آخر لتشتت أفكارها.

ترجّلت من السيارة امرأة في مثل عمرها تقريباً. تمطت، وما لبثت أن ابتسمت حين رأت ميريديث تظهر على الشرفة. قالت: «مرحباً!».

ثم أضافت: «أنا ليديا. جئت لآخذ ميكي وإيما إلى المنزل».

أقرت ميريديث فيما توجهتا نحو المزرعة: «لم نتوقع منك أن تعودي في وقت قريب. توقع هال أن يبقيهما لشهرين بعد».

- أعلم. هذا ما خططنا له، لكن... حسناً! حين وصلنا أنا وغريغ إلى هناك، اشتقنا إلى الولدين وتمنينا أن يكونا معنا. فكرنا أننا ارتكبنا خطأ. صحيح أننا نحتاج إلى قضاء بعض الوقت معاً، لكننا نحتاج أيضاً إلى أن نكون عائلة مجدداً. لذا رجعت لآخذ ميكي وإيما، وألغى غريغ من ذهنه فكرة السفر. سوف يعود مجدداً إلى سيدني ما إن يتمكن من ذلك.

كان ميكي وإيما قد خرجا برفقة هال ليشاهدا السناجب البرية. شعرا بالابتهاج حين عادا ووجدا أمهما بانتظارهما، إلا أنهما في الواقع لم يبديا أي رغبة بالمغادرة. منذ ذلك النهار الذي أمضياه في بركة المياه، راحا يمضيان أوقاتاً أطول مع خالهما، ونسيا كم شعرا بالاشتياق إلى منزلهما في البداية.

حين قالت لهما ليديا إنهما عائدان إلى المنزل، سألاها: «ألا نستطيع أن نبقى لفترة وجيزة بعد؟».

حذّرتهما ليديا قائلة: «اليومين فقط. علينا أن نعيد السيارة إلى تاونسفيل، ثم نذهب مجدداً إلى سيدني. سوف يعود أبوكما في وقت مبكر كي نجتمع معاً».

بالرغم من تمنع الولدين، إلا أنه بدا من الواضح أنهما يحبان والدتهما،

وأنهما تحمسا لفكرة رؤيتهما لأبيهما مجدداً. شعرت ميريديث بالحسد من هذا الجو العائلي الحميم، إلا أنها أحبت ليديا التي بدت منفتحة أكثر من هال، والتي على الرغم من حبها لويريندا غو - وهو أمر ظاهر بوضوح - لم تكن قادرة على العيش هنا ثانية.

قالت ليديا: «غريغ رجل أعمال، ونحن نعيش حياة جميلة في سيدني، لكنني سأحاول إحضار الولدين إلى هنا مراراً. من الواضح أنهما أحبا المكان».

ساعدت ليديا ميريديث على تحضير الغداء في اليوم التالي. قالت لها وهي تغسل الخس: «أتمنى أن يرزق هال بالأولاد... كم هو رائع بالنسبة له أن تكون لديه عائلة خاصة به».

نظرت إلى ميريديث من تحت رموشها، فيما شعرت هذه الأخيرة بالغيظ من نفسها بسبب توهج وجنتيها، لكنها قالت: «استنتجت أنه لا يريد الزواج».

لوحت ليديا بيدها رافضة أن تعتبر هذه الفكرة جدية: «آه! هذا ما يقوله، لكنه هراء. إنه يحتاج إلى زوجة».

أجابت ميريديث محاولة ألا تبدو مهتمة بالأمر: «أفترض أن ليس من السهل أن يجد امرأة ملائمة هنا، إذ ما من فرص كثيرة للقاء الناس».

أشارت ليديا بمكر: «حسناً! ها أنتِ هنا».

ردّت ميريديث، وهي تقطع الخبز بقوة: «ما من شيء بين هال وبيني».

- أحقاً؟ رأيت الطريقة التي تنظران فيها إلى بعضكما، لا سيما حين يظن أحدكما أن الآخر لا ينظر إليه. لا أعرف بالضبط ما الذي يجري، لكنه بالطبع ليس لا شيء!

أصرت ميريديث: «لا! صدقاً. أنا أنوب هنا عن أختي، ولا أنتمي إلى هنا».

أجابت ليديا: «أمر مضحك! تبدين لي وكأنك تنتمين إلى هنا تماماً».

أزاحت ميريديث نظرتها عن قطعة الخبز، ونظرت إلى الأعلى مذهولة، ثم

قالت: «أنا؟ لكنني فتاة مدينة!».

ابتسمت ليديا، وقالت: «أحقاً؟ يبدو أنك تأقلمتِ جيداً إذاً».

وكان ذلك صحيحاً، كما فكرت ميريديث. اعتادت على الريف الأسترالي بطريقة لم تحلم أنها ممكنة حين وصلت. ربما من السخيف القول إنها تنتمي إلى هذا المكان، لكن لا يمكن الإنكار أنها تعلمت كيف تقدر الهدوء والسكون والضوء الباهر. وأنها لم تعد تتوق للعودة إلى جو لندن القاتم الرطب وإلى ضوضاء المدينة. تابعت تقطيع الخبز، وقالت لليديا: «سأرجع إلى لندن حالما تعود أختي».

قالت ليديا من دون أن يظهر عليها القلق: «هذا مؤسف! سيكون علي إذاً أن أجد شخصاً آخر لهال. أمضى وقتاً طويلاً وحده».

بدأت ليديا تقطع الطماطم، وأكملت: «المشكلة هي أنه لم يستطع التغلب على الصدمة التي سببها لنا رحيل أمنا».

قالت ميريديث: «أخبرني عن الأمر».

نظرت إليها ليديا وقد ظهرت عليها الدهشة، وسألتها: «هل فعل؟ لا يتكلم عن الموضوع عادة. هل أخبرك عن جاك أيضاً؟».

هزّت ميريديث رأسها إيجاباً، فاستقرت نظرة ليديا عليها في تأمل قبل أن تقول: «كان الأمر أصعب بالنسبة إلى هال. أظن أنه شعر بالمسؤولية، وكأنما كان عليه أن يدرك ما سيفعله جاك. انهار أبي وكان على هال أن يتحمل كل شيء حتى وصلت عمتنا».

قالت ميريديث: «لا بد أن الأمر بدا صعباً عليه... عليكم جميعاً».

هزّت ليديا كتفيها، وقالت: «استمرت الحياة. لكن للأسف أن خطبة هال على جيل لم تنجح، فذلك جعله يظن أن التاريخ سيعيد نفسه لو تزوج. لكن الكثيرين يحظون بزيجات سعيدة هنا، هناك في المقابل زيجات غير سعيدة في المدينة أيضاً. لا يتعلق الأمر بالمكان مطلقاً».

قالت ميريديث: «بالرغم من ذلك، عليك أن تقعي في الحب لتكوني مستعدة للعيش في مكان مثل ويرينداغو طوال الوقت».

أجابت ليديا، وهي تنظر إليها بجدية: «نعم».

شعرت ميريديث بالحزن لرؤيتهم يغادرون في اليوم التالي. قالت لميكي وإيما فيما غمرتهما غمرة الوداع: «سيكون المكان هادئاً من دونكما».

قالت إيما، وهي تتشبث بها: «أتمنى لو نبقى هنا».

قالت ليديا بنزق: «حسناً! لا تبدآ مجدداً. تعلمان أنكما تتوقان للعودة إلى المنزل ورؤية أبيكما، لا تجعلا الأمر يبدو كأنه وداع أبدي. سنأتي في السنة المقبلة ونرى الخال هال».

سألت إيما ميريديث ببراءة: «وأنتِ؟».

شعرت هذه الأخيرة بانقباض في حنجرتها وهي تجيب: «لا، لن أكون هنا».

على الرغم من ذلك لم تستطع أن تتخيل أنها لن تكون هنا أو أنها ستعود إلى بيتها في لندن، فلا ترى سناجب تصرخ على الأشجار، ولا سماء شديدة الزرقة، ولا أرض حمراء... ولا هال!

كذلك لم تتخيل البقاء هنا للأبد. لابد أنها ستصاب بالجنون والملل. حسناً! هي لم تشعر بالملل بعد، لكن إذا بقيت هنا طوال الوقت فهذا ما سيحصل. حسناً! ما من احتمال لأن تبقى إلى الأبد حتى لو لم تعد لوسي، فقد أوضح لها هال أن أي علاقة بينهما ستكون مؤقتة، لأنه لا يؤمن بالارتباط. أليس كذلك؟

بدت ميريديث مدركة تماماً لوجود هال الذي وقف إلى جانبها وراح يلوح لليديا وأولادها وهم يغادرون. حين اختفت السيارة وهجع الغبار، وقف كلاهما بدون حراك. لم ينظرا إلى بعضهما، لكن الجو حولها بدا مخنوقاً جداً ما دفع ميريديث إلى أن تتنشق الهواء أكثر.

استدار هال، ونظر إليها للحظة طويلة. لقد نما شعرها ليتخذ طابعاً أكثر نعومة منذ وصولها حتى الآن. بدا متجعداً حول وجهها بأطرافه الذهبية، فيما وضعت ميريديث يدها على جبينها لتحتمي من ضوء الشمس. كانت ترتدي القميص القديم التي أعطاها إياها لتستخدمها أثناء قيامها بالطهو. بدت دافئة، جذابة وهي واقفة بطريقة ما بقربه تماماً.

لن أكون هنا! هذا ما قالته لإيما.

حاول هال أن يتخيل الوضع من دونها؛ حين يدخل لن يجدها في المطبخ، أو يراها منكبة على عملها، أو واقفة بهدوء وسكينة على الشرفة في الليل... يا للسخافة! لم يكن وحيداً قط، وهو ليس على وشك أن يصبح وحيداً الآن. قال بطريقة فظّة: «سنعود لتناول الغداء».

ثم غادر بخطوات واسعة. راقبته ميريديث وشعرت بتلك اللهفة المزعجة المألوفة في أحشائها قبل أن تجبر نفسها على الدخول.

بعد مرور بعض الوقت، لم تستطع أن تمنع قلبها من الاصطدام بحنجرتها حين سمعت صوت جزمة هال على الدرج الخشبي. أتى الرجال لتناول وجبة الغداء، إلا أن حضوره وحده ملأ كيانها وشغل أحاسيسها. شعرت كأن جسمها بأكمله مشحون بالكهرباء. لم يكن وسيماً أو مثالياً كريتشارد. لكنه يشغل ذهنها أكثر من أي شخص تستطيع أن تتذكره. تخيلته وهو يستدير من خلف الطاولة فيضع ذراعيه حولها من الخلف، ثم ينحني ليعانقها ويهمس لها أنه لا يأبه لأي شيء سواها....

حين تخيلت ميريديث كيفية عناقه لها زحفت على امتداد فقرات ظهرها رعشة. يفترض بها أن تكون منكبة على عملها الآن، إلا أن الكلمات على الشاشة بدت غير واضحة. تصورت هال أمامها وهو يضع القبعة على رأسه، وقد ظهرت على فمه الصارم ابتسامة رائعة. تذكرت الرشاقة التي يبدو عليها حين يعتلي صهوة حصانه، كما تذكرت وجهه حين استدار نحوها وقال إنه يرغب في معانقتها. تلك الذكرى بدت كافية لتحول أحشاءها إلى كتلة مضطربة. شعرت بالخوف جزئياً من القيام بتصرف خارج عن طبيعتها...

تساءلت ما سر الضوء والفضاء هنا اللذين جعلاها تفكر بالتفلت من القيود التي تحملها عادة، بحيث ترغب بأن تفعل شيئاً مختلفاً، وأن تكون مختلفة.

في ذلك المساء لم تتمكن ميريديث من تناول الطعام، وكانت هذه البداية! ومع انتهاء العشاء، كانت قد فقدت أعصابها تماماً...

سألها هال، فيما دفعت صحنها جانباً: «ألست جائعة؟».

عيناها اللتان راحتا تنظران إلى كل شيء ما عداه التقتا عينيه واهتز قلبها فجأة. أجابت بنشاط: «لا!».

بدا لها أن دهراً مر قبل أن يغادر رعاة الماشية الطاولة. كلهم أرادوا قطعاً إضافية من فطيرة التفاح التي أعدتها، وكان هذا ليبدو إطراء لو أنها لم ترغب بأن تصرخ في وجوههم لينهوا وجبتهم وينهضوا عن الطاولة.

أخيراً، غادروا كلهم. راح نبض ميريديث يطن ويصدح عالياً، حتى بالكاد سمعت طقطقة الصحون وهي تجمعها.

قال هال: «لمَ لا ترتاحين هذه الليلة؟ اذهبي واجلسي على الشرفة، وسأجلب لك القهوة».

لم ترغب ميريديث بتناول القهوة، لكنها فكرت أنها فرصة لتستجمع قواها وتفكر بما ستقوله لهال. ما من شك أن الوضع سيبدو أسهل في الظلام منه في الضوء المشع القوي للمطبخ. هل تقول: كنت أفكر و...؟ آه يا إلهي! لا... لا يمكنها أن تبدأ على هذا النحو.

لم تكن ميريديث قد قررت بعد حين خرج هال إلى الشرفة دافعاً الباب الشبكي بقدمه، وهو يحمل كوبين من القهوة بيديه. قال وهو يجلس على الكرسي بجانبها: «المكان هادئ من دون الولدين».

ابتلعت ميريديث ريقها وقالت: «أصبحنا بمفردنا الآن».

وافق هال قائلاً: «نحن الاثنان فحسب».

في الضوء الخافت، استطاعت أن ترى أصابعه ملتفة حول الكوب. لم تجرؤ على حمل كوب القهوة لأن يديها راحتا ترتجفان. عرفت ميريديث فجأة أنها إذا لم تتفوه بكلمة الآن، فإنها ستنفجر حتماً.

- تذكر ذلك النهار... عند بركة المياه؟

استدار هال لينظر إليها مع تلك الابتسامة الملتوية عند زاوية فمه. وأجابها: «حين قلت لك إنني أريد معانقتك؟».

قالت ميريديث وأنفاسها تهرب منها: «نعم».

ذكرها: «قلت إن الأمر غير مناسب بوجود ميكي وإيما».

ثم أشار بلطف: «لم يعد ميكي وإيما هنا الآن».

- لا!

شعرت ميريديث بجفاف في حنجرتها، حتى إنها بالكاد استطاعت أن تتكلم. خرجت الكلمة من فمها بصوت أجش، وكررت: «لا!».

وضع هال كوب القهوة على الطاولة بحذر كبير، وسألها: «أما زلت تظنين أنها فكرة سيئة؟».

أجابت: «على الأرجح... أنها ليست فكرة جيدة، لكنني لا أريد أن أبدو معقدة، كما أنني اكتفيت من طبعي الجدي».

- جيّد!

التوى فم هال أخيراً بابتسامة حقيقية، وسألها: «إذاً ماذا تريدين ميريديث؟».

- أريدك أن تعانقني.

سادت لحظات من الصمت بينهما، نظرا خلالها إلى بعضهما. بعدئذٍ قال هال: «يا إلهي، ميريديث... هيّا تعالي!».

شدها نحوه بقوة، وعانقها بشوق اختزنه في أعماقه منذ زمن بعيد.

بدا لها قربه رائعاً بطريقة مخيفة، ومنعشاً إلى درجة الغرابة. في تلك اللحظة توقفت ميريديث عن التفكير في أي شيء باستثناء حقيقة أنها بقربه، وأنها تستطيع أن تسترخي بين ذراعيه كما حلمت منذ زمن طويل.

احتضنها في عناق طويل، عميق ومليء باللهفة. استمر عناقهما حتى خشيت ميريديث أن تنهار من شدة السعادة. غرقت في دوامة من الدفء والحلاوة، وبدا ذلك مقلقاً إلى حد ما. فكرت على نحو غامض، يجب ألا يكون الأمر بهذه الروعة، كما لا يفترض أن يكون مليئاً بالاحساس كما تشعر به الآن.

٩ - لا مفر من الوداع!

راح هال يمرر يده بنعومة وبطء على خدها ثم يرسم حدود وجهها. سألها: «كيف تشعرين الآن؟».

ابتسمت ميريديث ابتسامة مشرقة. شعرت أنها مفعمة بالحيوية ومرتاحة تماماً بكل ما للكلمة من معنى. لم تعد تأبه لأنها ليست تلك الجميلة النحيلة التي طالما حلمت أن تكونها. لم تشعر مطلقاً أنها قصيرة القامة، بدينة أو بشعة. جعلها هال تشعر أنها جميلة ومرغوبة، فإذا بها تشع حيوية من جراء معرفتها تلك. استدارت نحوه لتمرر يدها بين خصلات شعره، وأجابت: «شعور رائع».

قال بنبرة ساخرة: «أعني النسبة إلى طبعك الجدي».

- شعور رائع أيضاً.

لم تكن تلك القفزة في الهواء الطلق المنعش فوق بركة المياه شيئاً مقارنة مع الصخب المتألق الذي أغرقها فيه عناق هال، ولمسات يده على بشرتها الحساسة، وإحساسها بالقوة الممتلئة لعضلات جسده. قالت: «أظن أنني أستطيع أن أعتاد على الأمر».

رأى هال الومضة التي ظهرت في عيني ميريديث وهو يمسك شعرها بلطف بعيداً عن وجهها: «أنا أعرفك. ستعودين إلى ميريديث العملية الجدية الطباع قريباً. أستطيع أن أقول إن الفكرة تدور في رأسك الآن! هيا، اكشفي عنها».

تمنت ميريديث لو أن بإمكانها أن تنكرها لكنها لم تستطع، فأقرت: «يجب ألا أعتاد على الأمر كثيراً. لن يدوم هذا إلى الأبد. أليس كذلك؟ ستعود

لوسي قريباً».

جمدت يد هال فوق كتفها، وسألها: «أهذا ما قالته؟».

- لا! رسائلها غامضة قليلاً، لكنها قالت إن ريتشارد يتحسن.

بان على جبين ميريديث تجعيد من جراء القلق، وأكملت: «لا أعرف ما الذي يحدث. كانت تواقة جداً لتعود إلى كيفين، لكنها لم تذكره كثيراً مؤخراً، وهو توقف عن السؤال عنها. هل لاحظت ذلك؟».

أشار هال: «كيفين ليس محباً للتحدث».

يد هال التي راحت تتنقل على بشرة ميريديث جعلتها تتقوس، لكنها لم تستطع أن تنسى قلقها بشأن لوسي. سألته: «أتظن أنه يجدر بي أن أحذرها أنه لا يفتقدها كثيراً، وأقترح عليها أن تأتي بأسرع ما يمكنها؟».

أجاب هال بصرامة: «لا! لا أعتقد ذلك. لا أظن أن عليك التدخل. تستطيع لوسي أن تعالج مشاكلها بمفردها».

كشفت ميريديث أخيراً عن الفكرة التي تزعجها حقاً: «لكن... ماذا لو لم تعد؟».

عمت برهة من الصمت، وبعد لحظة قال هال: «حينها... أخمن أنك تريدين العودة إلى الديار».

قالت ميريديث بسرعة: «بالطبع، سأفعل».

ذكرت نفسها أن لديها منزلاً، وأصدقاء، ومهنة. بالطبع، هي تريد أن تعود إليهم كلهم. لم تستطع إلا أن تتساءل عما ستقوله لو طلب هال منها البقاء. لكن... ما نفع التساؤل؟ هو لن يسألها ذلك، ولم يذكر حتى مرة واحدة احتمال بقائها. حتى لو أراد ذلك، فإنها بالطبع لن تتخلى عن حياتها في لندن من أجل رجل من الريف الأسترالي يعاني من مشاكل أساسية متعلقة بالالتزام.

قال هال: «على أي حال، لا أعتقد أن عليك أن تقلقي بشأن ذلك، فلوسي مصرّة تماماً على العودة إلى هنا».

- هذا صحيح.

ستغادر ميريديث، لكن هال سمح لنفسه أن يأمل ألا يحصل ذلك قريباً. أدارها لتنظر إليه، فيما قال: «وفي غضون ذلك...».

ابتسمت ميريديث فجأة، فيما شبكت ذراعيها حول عنقه وألقت رأسها على كتفه، ثم كررت قوله: «في غضون ذلك؟».

- في غضون ذلك... ما من أحد هنا إلا أنتِ وأنا، لذا أمامنا بضعة أسابيع لنستمتع بوحدتنا.

إضفاء الطابع المؤقت على علاقتهما بدا أسهل قولاً منه فعلاً. بضعة أسابيع ليست وقتاً طويلاً... ذكرت ميريديث نفسها بذلك.

لم تشعر قط أنها حرة وغير مقيدة، كما هي الآن. لم تدرك سوى الآن كم أمضت من الوقت وهي تقلق على شؤون الآخرين. هال محق! ما من سبب يجعلها تشعر بالمسؤولية عن سعادة كل شخص آخر. بدا من الغرابة أن تفكر الآن بنفسها فحسب. لم تشعر يوماً من قبل أنها مرتاحة جداً مع جسدها، وأنها مرغوبة جداً، وسعيدة جداً كهذه الأيام. ظلت تنهض في ظلمة الصباح الباكر لتحضر وجبة الفطور. وبعد أن غادرت إيما وميكي، أتيح لها وقت أكبر للعمل، لكن كان لا يزال عليها أن تعد الحلوى والشاي لاستراحتي الصباح والظهيرة بالإضافة إلى وجبتي الغداء والعشاء، وإزالة الغبار عن الشرفات، كذلك إطعام الدجاج، وإرسال الرسائل الإلكترونية للزبائن، و... هناك الترجمة التي يجب إنهاؤها.

أما بعد العشاء، فتجد هال منتظراً، بحيث يذويان معاً في عناقات طويلة ملؤها العذوبة. راحت ميريديث تقول لنفسها من حين لآخر إنه ينبغي عليها حقاً أن تعود إلى طبعها الجدي وتفكر بمستقبلها، لكن ذلك يعني أن تودع هال، لذا لم تشأ أن تفكر بالأمر.

قال هال في إحدى الليالي فيما هما ينظفان الصحون بعد العشاء: «سنجمع القطيع قرب الزرائب غداً. أعني أننا سننهض باكراً».

استفسرت ميريديث التي كانت تجد صعوبة في الابتعاد عنه: «في أي ساعة تعني؟».

- سنحتاج إلى الفطور في الساعة الرابعة والنصف.

همهمت ميريديث، لكنها لم تأبه للأمر حقاً: «إذاً علي أن أخلد إلى النوم الآن لأتمكن من النهوض في الساعة الرابعة».

أحبّت ميريديث أن تكون جزءاً من حياة المزرعة، وتحمست حين طلب هال منها أن تلاقيهم في مكان تجمعهم. أخبرها عن الطريقة التي يجمعون بها القطيع فيسوقونه إلى الزرائب، وتاقت لترى هذه العملية بنفسها.

شرح هال لها أنه إذا كانت الزرائب مفتوحة بما يكفي، فإنهم يستخدمون المروحيات للمساعدة في دفع القطيع في الاتجاه المناسب، إلا أن تجمع القطيع بدأ في المنطقة الصخرية وسيقومون بهذا الأمر على الطريقة التقليدية، أي على صهوات الخيول. سألها: «هل تجيدين قيادة السيارة؟».

- بالطبع!

لم تكن ميريديث واثقة ما إذا كانت محبطة أم مرتاحة لأنه لم يطلب منها أن تعتلي صهوة الحصان.

- أتظنين أن باستطاعتك جلب وجبة خفيفة حين تلتقين بنا؟ سنحتاج إلى فترة استراحة، ولا أريد في الواقع أن آخذ معي شيئاً يعيق حركتي.

سألته بقليل من الشك: «كيف سأجدكم؟».

رسم لها خريطة وهمية على طاولة المطبخ بإصبعه، وقال: «اذهبي من البوابة الثالثة، ثم اتبعي السياج حتى تصلي إلى الجدول. تستطيعين أن تعبريه في هذا الوقت من السنة. استمري في السير حتى تلاقينا».

- هذه مساحات كبيرة. ماذا أفعل إن أضعتكم؟

أجابها هال: «ابحثي فحسب عن مجموعة كبيرة من الماشية. سنكون هناك».

ابتسمت ميريديث لنفسها وهي تقود الشاحنة إلى الزرائب الوعرة في ذلك الصباح. إنه لمضحك أن تتذكر كم وجدت السماء ثقيلة الوطأة في البدء، وكم شعرت أنها صغيرة مقارنة بالمساحات الواسعة التي تحيط بها. والآن، بدلاً من أن تشعر أنها قزمة، شعرت أنها أطول قامة وأكثر كمالاً مما كانت

عليه طوال حياتها.

أخذها هال لتمتطي الحصان عدة مرات من قبل، ومع أنها لم تتصور أنها قد تتقن فن الركوب والنزول عن صهوة الحصان برشاقة، إلا أنها استمتعت بهذا الأمر أكثر مما توقعت. علمها هال ما عليها القيام به، وكيف تعد القطيع الذي تصادفه لتحدد مكانها.

رأت ميريديث بقرتين واقفتين بجانب السياج، وآذانهما العريضة اللينة تخفق لتطرد الذباب بعيداً. نظرت البقرتان إليها بدون فضول، فيما أقفلت البوابة خلفها وصعدت إلى الشاحنة. فكرت أن الأبقار هنا تبدو رشيقة خلافاً للأبقار السمينة في ديارها، لكن مظهرها يتمتع ببريق جميل. ما لبثت أن ضحكت من نفسها؛ من كان يظن أن فتاة مدينة مثلها ستجد نفسها في يوم من الأيام تنظر إلى الأبقار باهتمام، وتستمتع بقيادة الشاحنة ببطء فوق قاع جدول جاف، وأنها ستعجب بأشجار الصمغ؟ حسناً! هذا مجرد فترة مؤقتة، وهي أشبه بإجازة حيث تستطيع أن تتظاهر بأنها شخص آخر مختلف تماماً، شخص مبتهج ومنفتح وغير جدي مطلقاً.

تماماً كما أخبرها هال؛ من المستحيل أن تضيع. في البدء، كل ما استطاعت ميريديث رؤيته هو غيمة كبيرة جداً من الغبار حرّكتها بعنف حوافر تجري بعيداً. لم تر قط من قبل عدداً كبيراً من الأبقار كهذا مرة واحدة. هذا ما فكرت به وهي تقود بحذر شديد بين الرعاة الذين بدوا منتبهين تماماً. أخيراً توقفوا حين أدركوا أن الهتافات والمطاردات التي أبقتهم نشيطين طيلة الصباح قد توقفت. بدأ الغبار يستقر على الأرض رويداً رويداً، وأخذ القطيع يرعى، أو ببساطة يتوقف عن الحراك.

لمحها كيفين في الشاحنة، فأتى على ظهر حصانه باتجاه أرض خالية من الأشجار، بدا متأهباً على صهوة حصانه مع قبعته وقميصه ذات المربعات. إنه راعي بقر مثالي! فهمت ميريديث فجأة سبب وقوع لوسي في حبه. قد لا يكون كيفين طليق اللسان على الطاولة إلا أنه هنا يستمتع بما يفعله.

نزل الرجال الآخرون عن أحصنتهم، واستنتجت ميريديث أنهم

سيتوقفون في ذلك المكان. رأت جذوع أشجار ملقية على الأرض، مصقولة من كثرة الاستعمال، مصفوفة حول منطقة خالية من الأشجار، حيث بدا من الواضح أنهم أشعلوا فيها ناراً لغلي الشاي. بالرغم من ذلك، فإن إشعال النار في هذا المكان اليوم يمثل خطراً رهيباً، لذا جلبت معها الموقد الغازي. أخرجته من الشاحنة مع غلاية كبيرة عبأها كيفين من وعاء الماء الكبير.

سألت ميريديث فيما أشعل أحد رعاة الماشية الموقد بخبرة ووضع الغلاية فوقه: «أين هال؟».

أجاب كيفين: «كان في الخلف، يقود القطيع المتأخر».

ضاقت عينا كيفين، ثم أشار قائلاً: «ها هو».

اجتاحت ميريديث فجأة ذكرى حادة لبيل، صاحب المقهى في ويمانزكريك، وهو يشير إلى هال خلف كتفيها ويقول: «هذا هو الرجل الذي تسألين عنه».

استدارت ميريديث كما استدارت حينها، ورأت هال. بدا لها أن ابتسامته لها وحدها، وحين نزل عن ظهر حصانه ومشى نحوها، أحست كأنها خطت خطوة غير حذرة وزلت قدمها فوق جرف. استطاعت أن تشعر بنفسها وهي تسقط وتتدحرج من دون سيطرة نحو الحقيقة التي لم ترد أن تواجهها.

إذاً... من هنا أتت عبارة «الوقوع في الحب» كما فكرت ميريديث بجزء مشتت غريب من ذهنها. ساورها إحساس جسدي غير اعتيادي ظهر على شكل اضطراب في معدتها، واختناق في أنفاسها، وانقباض في قلبها. ذلك الاحساس الغريب الذي يصيب المرء بالدوار، فيسحبه إلى الأسفل بقوة لا تقاوم. في النهاية، بدا من المستحيل أن تتظاهر أن تلك الحقيقة غير موجودة.

إنها واقعة في حب هال!

ما بينهما ليس مجرد انسجام، أو مجرد انجذاب حسي. إنها تحب هذا الرجل... هذا الرجل بعينه... هال. إنه ليس مثالياً، وليس حتى قريباً من المثالية، لكنه في الواقع الرجل الذي يناسبها. شعرت بالغرابة لأنها لم تدرك

هذا مسبقاً.

لا بد أنها أجابت تحية هال، إلا أنها لم تستطيع أن تتذكر ما قالته. عرفت أنها أعدت الشاي، وسكبته في أكواب مزخرفة بالمينا، وقدمت الكعك المحلى الذي أعدته، لكن بدا كأن امرأة اخرى تشبهها هي من تقوم بذلك.

أما ميريديث الحقيقية فلم تستطع أن تفكر بشيء غير كيفية تعاملها مع إدراكها الجديد هذا. جعلها هذا الإدراك تشعر أنها خرقاء بطريقة غريبة. كيف سمحت بأن يحدث ما حدث؟ من المفترض ألا تقع في حب هال. هذا ليس ضمن المخطط.

أرادت ميريديث أن تنكر هذا الواقع، إلا أنها لم تستطع. أرادت أن تتظاهر بأنه غير موجود مطلقاً، إلا أنها لم تستطع. أرادت أن تخبر هال، إلا أنها لم تستطع ذلك أيضاً. ذلك هو الشيء الأخير الذي تستطيع فعله.

لم يكن باستطاعة هال أن يوضح ما يريده أكثر مما فعل؛ لا التزام، لا كلام عن الاستمرار، لا حب. ليس خطأ هال أنها وقعت في حبه، وهي لن تحرجه إذا أخبرته عن شعورها ذاك، بل هذا سيجعل الأمر بشعاً حين يأتي وقت الرحيل. لن تستطيع أن تبقى هنا إلى الأبد. هال لم يرسل في طلبها، وقريباً ستنتهي تأشيرة سفرها. حينها لن تبقى أمامها فرصة إلا أن تعود إلى ديارها.

عليها أن تجد وسيلة لتودع هال من دون أن تدعه يعرف ما تشعر به، هذا ما فكرت به ميريديث. عليها أن تجد وسيلة تقنع بها نفسها أن هذا هو ما تريد فعله، ويجب ألا يصعب عليها القيام بذلك. إذا لم يكن لديها مستقبل مع هال، من الأفضل أن تغادر في وقت قريب لتتابع بقية حياتها في مكان آخر.

في تلك الليلة سألها هال فيما كانت جالسة بقربه بهدوء: «هل من خطب؟».

أجابته: «لا. ما من خطب».

- تبدين... متأملة وقلقة قليلاً.

قالت ميريديث: «أفكر بالديار فحسب».

وكان هذا صحيحاً، فميريديث تفكر كيف يمكنها أن تعود إلى المنزل، فلا تسمع طقطقة الباب الشبكي ولا وقع حوافر الحصان، ولا ترى جدولاً ساكناً في المدى البعيد، ولا هال. تساءلت كيف تراها ستتحمل الفراق!

قال هال: «آه! هل من أخبار عن ريتشارد؟».

- لا جديد. يستطيع أن يجلس في السرير الآن، ويتحدث جيداً.

- يبدو أنه يتحسن إذاً.

قدم هال أفضل ما عنده ليبدو مشجعاً، لكنه افترض أنه لم ينجح كثيراً بهذا. منذ أن أخبرته ميريديث أنها تظن ريتشارد مثالياً، أزعجته هذه الفكرة في العمق. قال محاولاً أن يزيل نبرة الحسد من صوته: «لا بدّ أنك مسرورة».

أخذت ميريديث نفساً وأجابت: «نعم... نعم... بالطبع أنا مسرورة».

ثم أردفت: «لا بد أنك مسرور أيضاً. حين يتحسن ريتشارد، ستعود لوسي وستسترجع طاهيتك قريباً».

عمت دقائق قليلة من السكون. ثم قال هال بعد لحظة، قاصداً أن يبقي حديثه عادياً: «سأشتاق إلى الفطائر التي تعدينها. هل تستطيعين أن تعلّمي لوسي كيفية إعدادها قبل أن تذهبي؟ فطائرها ليست جيدة بقدر تلك التي تعدينها أنت».

أحست بألم في فكها وهي تجاهد كي تبتسم: «سأترك لها الوصفة».

بعد لحظة، حمل هال يدها وشبك أصابعهما ببعضها. ثم قال بهدوء: «فطائرك ليست كل ما سأشتاق إليه».

أجبرت نفسها على الابتسام مجدداً، فيما سمحت له أن يسحبها لتقترب منه. همست بالقرب من حنجرته: «أعرف».

كان هذا صحيحاً، كما فكرت ميريديث في الصباح التالي وهي تقطف الليمون لإعداد كعكة التارت. بالطبع سيشتاق إليها... لقد أمضيا وقتاً رائعاً معاً، لكنه لن يشتاق إليها بما يكفي ليطلب منها البقاء. لن يخاطر بهذا. تخلي أمه عن عائلتها أخافه كثيراً.

كلما فكرت ميريديث بما فعلته تلك الأم بأولادها، شعرت برغبة قوية في البكاء والنحيب. هال يستحق أن يعيش سعيداً تحت جناح عائلته، ويستحق أن يحصل على الحب. على الرغم من كلامه الفظ مع إيما وميكي، لكنه اهتم بهما، ولعب في بركة المياه معهما، وأخذهما لامتطاء الأحصنة. لا بد أنهما شعرا بالأمان معه. أي شخص يتواجد برفقة هال يشعر بالأمان.

نزعت ميريديث ليمونة أخرى عن الشجرة، ثم توقفت في دهشة حين سمعت جرس هاتف المكتب يرن.

قلما يتصل أحدهم في هذا الوقت. معظم الذين يودون الاتصال يعرفون أن هال يبقى خارجاً طوال اليوم لذا يميلون إلى الاتصال في أوقات الوجبات. حسناً! من الأفضل أن ترد على الهاتف، فلربما كان أمراً ضرورياً. لكن، فيما استدارت لتركض إلى الشرفة، توقف الرنين. لابد أن هال ما زال في الداخل، هذا ما اعتقدته بارتياح. تذكرت أنه أتى منذ قليل وقال شيئاً عن القطارات القديمة وهو يتوجه إلى المكتب.

ببطء، عادت إلى شجرة الليمون. يا لها من متعة حقاً أن تقطف الليمون بنفسك! لن تستطيع أن تقوم بهذا في لندن. ثمة أشياء كثيرة لن تستطيع القيام بها في لندن. هذا ما أدركته ميريديث بكآبة. لن تستطيع أن ترى هال يمشي في الفناء بنشاط واقتدار، ولن تستطيع ان تمرر يديها في خصلات شعره وتتأمل قامته الطويلة، النحيلة، الجذابة.

داخل المكتب، حمل هال الهاتف وهو يراقب ميريديث. سحبت ثمرة الليمون من الشجرة، وقرّبتها من أنفها لتنشق عطرها المنعش. كانت ترتدي قميصه القديمة. تصوُّر جسدها اللين الجميل تحت القماش الرقيق جعل جسده يرتعش. من الصعب الآن أن يتذكر كم بدت ميريديث غير جذابة ومضطربة في البدء قبل أن يتعرف على لطفها ودفئها وقوتها. باتت تتحرك ببطء أكثر الآن، وأصبحت تتمتع ببريق وإشراق لم يتواجدا لديها من قبل. لم تعد تبدو كفتاة مدينة. بدت كأنها تنتمي إلى المكان. يا الله! سيشتاق إليها كثيراً.

بجهد مضاعف، ركز انتباهه على الاتصال الهاتفي مجدداً. كانت لوسي تقول: «إذاً كما ترى. من المهم حقاً أن تعود ميريديث إلى المنزل بأسرع ما يمكنها».

ترددت قليلاً ثم قالت: «هل أخبرتك عن شعورها تجاه ريتشارد؟».

أجابها هال: «قليلاً».

قالت لوسي: «على الأرجح أنها قالت لك إنها لم تعد واقعة في حبه. تصرّ ميريديث على أنها تغلبت على الأمر، إلا أنها ليست من النوع الذي يحب بسهولة، فهي عندما تحب لا تتوقف عن ذلك. أعرف أن طبعها فوار أحياناً، لكن في الباطن، هي الشخص الألطف والأكثر وداً».

نظر هال إلى ميريديث عبر النافذة. إنه لا يحتاج إلى لوسي كي تخبره بذلك. قال: «أعرف».

- أظن أن ريتشارد مثالي لها، وهو يتكلم عنها كثيراً... حسناً! أنا واثقة أنها إذا أتت إلى المنزل الآن، ستجد أن كل شيء تغير. إنه لا يكف عن التعبير عن اشتياقه لها.

أراد هال أن يصرخ محتجاً بأعلى صوته، فيما تابعت لوسي تقول: «أعرف أن هذا قد يسبب المشاكل لك، هال. أنا آسفة حقاً، لكن... حسناً! لا أظن أنني عائدة بالرغم من كل ما حصل، لكن إذا أخبرت ميريديث بهذا ستصر على البقاء حتى تجد شخصاً آخر، وأنا أظن أن عليها أن تعود حالاً. أدين لها بهذا. هي أفضل شخص في العالم كله، وتستحق أن تسعد».

قال لها ببطء: «نعم، أنها تستحق ذلك».

بدت لوسي عازمة على أن تبرهن له كم يبدو ريتشارد مثالياً لميريديث وكم ستحصل على السعادة إذا سمح لها بالعودة، فلم يستطع الاحتمال أكثر.

قال: «سأنادي ميريديث. يمكنك أن تكلميها».

خرج هال إلى الشرفة، ونادى ميريديث التي كانت عائدة من قرب شجرة الليمون. قال لها متسائلاً أن كان يبدو كئيباً كما يشعر فعلاً: «هذه لوسي.

تريد التحدث إليك».

تصلبت ميريديث في مكانها، وأدرك هال فجأة أنه بدا كئيباً. لا بد أنها اعتقدت أن لوسي تحمل أخباراً سيئة. طمأنها قائلاً: «لا تقلقي! ريتشارد بخير».

أجبر نفسه على الابتسام، وتابع: «تحمل أخباراً سارة».

لم تكن ميريديث تفكر بريتشارد، في الواقع. نظرة واحدة إلى وجه هال جعلتها تعرف أن الوقت الذهبي قد انتهى، وأن كل شيء سيتغير. شعرت بثقل يكبل قلبها فيما حملت سماعة الهاتف وأجابت: «لوسي! هذه أنا. ماذا حدث؟».

مضت بضع دقائق قبل أن تتمكن ميريديث من توديع لوسي، وبعد أن فعلت، شعرت بالخواء يتملكها من الداخل. بحذر شديد، أعادت السماعة إلى مكانها وتوجهت إلى المطبخ، حيث كان هال جالساً بانتظارها.

امتلأت عيناه الرماديتان بالقلق من جراء تعبيرها. سألها: «هل أنتِ بخير؟».

- أظن ذلك... نعم...

لكنها لم تبدُ واثقة تماماً.

حاول هال أن يرسم على وجهه ابتسامة، وسألها: «كان هذا خبراً سارّاً، أليس كذلك؟».

- من الواضح أن لوسي أخبرتك.

أرادت أن تفعل شيئاً بيديها. عندما لم تجد ما تقوم به، حملت المبشرة وأخذت تبشر الليمون الذي قطفته.

- قالت إن ريتشارد أدرك أنك أنت التي يريدها.

أجابت ميريديث بسرعة: «ليس تماماً».

ثم قالت بمرارة، وهي تضع ليمونة جانباً وتبدأ بالأخرى: «قالت إنها «تظن» أنني المرأة التي يريد ريتشارد رؤيتها، لكنها غير متأكدة. أستنتج أن ريتشارد شعر بالخجل الشديد حين أدرك أن لوسي تكبدت عناء السفر من

استراليا لأجله. كان هذا خطئي... أنت محق. علي أن أترك الناس في سبيلهم».

قال هال: «أنا سعيد لأنك لم تفعلي، وإلا لما التقيت بك».

هدأت يداها على الليمونة، ونظرت إلى هال، ثم أبعدت نظراتها عنه واعترفت فجأة: «لوسي تظن أنني ما زلت أحب ريتشارد. لكنني حقاً لا أظن ذلك».

كيف يمكنها أن تكون واقعة في حب ريتشارد فيما هي واقعة في حب هال؟

لم تستطع قول هذا لهال، بالطبع. سيبدو كأنها تريده أن يطلب منها البقاء. إذا ما فعلت قد يوافق هال، لكن كلاهما يعرفان أن الأمر سينتهي بكارثة. لديهما طرق حياة مختلفة، وتوقعات مختلفة، ومستقبلاً مختلفاً...

لم تستطع ميريديث حتى أن تتذمر من مفاجأة الحدث. لطالما عرفت أن هذا ما سيحدث عاجلا أم أجلاً، لكن المشكلة هي أنها لم تكن مستعدة بعد لوقوعه.

اقترح عليها هال بصعوبة: «حين ترين ريتشارد مجدداً، ربما تدركين سبب حبك له في السابق».

رغبت ميريديث حقاً في تصديق ما يقوله، حتى لو لم تكن مقتنعة. قالت: «آمل ذلك. أعني... ريتشارد مثالي لي. أليس كذلك؟».

- قلت لي مرة إنه يتمتع بكل الصفات التي تريدينها في الرجل.

كل الصفات التي لا يتمتع هو بها... ذكر هال نفسه. ريتشارد حساس وفنان ومثقف. إنه ينتمي إلى المدينة وميريديث فتاة مدينة كذلك. يستطيع ريتشارد أن يوفر لميريديث طبيعة الحياة التي اعتادت عليها... فكر بما قالته لوسي «تستحق أن تكون سعيدة». هو أيضاً أرادها أن تكون سعيدة، أما شعور الغثيان في معدته فهو نتيجة لإدراكه أن ريتشارد سيسعدها أكثر منه.

كيف يمكنه أن يعدها بالسعادة وهو يعرف كم هي صعبة حياة الريف الأسترالي، خصوصاً أنه رجل يعاني من مشاكل أساسية في الالتزام؟

ميريديث مهمة جداً بالنسبة له، وهو لن يغدق عليها وعوداً لا يستطيع كلاهما تحقيقها. ابتلع هال ريقه، وأخبرها: «وعدت لوسي ألا أمنعك من العودة إلى المنزل. أخبرتها أنني سأدعك تسافرين على متن أول طائرة».

هزت ميريديث رأسها إيجاباً من دون أن تتفوه بكلمة. كانت لا تزال تعمل بحماسة فائقة لتخبئ إحباطها، لكنها توقفت فجأة ونقلت نظرها من الليمونة في يدها إلى كومة القشر الأصفر البرّاق على الطاولة أمامها، وقالت بصوت متقطع: «آه، إلهي! لا أريد هذا كله!».

ضغطت بقوة على شفتيها لتوقف فمها عن الارتجاف، ثم عبست بشراسة وأرغمت نفسها على عدم البكاء. لم تبك ميريديث قط! لم تبك حين تركها أبوها مع لوسي وهي صغيرة، ولم تكن على وشك البكاء الآن.

لم يستطع هال أن يرى التعبير على وجهها. تقدم إلى الأمام وشدها بقوة بين ذراعيه. لم ينظر إلى عينيها، ولم يشعر بالإغواء ليتوسل إليها بأن تبقى خشية أن يصعب عليها الوضع أكثر من صعوبته أصلاً. قال وفمه مدفون في شعرها، وهو يتنشق رائحتها المنعشة النظيفة: «ميريديث! ربما هذا أفضل، فأنت أحببتِ ريتشارد. تذكري أنك قلت لي إنك مستعدة لأن تنتظري الشخص المثالي، وريتشارد مثالي لك. على الأرجح أنه سيرجع إلى مثاليته حين تعودين، لاسيما بعد أن استرجع حواسه وأدرك أنك شخص مميز».

أكمل هال بإرهاق: «هو يستطيع أن يسعدك، و... لا أظن أنني أقدر على ذلك».

هزت ميريديث رأسها إيجاباً من دون أن تتفوه بكلمة واحدة. لم تستطع أن تتكلم، ولا أن تفعل أي شيء عدا التشبث به.

أخبرها بصوت متقطع: «سأشتاق إليك... لا أستطيع أن أعبر لك كم سأشتاق إليك. لكن ليس لنا مستقبل معاً، وأنت تعرفين هذا».

حاولت أن تتكلم فيما أحاطت ذراعاها بظهره: «أعرف... أعرف».

- أنت فتاة مدينة، وأنا أعيش في الريف الأسترالي. إذا بقيت ستضجرين، وعاجلاً أم آجلاً ستودين الرحيل.

فكرت ميريديث في سرها: أنت لا تستطيع تحمل أن يهجرك أحد، وهي لا تستطيع أن تتحمل إيذاءه. هزت رأسها مجدداً، وقالت: «أعرف. أنت محق».

أكمل هال وكأنه عازم على أن يبرهن لنفسه أن الوداع هو التصرف الصائب: «يعيش ريتشارد طبيعة الحياة نفسها التي تعيشينها. أنتِ قلت لي إنكما تحبان الأشياء ذاتها. أنتما تحبان الموسيقى والطعام والذهاب إلى إيطاليا، وكل تلك الأشياء. ستشتاقين إلى كل هذا أخيراً».

انفجرت ميريديث قائلة: «أنا فقط... لا أعرف كيف سأودعك».

اشتدت ذراعا هال حولها، وأقر: «الأمر صعب، لكن هذه اللحظة ستأتي في وقت ما لا محالة».

- أنت محق.

دفعت ميريديث نفسها بعزم بعيداً عن هال، وأجبرت فمها المرتجف ليرسم شبه ابتسامة، ثم قالت: «يبدو أنه حان وقت العودة إلى الطبع الجدي مجدداً».

قال هال، بالرغم من أن حنجرته بدت مخنوقة حتى صعب على الكلمات أن تخرج منها: «هذه هي فتاتي!».

قومت ميريديث كتفيها. آخر ما يحتاجه هال هو تحيبها وانهيارها على كتفيه في هذا الموقف. وجدت ابتسامة أخرى، ابتسامة أفضل هذه المرة. وقالت: «اذهب أنت إلى العمل، وأنا سأعد هذه الكعكة، ثم أستعلم عن الرحلات إلى لندن. سنجد طريقة للوداع عندما يحين الوقت».

١٠ - أحبك... بلا حواجز

- هل جلبت كل شيء؟

ألقت ميريديث نظرة أخيرة على المطبخ. لم تأتِ بأشياء كثيرة معها، ولم تأخذ معها إلا الذكريات. حملت الكومبيوتر النقال، وأجابت: «نعم».

حمل هال حقيبتها في يده، وفتح الباب باليد الأخرى لتخرج ميريديث منه للمرة الأخيرة. طقطق حذاؤها على الشرفة الخشبية وعلى الدرج إلى حيث ركن هال الشاحنة. توقفت قليلاً، ونظرت إلى الأسفل باتجاه الجدول حيث تنحني أشجار الصمغ، ثم إلى الأعلى نحو الشجرة حيث يجتمع رف من الطيور. وبدا الجو هادئاً جداً. وضع هال حقيبة ميريديث في الجهة الخلفية من الشاحنة، فانتفضت الطيور عن الأغصان محدثة صوتاً عالياً واهتياجاً كأنها تلقت إشارة بالإقلاع.

أصبحت الرؤية عند ميريديث ضبابية فيما صعدت إلى الشاحنة. هذه هي المرة الأخيرة! لم تكف عن هذا التفكير منذ الليلة السابقة. هي المرة الأخيرة التي يعانقها فيها هال، المرة الأخيرة التي تجلس بقربه وتشعر بأنفاسه، هي المرة الأخيرة التي تسمع فيها صوت جزمته على الدرج، المرة الأخيرة التي تراه فيها يضع قبعته على رأسه كما يفعل الآن...

لم يتكلم هال أثناء القيادة، ولم تنظر ميريديث إلى الخلف. حدقت أمامها مركزة على عدم البكاء وعلى مجرد الجلوس هناك والتنفس عميقاً. عليها أن تكون جدية. قرر أن يقلها بالطائرة إلى ويمانزكريك، حيث ستسافر إلى داروين كما فعلت لوسي. لم تركب ميريديث طائرة صغيرة كهذه قط، إلا أنها بدت مرهقة جداً، وبدا لها أن هال يعرف تماماً ما يفعله. إنها مؤلفة من أربعة

مقاعد، وهناك مروحة في مقدمتها. تفقد هال جهاز القيادة بعينين هادئتين مرتاحتين وأصابع رشيقة، ثم أخذت الطائرة الصغيرة تسرع رويداً رويداً في المدرج، حتى ارتفعت في الهواء.

هبطت معدة ميريديث إلى الأسفل ببطء فيما ابتعدت الأرض تحتهما. بدا لها كأن قلبها يتمزق ليخرج منها فيما ارتفعت الطائرة في السماء الهائلة. أمال هال الطائرة إلى جانب واحد فوق المزرعة والأرض المحيطة بها. ألقت ميريديث نظرة أخيرة على الأشجار الخضراء الرمادية بجانب الجدول، تطاولت بعنقها كي لا تفقد الرؤية، لكن راحت المزرعة تبتعد رويداً رويداً فيصغر حجمها أكثر فأكثر، حتى اختفت كلياً في المنظر الطبيعي الواسع البني اللون.

حلقا في صمت، كأنهما لا يجدان شيئاً ليقولاه، مع أن هناك الكثير. أنت امرأة جدية! ظلت ميريديث تذكر نفسها بذلك. هذا هو التصرف الجدي. ودعيه واذهبي!

حطّ هال بالطائرة في مطار ويمانزكريك الصغير، ثم ركنها إلى جانب عدة طائرات صغيرة مثلها. حين أوقف المحرك وهدأت المروحية تماماً عم السكون. أخذ نفساً عميقاً. وبدأ بالتكلم: «ميريديث...!».

قاطعته ميريديث بتوسل: «انتظر! لا تحتاج إلى قول شيء، هال. بعد لحظة سأترجل من الطائرة، وأحمل حقيبتين وأودعك. سأصعد إلى الطائرة المتوجهة إلى داروين، وسأعود إلى المنزل، ولن أفكر في ما مضى، لأن كلينا يعرف أن هذا هو الصواب».

أطلقت ميريديث نفساً مضطرباً، وأجبرت نفسها على الاستمرار في الكلام: «لكن... أريدك أن تعرف أن الأسابيع القليلة الماضية كانت أفضل أوقات في حياتي، ومهما حصل سيظل جزء مني يحبك على الدوام... كما أحبك الآن».

استدار هال في مكانه لينظر إليها، وأحاطت راحتا يديه الكبيرتان اللطيفتان بوجهها، ثم قال ببساطة: «أنا أحبك أيضاً».

وعانقها... لم يكن ذلك عناقاً عميقاً وشغوفاً، بل عناقاً حاراً لطيفاً ووديا يفطر القلب، وكانت عينا ميريديث تلمعان بالدموع حين ابتعدا عن بعضهما أخيراً.

قال لها هال: «لن أنساك أبداً، ميريديث. أتمنى فقط..».

أنهت ميريديث كلامه فيما تقطع صوتها من فقدان الأمل: «... لو لم نكن الشخصين اللذين نحن عليهما؟».

خسرت ميريديث المعركة مع دمعة فاضت فوق رموشها، فمسحتها بإصبعها على عجل، فيما هزّ هال رأسه إيجاباً، وقال: «ليتنا نستطيع أن نفعل شيئاً حيال الأمر، لكننا لا نستطيع».

- لا!

أخذت ميريديث نفساً عميقاً، وكررت: «لا! لا نستطيع».

حملت الكومبيوتر النقال، وأردفت: «أظن أن من الأفضل أن أذهب الآن، هال. لا تأتِ معي. لا أظن أنني أستطيع تحمل الموقف. دعنا نودع بعضنا هنا».

ببساطة، حمل هال حقيبتها إلى خارج الطائرة، وسحب مقبضها كي تستطيع أن تجرها خلفها. رفعت ميريديث حقيبة الكومبيوتر إلى كتفها، فيما حملت نظارتيها الشمسيتين في يدها. قالت بصوت عالٍ أجش: «لا أظن أنني سأقدر على توديعك».

أجاب هال: «إذاً... لن نقول الوداع».

بدا صدره مشدوداً جداً، حتى بالكاد استطاع أن يتنفس. قال لها: «سافري بأمان ميريديث، وكوني سعيدة».

نظرت ميريديث إلى هال للحظة أخيرة، ونظراتها تسبح في دموع عالقة في عينيها، ثم وضعت نظارتيها الشمسيتين، وحملت حقيبتها على نحو أعمى ومشت على طريق المطار المغطاة بالإسفلت إلى الكوخ الذي ينتظرون فيه صعودهم إلى الطائرة في ويمانزكريك.

وقف هال في ظل الطائرة الصغيرة وشاهدها تختفي في الداخل. بعد

دقائق قليلة، حطت طائرة داروين، فأنزلت راكبين فيما أربعة آخرون خرجوا من الكوخ وصعدوا الدرج إليها. أصبحت مشية ميريديث مألوفة جداً بالنسبة إليه الآن، بحيث يستطيع أن يعرفها من بين الحشود.

رآها تتردد عند أسفل الدرج وتنظر نحوه، فرفع لها يده. رفعت ميريديث يدها في المقابل، وصعدت إلى الدرج ثم إلى الطائرة. أراد هال أن يصرخ: عودي! أراد أن يركض ويسحبها إلى أسفل الدرج مجدداً ليعودا إلى ويريندا غو معاً، إلا أن الباب أقفل، وأزيل الدرج من الطريق، وراحت الطائرة تتقدم في المدرج. وقفت هناك للحظة ثم تقدمت إلى الأمام، وهي تسير على عجلاتها أسرع فأسرع حتى ارتفعت نحو السماء بقوة شديدة.

شعر هال بقلبه كالحجر في صدره. راقب الطائرة وهي ترتفع حتى أصبحت بقعة صغيرة في السماء الهائلة، ثم اختفت. حينها فحسب، رجع إلى طائرته وعاد إلى ويريندا غو مجدداً.

* * *

أمضت ميريديث الرحلة الطويلة إلى لندن وهي تقول لنفسها إنها حالما تصل إلى منزلها سيصبح هال وويريندا غو مثل حلم. إنها مجرد بضعة أسابيع، فكيف يمكن أن تكون أكثر من حلم؟ لم تكن حقيقة... إنها مجرد وقت زائل، بل كأنها لعبت لعبة التظاهر بشخصية غير شخصيتها الحقيقية. لكن المشكلة هي أن الأمر لم يبد حلماً، وإنما بدا حقيقياً، وأصبحت لندن هي الغريبة وغير الحقيقية. في أول صباح استيقظت فيه بمفردها على صوت ضجة زحمة السير بدلاً من مشاجرة الببغاوات، صعقها اشتياقها إلى هال وويريندا غو بقوة شديدة، فتكورت على نفسها في السرير، شابكة ذراعيها على صدرها من الألم، وهي تقضم شفتها بشدة لتمنع نفسها من البكاء.

بالرغم من أملها الضعيف ظنت ميريديث أنها حين ترى ريتشارد ستستعيد كل المشاعر القديمة مجدداً، وسيتضح لها أن شعورها نحو هال لم يكن سوى وهماً مؤقتاً وانجذاباً جسدياً عابراً، لكن من المحزن أن الأمر لم يجرِ على هذا النحو. شعرت بعاطفة حقيقية فيما انحنت لتعانقه بلطف، لكنها لم تشعر

مطلقاً بالحب... لا! فقد عرفت ما طعم الحب الآن.

بالرغم من تأكيد لوسي، بدت ميريديث واثقة أن ريتشارد لديه الشعور نفسه. رحّب بها كصديق جيد، وأخبرها بعينين مليئتين بالبهجة مدى شعوره بالاحراج لأن والديه أجهداها، لكن ميريديث لاحظت أن عينيه تتبعان ممرضة جميلة بدا أنها تجد كل أنواع الحجج لتدخل إلى الغرفة.

اعتذرت ميريديث بكآبة للوسي لاحقاً: «أنا آسفة. كان يجب أن أتركك بمفردك في أستراليا».

لكنها لو فعلت لما تعرفت على هال، ولما رأت ويريندا غو...

شعرت لوسي بالمرارة حين اكتشفت أن ريتشارد لم يضم ميريديث بقوة بين ذراعيه ويعلن حبه الخالد لها. قالت وهي تبدو حزينة: «كنت واثقة جداً أنه واقع في حبك أنتِ. اعترف لي مرة أنه لم يعد يحبني، وأمضى الوقت بأكمله يخبرني كم أنت عظيمة، وسهلة المعاشرة، وكم تمنى أن ترجعي قريباً».

هزت ميريديث رأسها يميناً ويساراً. وقالت: «لطالما اعتبرني ريتشارد صديقة له. لم ينظر إلي يوماً بالطريقة نفسها التي كان ينظر إليك فيها، أو بالطريقة التي ينظر فيها إلى تلك الممرضة الشقراء».

قالت لوسي باحتقار ومن دون رضى: «آه! إنها تتسكع هنا دوماً، وأنا واثقة أنه تصرف غير مقبول».

- ربما! لكن ريتشارد يبدو مسروراً بهذا.

ابتسمت ميريديث لأختها، وقالت: «في الحقيقة لوسي، لا أظن أنه يريد أياً منا».

تغضن وجه لوسي. وقالت: «أنا آسفة جداً ميريديث. أفسدت كل شيء مجدداً! لم يكن علي أن أرفع آمالك هكذا. كان يجب علي أن أنتظر وأستوضح بالضبط ماهية الحالة بدلاً من التسرع وارتكاب الخطأ كما أفعل دوماً».

ثم نظرت بقلق إلى ميريديث، وقالت: «يا إلهي! تبدين حزينة جداً».

حاولت ميريديث أن تطمئن لوسي قائلة: «أؤكد لك أنني لست حزينة

على ريتشارد. أنا فقط..».

مشتاقة إلى هال! أنهت كلامها بوهن: «... أنا فقط... مازلت متعبة من السفر».

أشرقت قسمات لوسي واقتنعت على الأقل أن ميريديث لا تشعر بالأسى حيال ريتشارد. قالت لها: «يتطلب الأمر بضعة أيام كي تشعري أنك بحال أفضل. بالرغم من ذلك، لا بد أنك سعيدة لرجوعك إلى منزلك».

وافقت ميريديث قائلة: «نعم، غبت لمدة طويلة».

لكن منزلها لم يعد يبدو كالديار بالنسبة لها. الآن بدا منزلها الدافئ المريح مكاناً مغلقاً يسبب لها الخوف. إنه مجرد مكان من دون هال. أخيراً وجدت ميريديث ابتسامة، وقالت: «على أي حال، قال هال إنه يمكنك أن تستردي عملك حين تشائين».

ترددت لوسي، وأخيراً قالت: «لن أعود، ميريديث».

- لكنني... ظننت انك تحبين المكان هناك! قلت لي إنك تحبين كيفين.

تنهدت لوسي قائلة: «أعلم أنني فعلت. لكن... أظن أن مشاعري نحوه كانت ممزوجة بمدى حبي للبقاء في أستراليا. أعرف أن الريف الأسترالي ليس نوع المكان الذي تحبينه، لكنني وجدته رومنسياً جداً».

أرادت ميريديث أن تصرخ: بل هو نوع المكان الذي أحب حقاً. هو كذلك!

أكملت لوسي غير واعية لمقاطعة أختها الذهنية: «لكن حين رحلت بدأت أفكر، هل يمكنني حقاً تمضية بقية حياتي في مكان كهذا؟ تعرفين كم أنا حيوية واجتماعية. مع أي اصدقاء سينتهي بي المطاف؟ ما زلت أعتقد أن كيفين جذاب إلى درجة هائلة، لكن بماذا سنتحدث بعد فترة؟ الريف الأسترالي هو كل ما يعرف، هو جزء من سحره، لكنني توصلت إلى إدراك أنني لم أكن واقعية».

نظرت لوسي إلى أختها بأسف، وتابعت تقول: «أنا واثقة أن هذه ليست أخباراً جديدة بالنسبة لكِ، أليس كذلك؟ قلت إنك نادمة لظهورك وإجباري

على ترك أستراليا، لكنني سعيدة لأنك فعلت، ميريديث. وإلا لارتكبت خطأً كبيراً».

استأنفت لوسي كلامها: «في الواقع، أنا التي تقربت من كيفين، ومن المرجح أنني كنت لأجرفه إلى الزواج أيضاً، لكن ماذا سيفعل مع زوجة مثلي؟ قد لا أتمكن من الاستمرار في الزواج، وربما أسبب له الألم. سيكون ذلك رهيباً. على أي حال أراهن أنه لم يبدُ مشتاقاً إلي. أليس كذلك؟».

كان على ميريديث الإقرار: «تماماً!».

تردد صدى كلمات لوسي في قلب ميريديث. «لارتكبت خطأً كبيراً... ماذا سيفعل مع زوجة مثلي، قد لا أتمكن من الاستمرار في الزواج... وربما أسبب له الألم..».

عرفت ميريديث أن هذه الكلمات تنطبق عليها كلها. ينبغي عليها أن تفكر مثل لوسي. اعتقدت لوسي أنها قد تفهمها وهذا ما فعلته، لكن بعقلها فحسب لا بقلبها. سمعت لوسي تقول: «كانت تلك الفترة مجرد إجازة رومنسية. أدرك هذا الآن، وفي أحد الأيام، أحب أن أعود إلى أستراليا، لكن ليس الآن».

سألتها ميريديث، بالرغم من ألمها لمجرد لفظ اسمه: «ماذا عن هال؟».

أهذا ما كان عليه حبهما؟ إجازة رومنسية؟ أضافت: «تُرك من دون طاهية».

قالت لوسي: «أعرف، وأشعر بالسوء حيال هذا. لكنه قال إن بإمكانه تدبر الأمر ريثما يجد شخصاً آخر. بصراحة، ظننت أنه سيعرقل رحيلك لكنه بدا مرتاحاً للأمر».

فكرت ميريديث بالطريقة التي عانقها فيها هال عناق الوداع. أحبك! هذا ما قاله. تركها ترحل، لكنه لم يكن مرتاحاً قط.

بعد أن زفرت ميريديث أنفاسها، دفعت ابتسامة لترتسم على شفتيها من أجل أختها، وسألتها: «ماذا ستفعلين الآن؟».

قالت لومي بجدية: «قررت أنه آن الأوان لأنضج. علي أن أهتم بنفسي. لدي عمل، ومن الآن فصاعداً، سأكون جدية مثلك».

آه... جدية...!

إلا أن الطبع الجدي لم ينفعها. عادت ميريديث إلى عملها. واضبت على الخروج مع أصدقائها كل مساء كي لا يتبقى لها الكثير من الوقت لتفكر بهال.

ذكرت نفسها تكراراً أنه لم يرغب بعلاقة تدوم أكثر من بضعة أسابيع أو شهور. قالت لنفسها إن هال محق، وإنها ستضجر من ويريندا غو. بعد شهر أو اثنين ستتوق توقاً شديداً إلى الأضواء اللامعة. من الهراء أن تفترض أنها تستطيع أن تكون راضية برجل واحد وآلاف الأكرات من الأرض الحمراء.

بالرغم من ذلك... بالرغم من ذلك لم تستطع ميريديث أن تكف عن التفكير بهال، أو بالمرة الأخيرة التي عانقها فيها. قال لها «أحبك» وصدّقته. أحبّا بعضهما. إنها مناسبة له! إنها واثقة من ذلك، وهي تستطيع أن تسعده، وتشعر بالسعادة هي أيضاً. يستطيعان أن يعيشا حياة جميلة سوياً، لكن كيف يمكنها أن تريه هذا؟

لا تستطيع ميريديث أن تفرض نفسها عليه. قال هال إنه لا يريد علاقة أبدية. لا نستطيع أن نغير الشخصين اللذين نحن عليهما! هذا ما قالته له، لكنها تتساءل الآن من هي حقاً؟ هل هي ميريديث الحذرة، العملية، الجدية... ميريديث التي لم تخاطر قط؟ أم أنها امرأة مختلفة تماماً؟

تذكرت كم شعرت بالحرية والتفلت من القيود في ويريندا غو. بدءاً من القفز عن تلك الصخرة، وصولاً إلى امتطاء الحصان والمساعدة في جمع القطيع، وصولاً إلى الارتماء بين ذراعي هال. اكتشفت عبر ذلك كله جانباً حسياً فيها لم تعرفه قط. هناك غدت كل حواسها مرهفة، ومدركة لرائحة أوراق شجر الصمغ الجافة في الجدول، ولصوت تلك الجزمة تطقطق على الدرج عند قدوم هال لتناول العشاء، ولطعم الشاي في الركوة، وللملمس

قميص هال على جلدها...

ماذا لو كانت هذه هي ميريديث الحقيقية؟ قال هال لها فكري بنفسك، وبما تريدينه. المشكلة هي أن ثمة جوابين لهذا السؤال. أراد عقلها العملي نسيان ويريندا غو ومتابعة حياتها في لندن، أرادها أن تعود إلى الطريقة التي كانت عليها مسبقاً: هادئة، راضية، وليست تواقة إلى أي شيء. إلا أن قلبها لم يرد هذا. أراد أن يحس بذلك الاحساس المبهج مجدداً. أراد أن يذهب إلى الديار.

قد يكون القيام بتصرف جدي آمناً. والمضي وراء قلبها خطراً... خطراً كبيراً.

بعد ثلاثة أسابيع، نظرت ميريديث من نافذة غرفة نومها إلى الطريق المزدحمة، وتصورت قاع جدول جاف ومزرعة مع شجرة ليمون في الحديقة، ورف من الطيور يحلق في السماء ورجلاً على رأسه قبعة يصعد درج الشرفة، وعرفت ما تريده. بدا أن السؤال الوحيد الآن هو ما إذا كانت تملك ما يكفي من الشجاعة لتحقق ما تريده.

* * *

- ويريندا غو!

جاء صوت كيفين واضحاً، ولم تعرف ميريديث التي كانت تستجمع شجاعتها لهذه اللحظة طوال الأسبوعين الماضيين إن كان عليها أن تشعر بالارتياح أو بالاحباط. تعمدت أن تنتظر حتى وقت الغداء قبل أن تتصل، لكنها توقعت أن يرد هال على الهاتف.

قالت ميريديث بعد أن تنحنحت: «مرحباً، كيفين! هذه ميريديث».

أجابها كيفين بدهشة: «ميريديث! ظننا أنك عدت إلى بريطانيا».

- لقد فعلت. لكن... حسناً! عدت إلى ويمانزكريك. أنا أتصل بك من المقهى.

قال كيفين: «هل ستعودين؟ لم نحصل على طاهية منذ أن ذهبت».

سألته: «ومن يطهو طوال هذا الوقت؟».

- هال. لكننا نتقاسم المهمات في فترة غيابه.

- أهو غائب؟

حدّقت ميريديث بسماعة الهاتف. كيف يمكن ألا يكون هناك؟ لطالما كان هال موجوداً. سألته: «أين هو؟».

- في سيدني.

سيدني! هذا آخر شيء تتوقعه ميريديث. لم يخطر في بالها أن يكون هال في سيدني.

- ذهب ليرى أخته والولدين... انتظري!

سمعت ميريديث تشاوراً عبر الهمس في الجهة الأخرى من الهاتف، بعدئذٍ عاد كيفين ليقول لها: «يقول تيد إن حضوره متوقع في الغد. هل تريدين أن يذهب أحدنا ويجلبك بعد الظهر؟».

أجابت ميريديث ببطء: «لا، شكراً كيفين. أظن أنني سأنتظر هنا حتى الغد، وأرى هال هنا».

إذا رفض هال عرضها ستوفر على نفسها الاحراج. هذا ما ارتأته ميريديث. إذ ستكون أقل ارتباطاً لتستقل الطائرة التالية العائدة إلى داروين وتدع عقلها يقول لقلبها: «قلت لك هذا».

طيلة الأربع والعشرين ساعة الماضية راحت تتساءل ما إذا كانت مجنونة. حتى لو قال لها إنه يحبّها... ماذا لو التقى امرأة أخرى؟ ماذا لو شعر بالرعب لرؤيتها؟ ماذا لو...؟ ماذا لو...؟

سارت ميريديث بقلق في أرجاء ومانزكريك. أحست بشعور مختلف هذه المرة، هذا ما فكرت به متذكرة كم استهزأت بالبلدة الصغيرة مسبقاً. حسناً! لم تكن مزدحمة، لكنها أحبت الأجواء الحميمة في المتجر، وشعرت بالسعادة عندما جلست على الشرفة تشاهد الضوء وتسمع نعيب الغراب وتفكر بهال.

شعر بيل بالاحباط حين سألته ميريديث إذا كان يمكنه أن يقلها بسيارته إلى المطار في الوقت المناسب لتلاقي الطائرة الآتية من سيدني في النهار التالي.

رأت طائرة هال الصغيرة مركونة حيث رأتها في المرة الأخيرة. انتظرت ميريديث في ظل جناحها الرحلة الآتية من سيدني. جلست على حقيبتها، فاعتراها شعور بالغثيان والتوتر، وتضاربت أحاسيسها بين توقها لترى هال مجدداً ورعبها من أن تكون المخاطرة العظمى التي اتخذتها هي الغلطة العظمى التي ارتكبتها.

راحت عقدة القلق تشتد في داخلها مع كل دقيقة تمر، وإلى حين بانت الطائرة كانت قد فقدت أعصابها كلياً.

إلا أنها لم تعد تستطيع أن تتراجع الآن. لقد قفزت وحدث ما حدث. الآن فات الأوان لتغير رأيها. رأت ميريديث هال حالما أحنى رأسه وخرج من حجرة الطائرة ونزل على الدرج. بدأ قلبها ينتفض بقوة تصم الآذان منذ أن لمست الطائرة سطح الأرض. لم يكن معه سوى حقيبة سفر في يده. رفع يده الأخرى ليحيي المنتظرين في الكوخ، وتوجه مباشرة إلى طائرته.

وقفت ميريديث ببطء، وأحنت رأسها تحت جناح الطائرة ليتمكن من رؤيتها. حين رآها هال توقف، تماماً كما فعل قلبها.

قالت بصوت عال متقطع: «مرحباً!».

أخذ هال نفساً، وحول نظره عنها إلى الأرض المغطاة بالإسفلت ثم إلى الضباب المتجمع في الأفق، بعدئذٍ نظر مجدداً إليها. كانت لا تزال هناك.

قال وهو يقترب: «ميريديث!».

وضع حقيبته أرضاً حين أصبح على مقربة منها وعيناه لا تفارقان وجهها، كأنه يلتهمها بعينيه.

بدا غير قادر على إيجاد الكلمات التي تعبر عن اهتياج العواطف التي أحس بها من جراء رؤيتها، فقال: «ميريديث! أهذه أنت؟».

- نعم.

لم تستطع ميريديث أن تبعد نظرها عنه. بدا كأنهما يتبادلان حديثين، وحديث عيونهما مليء بالمعاني.

هزّ هال رأسه يميناً ويساراً، كأنه ما زال غير مصدق كلياً أنه لا يتخيل.

سألها: «ماذا تفعلين هنا؟».

أجابت ميريديث: «أنا... كنت آمل أن تعطيني عملاً. أعرف أنك تريد طاهية. يبدو على كيفين أنه اكتفى».

- أتريدين أن تعودي إلى ويرينداغو؟

لم يصدق هال ما يسمعه. أخيراً، هناك سؤال تستطيع أن تجيب عليه بثقة تامة. قالت: «نعم. هذا ما أريده».

- ميريديث... هل أنت واثقة؟

أجابت مجدداً مع زفرة عميقة: «نعم. قلت إنني أخاف من تحقيق مرادي، لكنني هنا الآن لأحققه».

لم تفارق عيناها عيني هال، فيما تابعت: «أنا أعرف ما أريده. أريد أن أكون معك. أعرف أنك لا تحب الارتباط الأبدي، ولا أطلب منك أي التزام. أريد فحسب أن أكون بقربك لأطول وقت ممكن».

- لكن ميريديث...! لا تستطيعين أن تتخلي عن حياتك في لندن».

قالت ميريديث: «بل أستطيع... لقد تخليت عنها».

اندهش هال من إحساس عدم التصديق المخدر. وسألها: «ماذا فعلت؟».

- تخليت عن حياتي السابقة. عرضت بيتي للبيع، وقدمت طلباً للهجرة. أعرف أنك لا تريد أن تتزوج هال، وأنا لا أستطيع أن أرحل كلما انتهت مدة تأشيرة سفري.

قال هال بنبرة ملؤها الشك: «لكن أصدقاءك... مهنتك...».

هل فعلت ذلك حقاً... فتاته العملية ميريديث؟

قالت: «أتيت بعملي معي».

هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع ميريديث أن تحصل على ما تريده بعد محاولات شتى. قالت: «أستطيع أن أعمل في ويرينداغو كما في أي مكان آخر، كما يمكن لأصدقائي أن يأتوا ويروني. نعم... ربما تمر أوقات أضجر فيها. ربما تأتي أوقات أود فيها أن أذهب وأشاهد فيلماً أو حفلاً

غنائياً أو آكل في المطعم على طاولات فرشت عليها أغطية بيضاء، وأتناول طعاماً لم أطهه بنفسي، لكن ما من سبب يمنعني من أن أسافر في رحلة إلى المدينة أحياناً، أليس كذلك؟».

وافق هال قائلاً: «بالطبع!».

- حسناً! إذاً...

رست ابتسامة في عيني هال، وانتشرت ببطء على وجهه. إنه يعرف شخصية ميريديث هذه، إنها تخبئ توترها تحت مظهرها الحيوي الخادع. بالرغم من ذلك لم تخدعه. حتى ذلك الوقت، لم يكونا قد لمسا بعضهما.

سألها هال: «هل سافرت هذه المسافة الطويلة من دون أن تعرفي جوابي؟».

ذكرته ميريديث قائلة: «لقد قفزت. أنت الذي علمتني أن افعل».

تقدم هال خطوة، وقال: «هذا أشد خطراً من القفز عن الصخرة».

أجابته: «أعرف».

ثم أخبرته بابتسامة مرتجفة: «أعرف أن هذا ليس بالتصرف المدروس، لكنني لم أعد أريد أن أكون جدية، هال. لقد تغيرت».

- وهل تخاطرين من أجلي؟

تجمدت عينا ميريديث ذات اللون الأزرق الداكن، وأجابت: «أجل!».

- حتى لو عرفت أنني تغيرت أيضاً؟

أصابت ميريديث قشعريرة، وقضمت شفتها. أهذه هي اللحظة التي ستصيبها بالرهبة؟ هل يحاول هال أن يقول لها إنه لا يحبها؟ لعلها توقعت الكثير، ولعلها استبقت الأمور.

ابتلعت ريقها، ثم رفعت ذقنها وأجبرت نفسها على الابتسام. قالت آملة ألا يسمع الارتجاف في صوتها: «إذا كنت قد تغيرت، يمكنك أن تقول لا، وسأذهب».

وصلت ابتسامة هال إلى فمه، فيما سحب ميريديث إلى ذراعيه أخيراً. شدّها إليه بإحكام وشعر بذراعيها تطوقانه. وقفا هناك وهما بالكاد يصدقان

أن الانتظار قد انتهى، وأنهما اجتمعا مع بعضهما مجدداً.

قال وفمه مدفون في شعرها: «لن أقول لا. لن أدعك تتركينني مجدداً. لست الوحيدة التي تغيرت ميريديث. أنا هو الجدي هذه المرة. حين يجد الرجل المرأة التي يريد أن يمضي حياته معها يجب ألا يسمح لها بأن تضيع من بين يديه. أليس كذلك؟».

رفعت ميريديث رأسها إليه، فابتسم لعينيها الزرقاوين الجميلتين، وأضاف: «في الواقع، إن التصرف الجدي الحقيقي هو أن يتزوج بها».

اتسعت عينا ميريديث بدهشة. وقالت: «لكن أنت لا تريد أن تتزوج!».

أجابها هال: «بل هذا ما أريده الآن. كنت أعتقد أن كل زواج ستكون نهايته مثل زواج والدي، لكنني بدأت أفكر أنه ليس من الضروري أن يكون كذلك. قد يكون التواجد معكِ كل يوم، احتضانك كل مساء، والاستيقاظ معك كل صباح هو الزواج الذي أريده. أريد زواجاً يبقيك إلى جانبي دائماً».

ارتفعت يد هال ليطوق وجه ميريديث بأصابعه. مرر إبهامه على خط فكها، وقال بصوت عميق وعال: «اشتقت إليك، ميريديث. بعد رحيلك أدركت كم أنا أحمق. بدت المزرعة موحشة من دونك. لم أذهب إلى أي مكان من دون أن أتوقعك هناك، ثم أتذكر أنك رحلت وأشعر... بالحزن والوحدة. قلت الكثير عن مدى خوفك، أليس كذلك؟ لكنني أنا من كنت خائفاً... خائفاً جداً من أن أفقدك، فلم أسمح لنفسي بأن أحبك بالطريقة المناسبة».

كلاهما كان خائفاً كما فكرت ميريديث. شعرت بقلبها يمتلئ بالسعادة، وبالكاد استطاعت أن تتكلم. قالت بتأثر: «هال...!».

اقتربت منه أكثر ويداها تطوقانه بإحكام مستأثرة بحبه. شعرت بالارتياح وهي تحس بدفء جسمه وصلابته. قالت له: «لا تخف!».

أجابها: «لست خائفاً الآن. لست خائفاً وأنت بقربي».

أخيراً عانقها هال عناقاً ملؤه اللهفة. اجتاحتها موجة من الابتهاج العارم والسعادة، فيما أخبرها صوت في داخلها أنها اتخذت القرار الصائب

هذه المرة، وأنها متواجدة في المكان الذي يجب أن تكون فيه تماماً... بين ذراعي هال.

ابتسما لبعضهما حين افترقا أخيراً، وسألته فيما طوقتها ذراعاه: «ما الذي دفعك إلى تغيير رأيك؟».

مسد هال شعرها، وأجاب: «اشتياقي إليك. علقت في حلقة مفرغة من التفكير. تخيلت نفسي أعيش في ويرينداغو معك، مع عائلتي، تخيلت وجودك الدائم... ثم تخيلت ما سيكون عليه الوضع إذا تركتني بالطريقة التي رحلت فيها، وعرفت أنني لا أستطيع تحمل ذلك، بل إنني لا أستطيع أن أطيق الحياة من دونك. لكنني عرفت أن عليّ فعل شيء ما، لهذا ذهبت إلى سيدني».

- لترى ليديا؟

- كلا! لأرى أمي.

أحست ميريديث بالدهشة، فتراجعت عنه لترى وجهه. وقالت: «أمك...؟».

اكفهرت عيناها بالقلق، وأضافت: «لا بد أن الأمر بدا صعباً عليك».

أقر هال: «لم تكن المهمة الأسهل في حياتي. تمنيت لو أنك معي، لكنني أدركت أنه يجدر بي القيام بذلك بمفردي. حين سمعت ليديا أنني تركتك تعودين إلى لندن، قالت لي إنني استخدمت أمي ذريعة أعلل بها مخاوفي، وهي محقة».

سألته ميريديث بفضول: «ماذا شعرت حين رأيت أمك بعد فترة طويلة؟».

اعترف هال: «بدا الموقف أشبه بملاقاة امرأة غريبة. ظننت أنني سأشعر بالمرارة والغضب. لكن حين نظرت إليها، رأيت امرأة ارتكبت خطأً بزواجها من رجل لم يكن عليها الزواج منه، وحين أدركت أنها لا تستطيع أن تعالج الأمر وتتحمل الوضع أكثر، رحلت بالطريقة الوحيدة التي قدرت عليها. لم يكن جاك ليموت لو لم ترحل، لكن هذا لم يكن خطؤها. بل بالقدر نفسه خطأ أبي لعدم إدراكه لفشل هذا الزواج».

قالت ميريديث وهي تلقي برأسها على كتفه: «هذا ليس خطأ أمك ولا خطأ أبيك، كل ما في الأمر هو أن زواجهما لم يتمكن من الصمود».

هز هال رأسه موافقاً، مندهشاً لمدى تحسن مزاجه لمجرد ضمها بين ذراعيه. قال: «على أي حال، أدركت أن أمي هي امرأة عاشت حياتها على طريقتها الخاصة، وذلك لا يعني أن كل النساء مثلها. ليديا ليست مثلها وكذلك أنت. أنت ميريديث... أؤمن بك لأنني أحبك، ولأنني أعرف ذلك أنا واثق أنك لن تتحولي فجأة إلى امرأة تشبه أمي».

رفعت ميريديث وجهها لتستطيع النظر إلى هال، وقد ظهرت ابتسامة على شفتيها. قالت له: «أنا سعيدة».

أجابها هال بصوت مشرق: «ليس بقدر سعادتي لرؤيتك. كما أنك وفرت علي الكثير من المال».

- أحقاً فعلت؟

لم يرغب هال بأن يتركها، فأبقى ذراعاً واحدة مشدودة حولها، وسحب تذكرة سفر من جيب قميصه بيده الأخرى، ثم قال: «اشتريتها في سيدني. لكن أظنني أستطيع أن أسترجع مالي الآن».

فتحتها ميريديث، وقالت باستغراب: «هذه تذكرة سفر إلى لندن!».

رفعت عينيها لتلاقيا عينيه، وبدت ابتسامتها باهرة. سألته: «هل كنت ستأتي إلى لندن وتأخذني؟».

ضايقها بسخريته قائلاً: «قررت أن أذهب لأحاول إقناعك بالعودة. لم أعرف إن كنت مع ريتشارد أم لا، لكنني عرفت أنه علي المحاولة. على أن أقول لك إنني أحتاج إليك وإنني مستعد لأخاطر بالمستقبل إذا رغبت بذلك أيضاً. بالطبع، هذا قبل أن أعرف كم أنت متهورة».

وأضاف: «أظنني أحتاج إلى زوجة أكثر جدية!».

ابتسمت ميريديث فيما دست التذكرة في جيبه مجدداً، وقالت: «أظن أنني ما زلت أستطيع أن أكون جدية تجاه أمور صغيرة أخرى».

وأضافت مع ابتسامة ناعمة: «يجب أن نكون شجعان وأقوياء في ما

خص الأمور المهمة، مثل الوثوق ببعضنا وحب بعضنا».

أجبر هال نفسه على السؤال وهو يسحبها بقوة نحوه: «هل أنت واثقة؟».

وأردف: «قد تكون حياة صعبة».

قالت ميريديث: «أعرف، لكن علينا أن نبذل مجهوداً».

حذرها هال: «سيكون الأمر مضجراً أحياناً».

وافقته ميريديث: «ربما! لكنني سأتابع عملي، كما علي أن أدير شؤون المنزل وأطعم الدجاج و... أحبك، ولا أرى أن هناك متسعاً من الوقت لأضجر، لكن إذا ما شعرت بالملل سأخبرك، وسنأخذ فترة استراحة سوياً في مكان ما. قد أشتاق إلى تناول الكابوتشينو أحياناً، لكنني أستطيع أن أتحمل هذا الاشتياق».

ثم أردفت: «ما لا أستطيع تحمله هو الاشتياق إليك».

- ميريديث...!

عانقها هال، آملاً أن ينطق عناقه بكل الكلمات التي لا يستطيع أن يقولها لها. أخيراً حين رفع رأسه قال: «لم تقولي إنك ستتزوجين بي».

أشارت ميريديث بابتسامة: «لم تطلب مني الزواج بك».

ثم أوضحت قائلة: «ليس كما ينبغي».

- هل علي أن أركع على ركبة واحدة؟

- لا! اطلب مني فحسب.

ابتسم هال، وسألها: «أحبك ميريديث! هل تتزوجين بي؟».

أجابت رافعة رأسها باتجاه رأسه: «أحبك أيضاً. و... نعم، سأفعل».

بعد أن تحررت من عناقه في وقت ما لاحقاً، قالت: «يبدو هذا كله جميلاً، لكن حان الوقت ليكون أحدنا جدياً، فالوقت يتأخر».

قال هال وهو يطرح حقائبهما عالياً نحو الطائرة: «هذا صحيح. اشتقنا إلى طهوك، ولا أعرف إن كان أحدهم قد حضر طعاماً للعشاء الليلة».

قالت ميريديث: «في هذه الحالة، من الأفضل أن تأخذني إلى الديار».

رفع هال حاجباً باتجاهها، وابتسم لها ابتسامة جعلت قلبها يقفز من مكانه، ثم قال: «الديار؟».

أجابت ميريديث مبتسمة: «إلى ويرينداغو».

وأكدت قائلة: «الديار!».

www.efromancia.com
مـــرمـــوريـــة